الجامعة الأردنيـــــــة
كلية الآداب
قسم اللغة العربيـــــة

٨٩٧
٨١٤

إبراهيم بن هرمـــة
(حياتـــــه وشعـــــره)

إعـــــــداد
شكـــــري ذيب عبد جبـــــــــر

إشـــــــراف
٢٨٨٣٣٢
الأستاذ الدكتور : حســـين عطـــوان

"قدمت هذه الرسالة استكمـــالا لمتطلبـــات درجـــة الماجســـتير
في قســـم اللغة العربيـــة وآدابهـــا بكلية الآداب فـــي الجامعـــة الاردنيـــة "

١٤٠٧هـ -١٩٨٧م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الموضوعـــات

الموضـــوع	الصفحـــة
المقدمة	١ ـ ٤
الفصل الأول : نسبه وأسرته	٥ ـ ٢٠
أولا : نسبه	٦ ـ ٢٢
ثانيا : أسرته	٢٣ ـ ٣٠
الفصل الثاني : حياته ونشأته	٣١ ـ ٧٤
أولا : مولده	٣٢ ـ ٣٨
ثانيا : نشأته	٣٩ ـ ٤٤
ثالثا : صفاته الجسمية	٤٥ ـ ٤٧
رابعا : سلوكه	٤٨ ـ ٥٩
خامسا : ظرفه	٦٠ ـ ٦١
سادسا : ثقافته	٦٢ ـ ٦٥
سابعا : تشيعه	٦٦ ـ ٦٨
ثامنا : وفاته	٦٩ ـ ٧٤
الفصل الثالث : مواقفه السياسية	٧٥ ـ ١١١
أولا : موقفه من الأمويين	٧٦ ـ ٨٧
ثانيا : موقفه من العباسيين	٨٨ ـ ١٠١
ثالثا : موقفه من العلويين	١٠٢ ـ ١١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع : أغراضه الشعرية	١١٢ ـ ١٦٢
أولا : الغزل	١١٣ ـ ١٢٧
ثانيا : الهجاء	١٢٨ ـ ١٣٤
ثالثا : الفخر	١٣٥ ـ ١٤١
رابعا :المدح	١٤٢ ـ ١٤٩
خامسا : الرثاء	١٥٠ ـ ١٥٣
سادسا : الوصف	١٥٤ ـ ١٦٠
سابعا : الشيب والخمر والحكمة	١٦١ ـ ١٦٣
الفصل الخامس : الدراسة الفنية	١٦٤ – ٢٠٥
أولا : بنية القصيدة	١٦٥ - ١٨٣
ثانيا : اللغة	١٨٤ – ١٩٢
ثالثا : الصورة الشعرية	١٩٣ - ٢٠٥
الخاتمة	٢٠٦ - ٢١١
المصادر والمراجع	٢١٢ - ٢٢٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمـــــــــــــة

إبراهيم بن هَرْمـة أحد الشعـراء المشهورين ممّن أدركوا الدولتين الأُموية والعباســـية ٠ وكان مقدّما على كثير من الشعـراء المعاصرين له ، قدمـه بعض علماء الشعر على بشار وأبي نواس وغيرهمـا من المحدثـــين ٠

وكان ابن هـرمة يقف على رأس طبقة من الشعراء المحدثين وجعل الاصمعيُّ عروةَ ابـــــن أُذينةَ وطفيلا الكنانـي في طبقته وهما دونه في الشعـــر ٠

وعدّه ابن شاكر الكتبي (ـ٧٥١هـ) شيخ الشعراء في زمانه ، وذهب الذهبي (ـ٧٤٨هـ) في ســـير أعلام النبـلاء إلى أنـه شاعر زمانه ، وأحد البلغاء من شعـراء الدولتين ٠

واهتم القدمـــــاء بأخبـاره وأشعاره ، ووضعوا فيهـا كتبا كثيرة ٠ ومن الذين جمعـــــوا أخباره إسحق بن إبراهيم الموصلي (ـ٢٣٥هـ) في كتاب أسماه " أخبار ابن هرمـة " والزبير بن بكـــــار (ـ٢٦٥هـ) في كتاب " آخر يحمل ذات الاسم ٠

وممن جمع أخباره وأشعاره ابن طيفور (ـ٢٨٠هـ) في كتاب أسماه " أخبار ابن هَرْمـــــــــة ومختـار شعره " والصولـي (ـ٣٣٥هـ) في كتاب يحمل نفس العنـــــوان ٠

وذكر ابن النديم (ـ٣٨٥هـ) في الفهرست أن المرزباني له كتاب " المونّق في أخبـــــــار الشعراء المشهورين من الجاهلية والمخضرمين ومن تبعهم من الإسلاميين وأورد محاسن أشعارهم إلـــــى أول الدولة العباسيّة ، وذكر ابن هرمة والحسين بن مطير ٠

وذكر أيضا أن يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور له كتاب " في أخبار وأشعار شعـــــراء مخضرمي الدولتين بدأ فيه ببشار وابن هرمـــــة ٠

وممن اهتم بجمع شعره فقط من القدمـــاء أبو سعيد السكرى (ـ٢٧٥) جمعـه في مئتـــي ورقة مجردا من أخبـــــــاره ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يصل إلينا من هذا الكتب شيء فقد ضاع ديوانه كما ضاعت أخباره .

وكانت لابن هرمة شهرة واسعة وحظوة متميزة عند الخلفاء والأمراء والولاة ، فقد اتصل بالأمويين وارتبط ببعضهم وأخذوا عليه ألا يمدح غيرهم .

واتصل بالعلويين ومدح زعماءهم ، كما كانت له عند المنصور مكانة خاصة إذ عفا عنه ووصله وصار من ندمائه بعد أن كان نقم عليه لاتصاله بالأمويين والعلويين ومدحه لهم .

ولم تقف حدود شهرته عند هذا الحد ، بل إن بعض الشعراء تقربوا عند الولاة والأمراء بما يروون من شعره .

ذكر الصولي في كتاب الأوراق أن أبان بن عبد الحميد اللاحقي كتب قصيدة للفضل بن يحيى البرمكي يفخر فيها بقدرته الشعرية وصفاته المتعددة في كل الفنون ، وزاد عليها بأنه يروي شعرا لابن هرمة .

وتجاوزته شهرته بلاد المشرق لتصل إلى بلاد الاندلس وعلى الرغم من هذه الشهرة في زمانه إلا انه لم يظفر من الدارسين المحدثين باهتمام كثير ، إذ كل ماكُتب عن ابن هرمة في الدراسات الحديثة فصول قصيرة متناثرة في ثلاثة كتب .

أولها : كتاب الدكتور نجيب البهبيتي " تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجرى " وفيه حديث قصير عن بديع ابن هرمة تناول فيه التشبيه والاستعارة في شعره مقارنا بينه وبين بشار في استخراج الصورة .

وثانيها : ماكتبه الدكتور حسين عطوان في كتابه " الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية " .

ولكن كتاب الدكتور عطوان على مافيه من اللمحات الموفقه والدراسة المركزة لم يخصص حديثا عن ابن هرمة ، إذ كان همه أن يتحدث عن الشعراء من مخضرمي الدولتين في مواقفهم السياسية مع الأمويين والعلويين والعباسيين ، وتمثل هؤلاء الشعراء لنظرياتهم في الحكم والترويج لها من خلال أشعارهم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم عقد الدكتور بابا للحديث عن الخصائص الفنية لشعر هؤلاء الشعراء في كل غرض من أغراضهم مما جمعوا فيه بين التقليد الشعري في الصور والألفاظ والأساليب ، وما جددوا فيه من الأوزان والمعاني مما فرضته طبيعة المجتمع الجديد ، وما أثمرته الحركات السياسية في المراحل الثلاث .

وثالثها : كتاب " الشعر والشعراء في العصر العباسي " للدكتور مصطفى الشكعة وفيه عنوان " إبراهيم ابن هرمة وأخباره وأشعاره ، وهو كتاب " وصفي انطباعي وسبب ذلك ، أن مؤلفه أراد أن يجمع أخبار الشعراء كلهم في العصر العباسي ومواقفهم السياسية وأغراضهم الشعرية وخصائصهم الفنية في كتاب مدرسي واحد .

ولشهرة ابن هرمة في زمانه وقيمة شعره عند علماء اللغة والنحو والبلاغة . وانعدام الدراسات العلمية المتخصصة التي تتناول أخباره وأشعاره ، رأيت أن أجعل حياته وأشعاره موضوعا لرسالتي في نيل درجة الماجستير .

وقد أقمت هذه الدراسة في خمسة فصول ، تحدثت في الفصل الأول عن نسبه وأسرته ، وأقمت الفصل الثاني للحديث عن حياته ونشأته ، فتناولت تاريخ ولادته ومكانها ، ونشأته في أول حياته ، ثم تنقلاته الدائمة إلى ممدوحيه وعطاياهم له . وتحدثت عن صفاته الجسمية ، وما كان لها من أثر في نفسيته وعلاقاته بالناس . وعرضت لسلوكه الاجتماعي وتقلبه واضطرابه ، ثم تحدثت عن ثقافته وتعددها وأشرت إلى ميوله الشيعية قولا وابتعاده عنها سلوكا ومواقف . وأخيرا حققت في تاريخ وفاته ومكانها ، وحددت سني حياته من مجموعة أخبار وروايات .

وعقدت الفصل الثالث لمواقفه السياسية مع الأمويين والعلويين والعباسيين . وخصصت الفصل الرابع لأغراض شعره التقليدية وما أضاف إلى بعضها من تجديد في الصور والألفاظ والمعاني .

ودرست في الفصل الخامس شعره دراسة فنيه ، فتناولت بناء القصيدة عنده ، وعرضت للغته واهتمام العلماء بها في معاجمهم وختمت الفصل في الحديث عن صوره الشعرية .

أما مصادر أخبار ابن هرمة وأشعاره فهي مصادر الثقافة العربية كلها ، ولكن يمكن توزيعها على خمسة أقسام رئيسيه :

أولها : ديوان ابن هرمة طبعة الدكتور حسين عطوان ومحمد نفاع وطبعة الدكتور محمد جبار المُعَيْبد وبعض

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المجموعات الشعرية التي حوت شعرا لابن هرمة أو أشارت إلى شيء له علاقة بشعره وأخباره كديوان عُبَيْد الله بن قيس الرقيات، وشرح أشعار الهذليين ، وكتب الحماسة .

وثانيها : كتب الأنساب وأهمها جمهرة النسب لابن الكلبي ، ونسب قريش للمصعب الزبيرى وأنساب الأشراف للبَلاذُرى وجمهرة أنساب العرب لابن حزم .

وثالثها : كتب التراجم مثل الشعر والشعراء وطبقات ابن المعتز وكتاب الأغاني ، على أنّ أهم هذه الكتب جميعا كتاب الأغاني فإنّ فيه أوسع ترجمة لابن هرمة إذ ترجم له في الجزء الرابع ترجمة واسعة وذكر بعضا من أخباره وأشعاره في الخامس والسادس والثاني عشر .

ورابعها : الكتب الأدبية والنقدية والبلاغية والنحوية كالبيان والتبين وعيون الأخبار والكامل للمبرد والعقد الفريد ومعجمي العباب الزاخر والتكلمة للحسن الصغاني ، وشرح شواهد المغني للسيوطي وشرح أبيات مغني اللبيب وخزانة الأدب لعبد القادر البغدادى .

وخامسها : الكتب التاريخية مثل تاريخ خليفة بن خياط وأخبار الدولة العباسية وتاريخ الطبرى .

وواجب علي في هذا المقام أن أتوجّه بالشكر خالصا من أعماق نفسي إلى أستاذى الدكتور حسين عطوان الذي أشرف على هذا البحث وهو الذى طالما رعاني بعطفه وأحاطني بتوجيهاته الصائبة وتتبعه الدقيق .

وواجب علي ، أيضا، أن أتوجّه بعظيم الشكر إلى أساتذتي أعضاء لجنة المناقشة لما بذلوا من جهد في قراءة هذا البحث وصبر على أخطائه ، وما سيبطرونني به من ملاحظات سيتقيم بها .

وبعد : فإني أرجو أن أكون أسهمت بهذا العمل في كشف بعض المعالم من سيرة شاعر من أشهر شعراء الدولتين الأموية والعباسية ودراسة شعره .

وهذا العمل المتواضع محاولة أولى في طريق البحث ، ولست أراه فصل الخطاب فيما تناوله من القضايا . وحسبي أني بذلت له من الجهد قدر ما أطقت ، والله حسبي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولا : نسبه

هو إبراهيم[1] بن علي[2] بن سلمة[3] بن عامر بن هرمة بن هذيل بن ربيع بن عامر بن صبيح بن عدي بن قيس بن الحارث بن فهر " .

هذا هو كامل نسبه في أكثر المصادر التي عرضت له . وزاد عليه أبو الفرج الاصفهاني رواية عن العباس بن هشام الكلبي عن أبيه هشام بن محمد بن السائب الكلبي فقال بعد فهر " ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر "[4].

ويكنى ابن هرمة ، وأبا أسحق ، ولكن الكنية الأولى هي الغالبة عليه . ذكرها الشاعر في معرض حديثه عن نفسه لمّا جاءه نعي إبراهيم بن محمد[5] (الإمام).

---

(١) انظر في ترجمته :

جمهرة النسب ١ : ١٨٠ ، ونسب قريش ٤٤٣ ، والشعر والشعراء (لابن قتيبة) ٢ : ٧٣٠ ، والمعارف ٣١، وطبقات ابن المعتز ٢٠ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٤٣٦ ، والأغاني (دار الكتب) ٤ : ٣٥٦ ، وجمهرة أنساب العرب ١٧٦ ، وتاريخ بغداد ٦ : ١٢٧ ، وسمط اللآلئ ١ : ٣٩٨ ، وتاريخ دمشق (مخطوط) ١ : ٢٣٨ ، وتهذيب ابن عساكر ٢ : ٢٣٧، وشرح شواهد المغني (السيوطي) ٢ : ١٨٢ . وشرح أبيات مغني اللبيب (للبغدادى) ٥ : ١٥٢ ، وخزانة الأدب (البغدادى) ١ : ٣٨٢ .

(٢) ورد في السيرة النبوية (لابن هشام) " عبدالله " فصححه المحققون بـ" علي " وهو الصواب ، انظر السيرة ٢ : ٣١٠ .

(٣) انفرد الصغاني في " العباب الزاخر " بزيادة " محمد " بعد علي ، ذكر ذلك في أماكن مختلفة ، وعنه أخذ السيوطي فيما يبدو في شرح شواهد المغني ٢ : ٦٨٢ .

(٤) الأغاني ٤ : ٣٦٧ .

(٥) هو إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ، أخو أبي جعفر المنصور ، وأبي العباس السفاح .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقـال [١]

والناس قـد ثَقُلت يوما مضاجعهم

إلاّ ابـن هرمـة أحيـا الليل يقظانـا

وقال ايضـا [٢]

باللـه ربك إن دخلـت فقـل لـه

هـذا ابن هرمة واقفـا بالبـاب

وبهذه الكنية كان يعرف بين الناس .

وهَرْمة أحد أجداده ، كما يظهر في سلسلة النسب ، وإليه نُسب الشاعر ، كما قال السيوطي [٣] وذهب الأستاذ سامي مكي [٤] إلى أن هذه الكنية نسبة إلى أُمّه لا إلى جده . والهرم ضرب من النبت فيه ملوحة ، سُمي بذلك كما سُمي ضرب آخر منه " أبيض الشيحة " لبياضه [٥].

والهرم الضعف ، واحدته هرمة [٦]، وقيل الهرم آخر ولد الشيخ والشيخة [٧]. وأما كنيته الثانيه " أبو إسحق " فلم يكن لها من الشهرة والذيوع ماكان للأولى .

---

(١) أخبار الدولة العباسيه ٤٠٦ ، والديوان (المعيبد) ٢٢٦ .

(٢) الأحاجي النحوية ٥١ ، والصناعتين ٦٨ ، والديوان ٦٧ .

(٣) انظر شرح شواهد المغني ٢ : ٦٨٢

((٤) انظر معجم القاب الشعراء ٢٥٤

(٥) تهذيب اللغة (هرم) ٦ : ٢٦٦ ، والصحاح (هرم) ٥ : ٢٠٥٧ وتاج العروس (هرم) ٩ : ١٠٢

(٦) المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة ٥٥

(٧) تهذيب اللغة (هرم) ٦ : ٢٦٦ ، ومقاييس اللغة (هرم) ٦ : ٤٨ ، والتكملة (هرم) ٦ : ١٧٠ وتاج العروس (هرم) ، ٩:١٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا أُدري على وجه اليقين هل كان إسحق هو الابن الأكبر للشاعر ، وأنه هو الذي سأل أباه " لِمَ شتمت نفسك " يوم أُنكر أبياته[1] في بني فاطمة ؟ ولكن المصادر التي بين أيدينا لاتؤيد ذلك ولاتنكره.

و" أبو اسحق " كنية كان ينادى بها في المجالس الرسمية ، فمن ذلك أن السرى[2] بن عبدالله الهاشمي ، قال لابن هرمة بعد أن مدحه في القصيدة التي مطلعها :

عوجا على ربع ليلى أم محمود ... كيما نسائله من دون عبّود[3]

مرحبا بك يا أبا إسحق .

ونُسب ابن هرمة إلى قبيلته فهر ، فقيل له الفهري ونُسب إلى الخُلْج فقيل له الخلجي ، ونسب إلى المدينة مكان سكناه ، فقيل له المدني ، ونسب إلى الحجاز ، فقيل له الحجازي ، ونسب إلى قريش فقيل له القرشي[4]

وتدور حول نسبة قبيلته " الخلج " في قريش ، ونسبته في قبيلته روايات وأخبار تشكك في صحة هذه النسبه،ومصدر الشك فيها طريقان :

أولهما : ماتناقلته بعض كتب الأنساب والتراجم واللغة .

وثانيهما : تشكك ابن هرمة نفسه في هذه النسبة ، وترويجه لهذا الادعاء .

---

(١) الأبيات هي :

ومهما ألُم على حبهمْ ... فإني أُحبّ بني فاطمةْ

بنيّ بنت من جاء بالمحكما ... ت وبالدّين والسُنّة القائمةْ

ولست أُبالي بحبي لهم ... سواهم من النِعَم السائمةْ

انظر الأغاني ٤ : ٣٨٦

(٢) هو السرى بن عبدالله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب ، كان واليا للخليفة المهدى على خراسان ثم صار واليا لمكة سنة ١٤٣هـ . وعزل عنها سنة ١٤٦هـ. ثم عين واليا على اليمامة . انظر تاريخ الطبرى تحقيق أبي الفضل إبراهيم ٧: ٥١١ ، ٥١٥

(٣) انظر الأبيات كاملة في الأغاني ٤ : ٣٨٦ ، والديوان ١٠١ ،وعبّود وصفر جبلان مابين المدينة والسيالة ، يطل أحدهما على الآخر وبينهما طريق المدينة .

(٤) انظر في نسبته : طبقات ابن المعتز ٢٠ ، والاغاني (دار الكتب) ٤ : ٣٩٣، وعيون التواريخ (مخطوط) ٣ : ٦١ وتاريخ دمشق (مخطوط)١ : ٢٣٨ وتهذيب ابن عساكر ٢ : ٢٣٧، وسير أعلام النبلاء ٦ : ٢٠٧ والبداية والنهايه ١٠ : ١٧٠ وشرح شواهد المغني (للسيوطي) ٢ : ٦٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اما الطريق الاول المتمثل في بعض كتب التراجم والأنساب واللغة ، فأكاد أقول : إن تسمية قيس ابن الحارث بالخلج كان واحدا من أسباب الشك في نسبه . ذلك أن من معاني الخلج في كتب اللغة الشك في النسبة . فقالوا : " قوم " خلج " بضمتين " القوم المشكوك في نسبهم المتنازعون فيه (١)

وقيل : " الخلج " الذين انتقلوا بنسبهم إلى غيرهم ، ورجل " مختلج إذا تنوزع في نسبه (٢)

ولعل من أسباب تسمية قيس بن الحارث " بالخلج " أنه كان في قريش فاختلج منهم (٣) ويقال إن قيسا كان من عدوان ، فألحقهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالحارث بن مالك بن النضر بن كنانة ، فسموا خلجا لذلك . (٤)

وقيل إنهم كانوا في عدوان ثم انتقلوا إلى بني نصر بن بكر بن هوازن (٥) وقيل سموا " الخلج " لأنهم نزلوا بالمدينة خلف بطحان ، يدفع عليهم إذا جاء السيل ثلاثة خلج (٦) (جمع خليج) .

وذهب القلقشندي إلى سبب آخر في تسميتهم بالخلج ، فقال " وسموا الخلج لأنهم من عدوان (٧)

وأحسب أن في عبارة القلقشندي حذفا أو نقصا ، وتقدير الحذف ، فيما أظن ، هكذا " ... لأنهم (اختلجوا) من عدوان " .

فإذا صح التقدير لهذه العبارة استقام التعليل كما ذكر سابقوه . فالتقلب بالنسب بين عدوان وغيرهم من القبائل كان سببا من أسباب اتهامهم في نسبهم .

---

(١) تهذيب اللغة (خلج) ٧ : ٦٠ والتكملة (خلج) ١ : ٤٢٤ ، ولسان العرب (خلج) ٣ : ٨٥

(٢) لسان العرب (خلج) ٣ : ٨٥

(٣) الشعر والشعراء ٢ : ٧٣٠

(٤) المعارف ٣١ ، والصحاح (خلج) ١ : ٣١١ ولسان العرب (خلج) ٣ : ٨٥ والقاموس المحيط (خلج) ١ : ١٩٣

(٥) الأغاني ٤ : ٣٦٧ ، وسمط اللآلي ١ : ٣٩٨

(٦) سمط اللآلي ١ : ٣٩٨ وخزانة الأدب ٢ : ٢٥٤

(٧) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٥٣

٣٤٤٨٨٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما ثاني أسباب الاتهام فمرجعه إلى ابن قتيبة ، لأنه أول من تشكك في نسبة الخلج إلى قريش حين قال " وأما النضر بن كنانه فهو أبو قريش ، وولده مالك والملت ، وولد مالك بن النضر فهرا والحارث ، فأما الحارث بن مالك فهو من المطيبين ، ويقال إن الخُلُج منهم ، ويقال كانوا في عدوان ، فألحقهم عمر بن الخطاب بالحارث وسموا خلجا .(١)

فاستعمال ابن قتيبة لصيغة التجهيل في " يقال " وعدم ذكر سلسلة الرواة في هذا الخبر ، صيغة من صيغ الشك .

وقال في الشعر والشعراء " والخلج من قيس عيلان ، ويقال إنهم من قريش "(٢)

والحقيقة أن ابن قتيبة قد وهم فيما ذهب إليه من أن قيس بن الحارث - الخلج - هم من قيس عَيْلان .

ويُحتمل أن يكون شكه في نسبتهم إلى قريش قائم " على هذا الوهم " . فقيس عيلان هم غير قيس بن الحارث .

فقيس عيلان هو ابن مضر بن نزار ، وأما قيس بن الحارث فهو من ولد إلياس(٣) بن مضر ابن نزار ، الذي يرجع إليه نسب قيس بن الحارث ، وإليه يرجع نسب قريش كلها .

وأما تشككه في أنهم من قريش ، وذلك في قوله " ويقال إنهم من قريش " فلا أدري له سببا .

وإذا حاولنا أن نلتمس له العذر في هذا القول ، فلأن الخلج كانوا في قريش أصلا ، ثم تحولوا إلى عدوان ثم انتقلوا إلى بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن . فلما كانت خلافة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - ألحقهم بالحارث بن مالك بن النضر بن كنانه ، ويقال إن عثمان بن عفان - رضى الله عنه - هو الذي ألحقهم ببني الحارث بن فهر وجعل لهم ديوانا "(٤)

---

(١) المعارف ٣١

(٢) الشعر والشعراء ٢ : ٧٣٠

(٣) وهو الذي كان يسمى (جرهما) و (الناس) انظر جمهرة النسب ١ : ١٨٠

(٤) الشعر والشعراء ٢ : ٧٣ والمعارف ٣١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو أن أبا الفرج الأصفهاني أخذ ذلك عن ابن قتيبة ، ولكنه فهم عنه غير ما أراد حين قال " فلما استُخلِف عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، أتوه ليفرض لهم ديوانا ، فأنكر نسبهم "(١)

والحقيقة أن ابن قتيبة لم يقل إنّ عمر قد أنكر نسبهم ولكنه قال إنه ألحقهم بالحارث". (٢)

وعن أبي الفرج أخذ البكري(٣) فيما يبدو ، ونقل القلقشندي(٤) قول ابن قتيبة من أن الخلج من قيس عيلان . وذكر البغدادي ذلك مُرجعا القول إلى ابن قتيبة من غير أن يبدي رأيا فقال " قال ابن قتيبة في الطبقات هو - ابن هرمة - من الخلج من قيس عيلان ، ويقال إنهم من قريش "(٥) غير أنا نجد من أصحاب كتب التراجم والأدب والأنساب واللغة لم يقفوا هذا الموقف المتشكك في نسبة الخلج إلى قريش ، بل إنهم ذهبوا إلى صحة النسبة إليهم ، من ذلك ماذكره ابن دريد في الجمهرة من أن الخُلُج " قبيلة ينسبون في قريش "(٦)

وذكر أبو عُبَيْد البكري هذا في ترجمته لابن هرمة قبل أن ينقل رأي أبي الفرج ، فقال " إبراهيم ابن علي بن سلمة بن هرمة من خُلُج قريش " (٧)

---

(١) الأغاني ٤ : ٣٦٧

(٢) المعارف ٣١

(٣) سمط اللآلي ١ : ٣٩٨

(٤) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٥٣

(٥) خزانة الأدب ٢ : ٢٥٤

(٦) جمهرة اللغة ٢ : ٦٣

(٧) سمط اللآلي ١ : ٣٩٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال ابن منظور " الخليج - هكذا بالياء - قبيلة يُنسبون في قريش ، وهم قوم " من العرب "[١] وعنه نقل الفيروز ابادى[٢] فيما يبدو .

ونقل القلقشندي عن صاحب تاريخ حماة " أن الخلج في عداد قريش[٣]. ونقل الزبيدى قول ابن منظور وذكر مصدره[٤].

فالشك في نسبة قيس بن الحارث - الخلج - إلى قريش شك ضعيف ، ذلك أن فهرا هو أبو الحارث ، والحارث هو ابو قيس ، وفهر هو أبو قريش باتفاق النسّابين ، ذكر هذا الكلبي فقال " ... فولد مالك بن النضر فهرا ، وإليه جماع قريش ، وولد فهر (وهو قريش) غالبا وأسدا ..."[٥]

وقال مُصعب الزبيري " اسم فهر بن مالك قريش ومن لم يلد فهر فليس من قريش ... فولد مالك بن النضر فهرا وهو قريش".[٦]

وذكر مثل هذا ابن قتيبة ، فقال " وأما فهر بن مالك فمنه تفرقت قبائل قريش فقيل لهم بنو فهر "[٧]

وقال أبو الفرج " الفهر أصل قريش ، فمن لم يكن من ولده لم يُعَدّ من قريش "[٨]

---

(١) لسان العرب (خلج) ٣ : ٨٥

(٢) القاموس المحيط (خلج) ١ : ١٩٣

(٣) نهاية الأرب ٥٣

(٤) تاج العروس (خلج)

(٥) جمهرة النسب ١ : ١٨٠

(٦) نسب قريش ١٢

(٧) المعارف ٣١

(٨) الأغاني ٤ : ٣٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال ابن حزم " ... وهؤلاء ولد فهر بن مالك بن النضر وهم قريش لاقريش غيرهم ، ولايكون قريشي (هكذا بالياء) إلا منهم ، ولا من ولد فهر أحد إلا قريشي "(١)

وثاني هذه المصادر ما روّجه ابن هرمة نفسه من أنّ هرمة دعي في الخُلُج ، والخلج أدعياء في قريش"(٢) وكرر ذلك مرارا ، فمنه مايروى من " أنه لما وفد على المهدي في رجال من بني هاشم ، وكان ابن هرمة يأكل الناطف(٣) قمر موكب أحد الوزيرين أبي عُبَيدالله أو يعقوب بن داود فحاول ابن هرمة أن يتخلص من الناطف فجعل يتوسل لمن معه من بني هاشم أن يأخذوه منه ، فعنفوه على ذلك فقال " قد علمت أنه لا يُبتلى بهذا إلا دعيّ أدعياء ".(٤)

ومنه أيضا ، قوله " أنا ألأم العرب دعي أدعياء ، هرمة دعي في الخلج والخلج أدعياء في قريش ".(٥)

وتلقف الناس عنه هذا الاتهام ، فرموه به حين أرادوا العبث به أو السخرية منه ، من ذلك أنه لما بعث إلى إبراهيم(٦) بن حسن بن حسن برقعة(٧) يطلب فيها نبيذا ، فلما قرأ إبراهيم الرقعة قال " أمنّي يطلب الدعيّ الفاعل نبيذا ".(٨)

---

(١) جمهرة أنساب العرب ٢٢

(٢) الأغاني ٤ : ٣٦٨

(٣) نوع من الحلوى

(٤) الأغاني ٤ : ٣٧٢

(٥) المصدرنفسه ٤ : ٣٧٢

(٦) روى أبو الفرج أن ابن هرمة بعث بالرقعة إلى الحسن بن الحسن بن علي ولكنّ محققي الأغاني نفوا أن يكون الحسن بن الحسن بن علي هو المعنيّ بها لتقدم عصره على عصر ابن هرمة ، وقالوا " والصحيح أنها مع ابنه إبراهيم بن الحسن وكان متصلا به، وصحيح ماذهب إليه المحققون ، فقد ذكرت الرواية في ج١١-٣٥١ (دار الكتب) على أن المعنيّ بها إبراهيم بن حسن .

(٧) كتب فيها بيتين من الشعر هما:

إني استحيتك ان افوه بحاجتي ... فإذا قرأتَ صحيفتي فتفهَّمِ

وعليك عهد الله إنْ أنبأتـــه ... أهل السيالة إنْ فعلتَ وإنْ لمِ

(٨) الأغاني (دار الكتب) ٦ : ٩٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهجا محمد بن عمران لبخله في أبيات منها قوله :-

مثل ابن عمران آباء له سلفوا يجزون فعل ذوي الإحسان بالدون

فضُرب على أنفه ، وقيل له " عنيت من آبائه أبا سليمان محمد بن ظلحة يادعي " .(١)

واجتمع قوم من قريش أحبوا أن يأتوا ابن هرمة في منزله فيعبثوا به ، فتزودوا كثيرا ، ثم أتوه زاعمين أنهم يريدون ضيافته في بيته ، فامتنع فقالوا له " ياعدو الله يادعي " .(٢)

ولسنا نعدّ ماقاله ابن هرمة عن نفسه من أنه دعي ، ولا ما قاله غيره صوابا ، لاعتبارين رئيسيين :-

أحدهما : يتعلق بابن هرمة وطبيعة حياته ومكوّنات شخصيته .

وثانيهما : أننا نجد أخبارا وروايات تقول بغير الشك ، وتثبت انتسابه إلى قبيلته ، وتثبت صحة انتساب قبيلته في قريش .

وأما الاعتبار الاول ، فنستطيع القول " إنّ الظروف النفسية والشخصية التي أحاطت بابن هرمة جعلت منه شخصيةً غير طبيعية ولا سوية في سلوكها مع الناس : ذلك أن ابن هرمة ذاق الفقر ، وعرف الحرمان ، وأحس باليأس ، فأدمن الخمر ، وجعل يستدين من الناس (٣)

---

(١) المصدر نفسه ٤ : ٣٩١

(٢) المصدر نفسه ٥ : ٢٦٢

(٣) انظر الأغاني ٤ : ٣٧٦ ، ٦ : ١٠٨ ، ١٢ : ٢٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأن طبيعة حياته ، وسوء سلوكه - فيما أظنّ - وإهمال قبيلته له ، وتجرّأه عليهم ، وتروبجه لاتهامهم بنسبهم في قريش دفعهم إلى أن يفكروا بنفيه ، فهجاهم .(١)

أحارِ بن فهر كيف تطّرحونني
وجاء العدى من غيركم تبتغي نصري

وأكاد أزعم أن في أسرة ابن هرمة عيبا لسوء سلوك فيهم أو لعدم رضاهم عن واقعهم الاجتماعي .

فقد كان لابن هرمة عم يقال له " هرمة الاعور " أرادت الخلج نفيه ، فقال " أمسيت ألأم العرب ، دعي أدعياء ، ثم هجاهم بقوله :(٢)

رأيت بني فهر سباطا أكفهم ... فما بال ، أنبوني أكفكمُ قفْدا(٣)
ولم تدركوا ما أدرك القوم قبلكم ... من المجد إلا دعوة ألحقت كَدّا
على ذي أيادى الدهر أفلح جدهم ... وخبتم فلم يصرع لكم جدُّكم جدا

وأما الظروف الشخصية ، فكان لها أثر في تركيبه النفسي،وإن صحّ لي أن أستعمل مصطلحات علم النفس فإني أقول إن ابن هرمة كان معقدا نفسيا بسبب شكله . فقد روى أبو الفرج أنه كان قصيرا دميما أرْيمص ".(٤)

---

(١) المصدر نفسه ٤ : ٣٦٨

(٢) المصدر نفسه ٤ : ٣٦٧

(٣) قفدوا : القفد : ميل في الكفّ ، يريد أنهم بخلاء
وسبطا : جمع سبط ، ويكنى بسبوطة الكفين عن الكرم والسخاء

(٤) الأغاني ٤ : ٣٨٣. وأريمص : تصغير أرمص ، وهو وصف من الرمص في العين ، وهو ما سال مما تلفظ به العين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل هذه الظروف الشكلية كوّنت عنده ظاهرة الظرف والعبث ، اصطنعهما ليستر بهما نفسيته ، فيقول مايريد ويعبث متى يشاء ، وما إدمانه الخمر ، فيما أظن إلا وسيلة من وسائل الهروب النفسي .

وأكاد أزعم أن سلوكه الاجتماعي كله كان من هذا الجانب .

ومن هذا المنطلق الشكلي والنفسي يُفسَّر سلوك عمه أيضا ، فقد كان أعور فيما روى .(١)

كان ابن هرمة ضعيف النفس ضعيف المكانة في المجتمع ، فليس عنده مايواجه به الناس والمجتمع سوى هذا اللون من الحياة ليرضي نفسه ويرضي غيره .

وعرف الناس فيه هذا الجانب ، فتجرأوا عليه ، وعبثوا به ، وكانوا يفتعلون الأحداث ، ويمشون المسافات ليضمهم بابن هرمة مجلس ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، أسوق بعضها شواهد على ماقلت .

أتى ابنُ ميادة(٢) ابنَ هرمة ، فقال له : لابدّ أن نتهاجى ، فقال ابن هرمة : بئس مادعوت إليه ، ولم يزل ابن ميادة يلحّ في الطلب ، حتى قال ابن هرمة يهجو نفسه ، أما والله إنني للذى يقول :(٣)

وإنّي لميمونٌ جوارا وإنني ... إذا زجر الطيرَ العدا لمشومُ
وإني لملآن العنان مناقل ... إذا ما وفى يوما ألفٌّ سؤومُ(٤)
فودّ رجال أنّ أمّي تقنعت ... بشيب يُغشّي الرأس وهي عقيمُ

فقال له ابن ميادة : ثكلتك أمك ، أنت ألأم من ذلك.ماقلت إلا مازحا .

---

(١) المصدر نفسه ٤ : ٣٦٧

(٢) ابن ميادة ، هو ابو شراحيل ، واسمه الرماح ، وميادة : أمه ، وهي أم ولد بربرية ، وهو شاعر مقدم فصيح، لكنه كان متعرضا للشر طالبا لمهاجاة الناس ومسابة الشعراء ، كان في أيام هشام بن عبدالملك وبقي إلى زمن المنصور .
انظر في ترجمته : خزانة الأدب (البغدادى) ١ : ١٥٢

(٣) الاغاني ٤ : ٣٦٩

(٤) ملآن العنان : يقال : فلانٌ ملآن عنان جواده : إذا أعداه وحمله على الحضر الشديد .
والمناقل : السريع نقل القوائم
والألفّ : الثقيل البطيء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقصة المجلس الذي ضم ابن هرمة والأسلمي شاهد آخر ، ذكره أبو الفرج رواية عن الزبير بن بكار عن عبدالله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال :-

" زار ابن هرمة عبدالله بن حسن ببابيته ، وجاءه رجل من أسلم ، فقال ابن هرمة لعبدالله بن حسن : سل الأسلمي أن يأذن لي في أن أخبرك خبري وخبره ، فأذن الأسلمي له ، فقال ابن هرمة : خرجت أبغي ذودا[1] لي فضفت الأسلمي ، فذبح لي شاة وأكرمني . ثم غدوت من عنده ، ثم خرجت في بغاء ذود لي ، فأوحشت[2] فضفته فقراني بلبن وتمر . ثم غدوت من عنده ، ثم خرجت في بغاء ذود لي ، فقلت : لو ضفت الأسلمي ، فاللبن والتمر خير من الطوى ، فجاءني بلبن حامض .

فاستأذن الاسلمي ليخبر لِمَ فعل هذا بابن هرمة ، فأذن له ، فقال " ضافني فسألته من هو ؟ فقال : رجل من قريش ، فذبحت له الشاة التي ذكر . ثم غدا من عندي ، وغدا علي الحي ، فقالوا : من كان ضيفك البارحة ؟ قلت : رجل من قريش ، فقالوا لا والله ماهو من قريش ، ولكنه دعيّ فيها ، ثم ضافني الثانية على أنه دعيّ في قريش فجئته بلبن وتمر ، وقلت : دعيّ قريش خير من غيره ، ثم غدا من عندي ، وغدا علي الحي فقالوا : من كان ضيفك البارحة ؟ قلت : الرجل الذي زعمتم أنه دعيّ في قريش ، فقالوا : لا والله ماهو بدعيّ في قريش ، ولكنه دعيّ أدعياء قريش ، ثم جاءني الثالثة ، فقربته لبنا حامضا ، ووالله لو كان عندي شرّ منه لقربته إياه .

قال : فانخذل ابن هرمة ، وضحك عبدالله وضحكنا معه "[3] وأرجّح أن يكون هذا الخبر مُلَفّقا مصنوعا غايته اتهام ابن هرمة في نسبه ، فصنعوا له هذا الحكاية من ضيافته الأسلمي وضياع ذود له ثلاث مرات ، لينزل في كل مرة ضيفا عليه ، وفي كل مرة يكتشف القوم فيه علّة ، فمرة هو دعيّ في قريش ، ومرة هو دعيّ أدعياء في قريش .

---

(١) الذوْد : القطيع من الإبل من الثلاث إلى التسع ، وقيل مابين الثلاث إلى الثلاثين ، ولايكون إلا من الإناث دون الذكور .

(٢) يقال " أوحش الرجل : إذا جاع ونفد زاده " .

(٣) انظر الخبر كاملا في الأغاني ٤ : ٣٦٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم ، ماكان ضر الحي لو أنهم أخبروا صاحبهم الأسلميّ بنسب ضيفه أول مرة ، ليريحوا صاحبهم ويخففوا عنه عبء الضيافة ؟ ولكن الخبر ، فيما أظن ، قائم على هذا الاتهام .

عرف الناس فيه ظاهرة ، الضعف ، فعبثوا به وتجرأوا عليه في شخصيته ونسبه فقالو له : يادعيّ ، صراحةً إن غضبوا عليه وألغزوا بالاتهام إنّ حسدوه في شاعريته .

وكلّ الأخبار التي وصلت إلينا عن اتهام الناس له في نسبه قائمة على هذين الأمرين .

زاره جماعة من قريش ليعبثوا به فتنبه لهدفهم فرفض طلبهم فقالوا له : ياعدوّ الله يادعيّ .(١)

وحسده كُثيّر(٢) يوم سمع شعرا له فأعجبه ، فلم يستطع أن يعيب الشعر فعاب عليه نسبه ، والخبر ذكره أبو القاسم الزجاجي(٣) في أخباره رواية عن المعنويّ نسوقه كاملا .

" أخبر المعنوى ، قال : أخبرنا مسيح بن حاتم عن أبي الفضل الرياشي قال : وقف ابن هرمة على أبي وعنده نُصَيبٌ و (كُثيّر)(٤) فقال له : يا أبا عامر ، إني قد عملتُ أبياتا ، وقد غدوت

---

(١) الأغاني ٥ : ٢٦٣

(٢) هو كثير بن عبد الرحمن المعروف بكثير عزه

(٣) أخبار أبي القاسم الزجاجي (تحقيق . الدكتور عبد الحسين المبارك) ٤٣

(٤) هذه زيادة ليست في أصل الكتاب ، وانما اقتضتها طبيعة الخبر فقدرتُها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بها إليك وأحب أن يسمعها هذان الشيخان ، قال هاتهما ، فأنشأ :-

طرقتْ عُلَيَّةَ صحبتي وركابي ... أهلا بطيفِ عُلَيَّةَ المُنتابِ

حتى أتى على قوله (١)

هلاّ سألتِ اذ الكواكب أُمحلتْ

وعفتْ مطيّة طالبِ الأسبابِ

وغدا الرعاة معطّلي أقدامهم

لثعالب يشوونها وذئابِ

هل ذُمّ من أحد أراد خليعتي

أم هل تعدوا ساحتي وجنابي

فقال له كُثّير : يا ابن هرمة ، شعرك هذا يدل على غير البيت الذي انتسب إليه ، يعني أن شعر قريش ضعيف وهذا شعر فحل جيد .

قال المعنوى " حمل حسد الصناعة على أن قدح في نسبه حين لم يجد في شعره مغمزا " .

وإذا تجاوزنا هذا كله ، وجدنا أنّ التقاذف بالأنساب والاتهام فيها كان عادة متفشية في ذلك العصر ، أو لنقل إنّ ابن هرمة كان يلقي بهذه التهمة على نفسه وعلى غيره من الناس . فكما اتهم نفسه وقومه في نسبهم اتهم غيره كذلك ، فقال يهجو قوما (٢)

هجوتُ الأدعياء فخاصمتني ... معاشر خلتها عربا صحاحا

فقلت لهم وقد نبحوا جميعا ... علي فلم أُجبْ لهمُ نباحا

---

(١) هذه الأبيات ليست في ديوان ابن هرمة ط (الدكتور عطوان) ولاقي ط (الاستاذ المعيبد) .

(٢) الأخبار الموفقيات ٤٩٠ ، والديوان (المعيبد) ٨٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أأنتم منهمُ فأُصدّ عنكم ... وأُنسبكم لنسبتهم صُراحا
وإلاّ فاحمدوا رأيي فإني ... أُزحزح عنكمُ الإبن القباحا
وحسبك تهمة لصحيح قوم ... يمدّ على أُخي سقم جناحا

وأما الاعتبار الثاني - في رفض اتهام ابن هرمة في نسبه فهو أننا وجدنا أخبارا تثبت نسبه في قومه الحارث بن فهر ، وتثبت ، أيضا ، صحة انتساب هرمة في الخُلُج .

وهذه الأخبار لها مصدران اثنان :-

أولهما : من أشعار ابن هرمة نفسه

وثانيهما : أخبار النسّابة والشعراء المعاصرين له .

أما أشعاره فتشهد صراحة على صحة نسبه ، من ذلك أبياته في مدح عبد الواحد بن سليمان بن عبدالملك التي مطلعها :(١)

صرّمتَ حبائلا من حبّ سلمى ... لهندٍ ماعمدت لمُستراحِ

يقول فيها :

لعمرك إنني وبني عديٍّ ... ومن يهوى رُشادى أو صلاحي
إذا لم ترضَ عني أو تصلني ... لفي حَيّين أُعالجه متاحِ

وبنو عدي هم قوم الشاعر ، وهو عدى بن قيس بن الحارث بن فهر .(٢)

---

(١) الأغاني ٦ : ١٠٧

(٢) انظر جمهرة النسب (ابن الكلبي) ١ : ١٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن ذلك ، أيضـــا ، قوله في عبد الواحـــد :

إذا قيل مَن عند ريـب الزمـــان

لمُعترّ فهـــر ومحتاجهـــا [1]

وأبياته التي مدح فيهـــا الحكم بن عبد المطلب [2] تدل دلالة صريحـــة على نسبه في قريـــش إذ يعترف بقرابته للحكم ، يقول له : [3]

لاعيب فيك تعاب إلا أنني

أُمسي عليك من العيون شفيقا

إنّ القرابة منك يأمن أهلهـــا

صلة ويأمن غلظة وعقوقـــا

وثاني المصادر التي تثبت سلامة انتمائه القرشي ، تلك التي ذكرها الشعراء والمعاصـــرون لابن هرمـــة .

وأول هذه الأخبار مارواه أبو الفرج من أن جريرا قدم المدينة ، وأتاه ابن هرمة وابن أذينة ، فانشداه ، فقال جرير " القرشي أشعرهما والعربـــي أفصحهما " [4]

---

(١) البيان والتبيين ٣ : ٣٧٢ ، والأغاني ٦ : ١١١. وهذا البيت وأبيات أخرى تليه وردت في شعر ابن هرمـــة ط . الدكتـــور عطوان ٨٥، ولم ترد فـي ط . المعيبد .

والمعتر : الذي يتعرض ليصيب خيرا من غير ســـؤال .

(٢) هو الحكم بن عبد المطلب بن عبدالله بن المطلب بن حنطب المخزومي ، من أجواد قريش ، من أهـــل المدينة ، وكان من سادة قريش ووجوهها . انظر في ترجمته (نسب قريش) ٢٢٩

(٣) تهذيب ابن عساكر ٤ : ٤٠٣

(٤) الاغاني ٤ : ٣٩٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وثانيهما : ماروي عن السريّ بن عبدالله الهاشمي ، أنه قال لابن هرمة بعد أن مدحه بقصيدته التي أولها : (١)

عوجا على ربع ليلي أمّ محمود

كما نسائله من دونه عبود

قال له : مرحبا بك يا أبا إسحق ، ماحاجتك ؟

قال : جئتك عبداً مملوكا .

قال السري : لا ، بل حرا كريما وابن عم .

وثالثهما : ماروي عن الحسن بن زيد أنّه لما ولي المدينة أتاه ابن هرمة ، فهدده الحسن إن لم يتب عن شرب الخمر قائلا له " وأنا أقسم لئن أتيتُ بك سكران لأضربنك حدا للخمر وحدا للسكر ولأزيدن لموضع حرمتك بي " (٢)

والأمثلة على ذلك كثيرة ولكننا نكتفي بما أوردنا .

---

(١) المصدر نفسه ٤ : ٣٨٣

(٢) انظر الخبر كاملا في الشعر والشعراء ٧٣٠ والكامل (المبرد) ١ : ٢٠٧ والأغاني ٤ : ٣٧٥ ، وزهر الآداب وثمر الالباب ١ : ٨٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيـــا : أُســـرتـــه

ليس بين أيدينا من أخبار أسرته تفصيلات كثيرة تسعفنا في الوقوف على أفرادها ، وكل الذي استطعنا الوقوف عليه من أمر هذه الأسرة أن ابن هرمة تزوج مرتين ، كان زواجه الأول من أم عياله ، ولكننا لم نستطع الوقوف على اسمها أو على مزيد من التفصيلات تبيّن لنا وضعها في أسرته أو علاقتها بزوجها وأبنائها ، لأن المصادر التي بين أيدينا قد سكتت عن ذلك ، وأن أخبار هذه الزوجة قد ضاعت فيما ضاع من أخبار زوجها .

ولكنا نستطيع القول إن زوجته هذه لم يكن سلوكها كسلوك ابن هرمة ، بل إنها لم تكن راضية عن تصرفات زوجها من سكر ومجون وانحراف ، وكانت حريصة على أن ترده إلى جادة الصواب .

رأته مرة على حالة من السكر فلامته على ذلك وعاتبته، روى أبو الفرج قال " قال عبدالله بن حسن لإبراهيم بن هرمة: يا ابن هرمة ، انقل عيالك إلينا يكونوا مع عيالنا . فقال : أفعلُ يا ابن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قدم ابن هرمة المدينة وجهّز عياله لينقلهم إلى عبدالله بن حسن ، فبينا هو قد شدّ متاعه وحمله إذ أتاه صديق له ، فقال : أي أبا إسحق ، عندي والله نبيذ يسقط لحم الوجه ، فقال ويحك أما ترانا على مثل هذه الحال ؟ أعليها يمكن الشراب ؟ فقال : إنما هي ثلاثة لا تزد عليهن شيئا ، فمضى معه وهم وقوف ينظرون ، فلم يزل يشرب حتى مضى من الليل صدرٌ صالح ، ثم أُتي به وهو سكران نطرح في شق المحمل وعادلته[1] زوجته ومضوا . فلما أسحروا[2] رفع رأسه فقال : أين أنا ؟ فأقبلت عليه امرأته تلومه وتعذله وقالت: قد أفسد عليك هذا النبيذ دينك ودنياك ، فلو تعللت عنه بهذه الألبان ، فرفع رأسه إليها وقال :

لا تبتغي لبن البعير وعندنا ماء الزبيب وناطف المعصار[3]

---

(١) عادلته : كانت معه في الشق الآخر من المحمل

(٢) أسحروا : وقت السحر

(٣) الأغاني : ٤ : ٣٧٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولست أشك في أن زوجته هذه قد تحمّلت معه هموم الحياة ، من ذلك ماروا ه أبو الفرج ،أيضا، من أن ابن هرمة أصابته أزمة في المدينة فاستنهضته زوجه للخروج إلى دمشق عند عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ولم يكن عند ابن هرمة ما ينهضه ، فقالت له : أنا أنهضك بما أمكنني ".(١)

ولست أشك ، أيضا ، في أنها أنجبت منه أبناءه وبناته . أما زوجته الثانية ، فلست أعرف من أخبارها شيئا سوى أنه قهرها نعليه حين قالت له " أعطني شيئا ، فقال والله ما معي إلا نعلاي فدفعهما إليها ، ومضى معها ".(٢)

وليس يُعرف هل استمرا في علاقتهما الزوجية ، أو أنه طلقها ، فالمصادر لاتزيد على هذا الخبر شيئا .

وأقدّر أنّ له ولدين أحدهما اسمه (إسحق) والثاني اسمه (عَبَكَيّ).

أما ولده إسحق ، فلست أعرف عنه شيئا ولم يذكره أبوه في شعره قط .

وربما كان إسحق من حفظه شعر أبيه ورواته ، وأنه هو الذى سأل أباه يوم أنكر أبياته في بني فاطمة قائلا : " ياأبت ألست قائلها "(٣)! ولكني لا أملك دليلا واحدا يقوّي هذا التقدير .

---

(١) الأغاني ٦ : ١٠٨ وتاريخ دمشق (مخطوط) لابن عساكر ١ : ٢٣٨

(٢) الأغاني ٤ : ٣٩٥

(٣) والأبيات هي قوله :

ومهما ألام على حبهم ... فاني أحب بني فاطمة

بني بنت من جاء بالمحكما ... ت وبالدين والسنّة القائمه

ولست أبالي بحبي لهم ... سواهم من النعم السائمة

انظر في ذلك الأغاني ٤ : ٢٨٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما ولده عُبَيّ ، فقد ذكره ابن هرمة في شعر له مرتين مرة في قصيدة مدح بها السرى بن عبدالله يوم كان واليا على اليمامة[١] وكان الشاعر قصده هناك فمدحه وأقام عنده أياما ثم قال له السرىّ : قل شعرا تشوّق فيه ، فقال قصيدته التي مطلعها .[٢]

أ ألحمامة في نخل ابن هدّاج هاجت صبابةَ عاني القلب مهتاج

وفيها يقول:[٣]

هاج العُبَيّ إلى شوق فشوّقني

فعجت من قلب ماض غير منعاج

والمرة الثانية التي ذكر فيها (عُبَيّا) هي قوله :[٤]

الله جار عُبَيّ دعوة شفقا

من الزمان وشر الأقرب الوالي

ووهم محققو الأغاني حين ذكروا اسم (عُبَيّ) مصحفا مرتين . مرة حين رسموا (العُبَيّ) بشكل الصبي ، فأوردوه هكذا :

هاج (الصبي) إلى شوق فشوقني ... البيت [٥]

وعنه نقل جامع شعر ابن هرمة ، حين أورد هذا البيت كما هو عند أبي الفرج .

---

(١) كان ذلك سنة (١٤٤)هـ ، تاريخ الطبرى ٧ : ٥٥١

(٢) الأغاني ٤ : ٣٨٦

(٣) المصدر نفسه ١٣ : ٢٨٥

(٤) الأغاني (ط : الثقافة) ١٩ : ٢٨٥

(٥) المصدر نفسه ١٣ : ٢٨٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يشر أبو الفرج في أغانيه إلى أن (العُبَيّ) هو ابن إبراهيم بن هرمة وكذلك لم يفعل الأستاذ المُعَيبد.(١)

والحقّ أن الصغاني هو أول من صرّح باسم عُبَيّ على أنه ابن إبراهيم بن هرمة ، فقال " عُبَيّة - مصغرة - بنت إبراهيم بن عليّ بن سلمة بن عامر بن هرمة الشاعر ، وأخوها عُبَيّ "(٢)

والمرة الثانية التي وقع فيها تصحيف عُبَيّ كانت في الأغاني ، أيضا ، وذلك في قوله ".(٣)

الله جار (عتي) دعوة شفقا .... البيت

وعنه أخذ الاستاذ المعيبد مرة اخرى ، ولكنه زاد في الحاشية تعديلا ظن فيه الصواب حين قال " ولعل الصواب (الله جار مُعَنّى)"(٤)

ويُظن أن عُبَيّا مات في حياة والده ، وأن أباه رثاه في قصيدة لم يبق منها إلا بيتان هما :-(٥)

الله جار (عُبَيّ) دعوة شفقا ... من الزمان وشر الأقرب الوالي

من كلّ أحْيَدَ عنه لايقرّبُه ... وسط النجيّ ولاقي المجلس الخالي

ويخيل إليّ أن هذين البيتين من قصيدة واحدة إلا أنهما غير متتاليين .

---

(١) ديوان ابن هرمة : ٧٧

(٢) التكملة ٦ : ٤٦٦

(٣) الأغاني ١٩ : ٢٨٥ وفي طبعة الساسي (جار عتني) ١٨ / ١٠٠ وهذا وهم كما ترى

(٤) ديوان ابن هرمة حاشية (١) ، ص ١٩٨

(٥) الأغاني ١٩ : ٢٨٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويزيد من ظني هذا ماتناقلته بعض الكتب التي ذكرت أبياتا لابن هرمة ، فوقفت عند قوله :(١)

وأنت من الغوايات حين تُرمى ومن ذم الرجال بمنتزاح(٢)

فقالوا فيه " قاله في رثاء ابنه ".(٣)

وهذا وهْمٌ منهم أجمعين ، ذلك أن هذا البيت قيل في مدح عبد الواحد بن سليمان بن عبدالملك من قصيدة بلغت تسعة عشر بيتا في الديوان .(٤)

وعلى الرغم من هذا الوهم القائم إلا أن في البيت دليلا على ماذهبتُ اليه من أن واحدا من أبنائه - وأظنه عُبيّا - قدمات في حياة أبيه ، وأن أباه رثاه بقصيدة لم يصل إلينا منها إلا البيتان السابقان .

ويقوّي من ظني ، أني وقفت على بيت شعر لابن هرمة أُقدّر أنه وجهه لابنه وكان مريضا ، وكان ابن هرمة، حينذاك ، مسافرا إلى اليمامة ليمدح السريّ بن عبدالله .

يقول ابن هرمة في البيت .(٥)

ولقد نذرتُ لئن لقيتك سالما

أن لا أُعالج بعدك الأسفارا

وأما بناته فهن غير اثنتين فيما يبدو ، وقد ورد ذكرهن بصيغة الجمع غير مرة .

---

(١) الخصائص ٣ : ١٢١

(٢) بمنتزاح : أراد بمنتزح ، مفتعل من النازح ، والألف : منشأة عن إشباع الفتحة . المصدر السابق ٣ : ١٢١

(٣) الحماسة البصرية ١ : ١٨٩ ، وأمالي الشجرى ٢ : ٥٥٨ ، والخصائص ٣ : ١٢١ والصحاح ١ : ٤١٠

(٤) الديوان ٨٤

(٥) الديوان ١١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذكر ابن عساكر في تهذيبه فقال " قال بعضهم : نزلت ببنات ابن هرمة بعد أن مات فرأيت حالتهن سيئة ... "(١)

وعن إبراهيم بن محمد قال " نزلت ببنات ابن هرمة بعد أن هلك فرأيت حالتهم سيئة ، فقلت لبعض بناته ... "(٢)

ولم تقفنا المصادر التي بين أيدينا على مزيد من المعلومات عن بنات الشاعر ، وكل ما استطعت الوقوف عليه أنهن كنّ يعشن في مشقة وحرمان ، والخبران السابقان يدلان دلالة واضحة على ذلك .

وانفرد الصغاني في التكملة بذكر واحدة من أسماء بناته وهي (عُبَيّة) قال " عُبَيّة - مصغرة - بنت إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة الشاعر ".(٣)

ووهم محققو الأغاني مرة أخرى حين ذكروا اسمها مصحفا كما فعلوا من قبل في أخيها (عُبَسّي) .

ففي خبر عن ابن هرمة أنه " لمّا مدح أبا الحكم المطلب بن عبدالله عاتبه بعض الناس في ذلك ، وقالوا له " أتمدح غلاما حديث السن بمثل هذا ؟ قال نعم . وكانت له ابنة يلقبها (عيينه) .

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٢ : ٢٣٩

(٢) ذيل الأمالي ٢ : ١١٠

(٣) التكملة ٦ : ٤٦٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال الزبير[١] كان يلقبها (عينه)[٢] فقال :[٣]

كانت عُبَيْنَةُ فينا وهي عاطلة

بين الجواري فعلاها أبو الحكم

فمن لحانا على حسن المقال له

كان المليم وكنّا نحن لم نلم[٤]

ويبدو أن (عُبَيّة) قد كبرت حتى صارت من الفتيات اللواتي يُنظر إليهن بعين الاهتمام كما فعل أبو الحكم .

ويبدو ، أيضا ، أن ابن هرمة ترك بعد وفاته بُنَيّة صغيرة لم تبلغ الحلم . روى الأصمعي قال " قال رجل من أهل الشام قدمت المدينة فقصدت منزل إبراهيم بن هرمة ، فاذا بُنيّة صغيرة تلعب بالطين ".[٥]

وكان لابن هرمة عم اسمه علي بن هرمة ، وقد نُسب إليه خطأ في كتاب شرح نهج البلاغة هذان البيتان :[٦]

ومن لم يرد مدحي فإنّ مدائحي

توافق عند الاكرمين سوام

توافق عند المشترى الحمد بالندى

نفاق بنات الحارث بن هشام

---

(١) هو الزبير بن بكار

(٢) هكذا بياء واحدة مثناة ونون

(٣) الأغاني (دار الكتب) ٤ : ٣٩٤

(٤) المُليم : من الام الرجل إذا أتى مايلام عليه

ولم نلم : لم نأت مايلام عليه

(٥) تهذيب ابن عساكر ٢ : ٢٣٩

(٦) شرح نهج البلاغة (تحقيق أبي الفضل إبراهيم) ١٨ : ٢٨٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحقيقة أن البيتين ثابتا النسبه لإبراهيم بن هرمة[١] ولا أدرى هل عليٌّ هذا هو نفسه هرمة الأعور الذى أرادت الخلج نفيه فهجاهم .[٢]

ولابن هرمة ابن أخ اسمه محمد بن مالك بن علي ابن هرمة ، وكان يكنى (أبا مالك) وقد روى عن عمه إبراهيم بن هرمة شيئا من شعره[٣] والبيتان السابقان من مروياته .

وأما مالك بن علي بن هرمة ، أبو محمد ذاك ، فهو أخو إبراهيم بن هرمة ، كما يظهر لنا ، وليس بين أيدينا أخبار عنه أو ذكر له .

ومما تجدر ملاحظته أن ابن هرمة لم يذكر أبويه في شيء من شعره . ولست أدرى إن كان ذكرهما بشعر له ولكنه ضاع فيما ضاع من أشعاره وأخباره .

وكل الذى بين أيدينا من أخبارهما بيت من الشعر ، ذكر فيه أمه ، ولكنه ذكر بسوء .

قال ابن هرمة في أبيات - ذكرناها - هجا فيها نفسه حين طلب منه ابن ميادة أن يتهاجيا :[٤]

فود رجال أنّ أمي تقنعتْ بشيب يغشّي الرأس وهي عقيمُ

---

(١) انظر في ذلك : ثمار القلوب (للثعالبي) ٢٩٨ . وتاريخ مدينة دمشق (قسم تراجم النساء) تحقيق سكينة الشهابي ١١٩ ، وربيع الأبرار (السيوطي) ٣ : ١٧٠

(٢) انظر الأبيات ص ١٥ من هذه الدراسة .

(٣) تاريخ مدينة دمشق (قسم تراجم النساء) ١١٩ . وتاج العروس ٩ : ١٢

(٤) الأغاني ٤ : ٣٧٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــــــــــــل الثانـــــــــــي

(حياته ونشأتـــــــــــــــه)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مولـــــــده :

اختلف المترجمون لابن هرمة في تحديد سنة ولادته وبلـــغ الاختلاف بينهـــــم ثلاثـــين ســـنة .

ذكر ولادتَه سنة ستين ابنُ شاكر الكتبي[١] ، وذكرها سنة سبعين صلاح الدين الصفدي[٢] والسيوطـــي[٣] وعبد القادر البغدادي[٤]. وتابعهم في ذلك بعض المحدثين[٥]

وذكر أبو الفرج الأصفهانـــي[٦] روايةً عن البلاذري أنـــه ولـــد سنة تسعين . واختـــار هـــذا التاريخ فريق من المحدثين[٧]

وتفرّد محمد جبار المُعَيْبد بتحديـــد ســـنة ولادتـــه على أنّهـــا ســـنة ثمانـــين .[٨]

---

(١) عيون التواريخ (مخطوط) ٣ : ٦١

(٢) الوافي بالوفيات ٦ : ٥٩

(٣) شرح شواهد المغني ٢ : ٦٨٢

(٤) خزانة الأدب ١ : ٣٨٢ ، وشرح أبيات مغني اللبيب ٥ : ١٥٢

(٥) منهم الدكتور محمد عبد الجواد محقق كتاب (المسلسل في غريب لغة العرب) حاشية الصفحـــه ٤٩.
والدكتور علي توفيق الحمد محقق كتاب (الجُمَل في النحو) للزجاجي حاشية الصفحه ٢٧٨.

(٦) الأغاني ٤ : ٣٩٧

(٧) منهم بر وكلمان في تاريخ الأدب العربي ٢ : ٧٠ ، والدكتور عادل جمال سليمان محقق (الحماسة البصرية) ١ : حاشية الصفحـة ٣١٦

(٨) ديوان ابن هرمة المقدمة ص ١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأحسب أن هذا التاريخ لايستقيم لنا لاعتبارات ثلاثة :-

أولها : أنّ ابن شاكر ذكر هذا التاريخ لولادة الشاعر بصيغة التجهيل ، فقال " ويقال إنه وُلد سنة ستين ".(١)

وثانيها : أنّ ابن شاكر تفرّد بذكر هذا التاريخ . فلم أجد أحدا ، فيما أعلم، ذكره قبله ، ولم أجد أحدا تابعه عليه ممن جاء بعده .

وثالثها : أنّ ابن شاكر ذكر غير هذا في تحديد ولادة الشاعر فقال " ويقال إنّه وُلد سنة سبعين ".(٢)

وأظنّ أن هذا التاريخ في تحديد السنة مُصحّف من سبعين أو تسعين .

أما تحديد أبي الفرج الأصفهاني ، أنه ولد سنة تسعين فهو رواية نقلها عن البلاذري ، وهو اجتهاد بُني على بيت شعر قاله ابن هرمة ، وهو :(٣)

إنّ الغواني قد أعرضْن مقليةً
لمّا رمى هدف الخمسين ميلادي

وكان ابن هرمة أنشد أبا جعفر المنصور قصيدة منها هذا البيت ، كما ذكر أبو الفرج وكان ذلك سنة أربعين ومئة فحسبوا فتمّ لهم الرقم تسعون .

---

(١) عيون التواريخ (مخطوط) ٣ : ٦١

(٢) فوات الوفيات ١ : ٣٤

(٣) الأغاني ٤ : ٣٩٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهـذا الاستنتاج يُدفـــع بدليلين :-

أولهما : أنّ أوّل لقـــاء كان بين المنصور وابن هرمة ، فيما أظن ، يوم بنىٰ المنصـور بغداد سنة خمـــس وأربعين أو ست وأربعين ومئة ، ثم كتب إلى أهل المدينة أن يوفدوا عليه خطباء هم وشعراء هـــم ، فكان ممن وفد عليه ابن هرمة .

وخبر الخطيب البغدادي يشير إلى أن هذا هو اللقاء الأول بينهما ، ولم يثبت أنهما التقيا من قبـل . وأورد الخبر كاملا ليدل على ماذهبت إليه . قال الخطيب البغدادي :

" أخبرنا أبو القاسم الأزهري ، أخبرنا أحمد بن إبراهيم ، حدّثنا إبراهيم بن محمد بـن عرفـــة قال : وفي هذه السنة - يعني سنة خمس وأربعين ومئة - تحوّل المنصور إلى مدينة السلام ، واستتم بناء هـــا سنة ست وأربعين ، ثم كتب إلى أهل المدينة أن يوفدوا عليه خطباء هم وشعراء هم ، فكان فيمن وفـــد عليه ابراهيم بن هرمة . قال : فلم تكن في الدنيا خطبة أبغض إليّ من خطبة تقرّبني منه . واجتمع الخطبـاء والشعراء من كل مدينة ، وعلى المنصور ستْر يرى الناس من ورائه ولايرونه ، وأبو الخصيب ، حاجبه قائم يقول : ياأمير المؤمنين ، هذا فلان الخطيب فيقول : اخطـب . ويقول هـذا فلان الشاعـر ، فيقول انشد . حتى كنت أخر من بقي .

فقـال : ياأمير المؤمنين ، هذا ابن هرمة . فسمعته يقول : لامرحبـا ولا أهلا ، ولا أنعم اللـه به عينـا . فقلت : يانفسُ هذا موقف إن لمْ تشتدّي فيه هلكتِ . فقال أبو الخصيب: انشـد . فأنشدته :

سرى ثوبَه عنـك الصّبـا المتخايـلُ
وقرّبَ للبيْنِ الخليطُ المزايلُ

حتى انتهيتُ إلىٰ قولي :

له لحظـاتٌ في حفافـيْ سريـرهِ
اذا كرّها فيها عقابٌ ونائـلُ

فأمّا الذي أمّنتَـه يأمَنُ الـرّدى
وأمّا الذي حاولتَ بالثّكل ثاكـلُ

فقال : ياغلام ، ارفع عنّي السـتر ، فرفـع فإذا وجهُـه كأنّـه فِلْقَـة قمـر ". (١)

---

(١) تاريخ بغداد ٦ : ١٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلو كان هناك لقاء سابق على هذا بين الخليفة والشاعر لما كره المنصور لقاءه ، ولما اضطربت نفسية ابن هرمة ، ولو كان هناك لقاء لتمت المعاتبة فيه .

وثانيها : أن هذا البيت :

إنّ الغواني قد أعرضْنَ مقليةً

لمّا رمى هدفَ الخمسين ميلادي

يشترك مع أبيات أُخرى موجودة في الديوان . وهذه الأبيات أصلها قصيدتان متباعدتان في الزمان . إحداهما بقي منها ثلاثة أبيات كان ابن هرمة أنشدها في حضرة دواد بن علي[1] عم الخليفة السفاح في مجلس بالرُّوَيثة[2] والأبيات في هجاء مروان بن محمد الخليفة الأموي ، قال فيها :[3]

فلا عفا اللهُ عن مروان مظلمةً

ولا أمَّةً بئس المجلسُ النادي

كانوا كعادٍ فأمسى اللهُ أهلكَهُمْ

بمثلِ ما أهلك الغاويين مِنْ عادِ

فلن يكذّبني مِنْ هاشمٍ أحَدٌ

فيما أقولُ ولو أكثرتُ تِعدادي

---

(١) ويكنى أبا سليمان ، وكان لِسنا خطيبا ، ولي مكة والمدينة لأبي العباس ، وأقطعه قطائع ، وكان المتكلم يوم استُخلف أبو العباس وكان داود في أيام بني أمية مع خالد بن عبدالله القسري .
انظر : أنساب الاشراف (تحقيق . الدوري) ٣ : ٨٧

(٢) مكان على بعد ليلة من المدينة . معجم البلدان (الرويثة)

(٣) الأغاني ٤ : ٣٤٧ ، وشرح نهج البلاغه (تحقيق أبي الفضل إبراهيم) ٧ : ١٤٠
والديوان ١٠٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وثاني هاتين القصيدتين لم يبق منها إلاّ بيتٌ واحد ، وهو البيت الذي أورده ثعلب رواية عن الأصمعي مستدلا به على أنّ ابن هرمة نشأ في ديار تميم ، وأنه أنشد الرشيد بلغتها ، فقال :(١)

أعنْ تغنّتْ على ساق مطوّقةٌ

ورقاء تدعو هَديلا فوق أعواد

وليس بين أيدينا من أبيات ابن هرمة على هذه القافية إلا هاتان القصيدتان .

وأما قول محمد جبّار المَعيْبد أنّ ابن هرمة ولد سنة ثمانين ، فيبدو أنه تحديد لايستقيم لنا ، لأني وجدتُ أبياتا لعُبَيْدالله بن قيس الرّقيات يخاطب فيها ابن هرمة ، وهي ، فيما يبدو نصيحة كبير إلى شاب متسرع . قال فيها :(٢)

وقومك لاتَجْهلْ عليهمْ ولا تكُنْ

بهم هِرِشاً تغتابُهمْ وتُقاتِلُ(٣)

فإنّ امرءاً في معشر غير قومِه

ضعيف الكلام شخصُه متضائلُ

إذا شاء لم يَبْسُطْ لسانا ولا يدا

ولمْ تَنْبُ عن ذي صفحتيك المعابلُ (٤)

وإذا علمنا أنّ ابن قيس الرّقيات توفي سنة خمس وثمانين وإذا قدّرنا أنّه نصح ابن هرمة في هذه الأبيات وابن قيس في آخر حياته فيكون عمر ابن هرمة عند ذاك خمس سنوات . ولا أظنّ طفلا في مثل هذا السن يقف من نفسه ومن قبيلته موقف الشك والارتياب .

---

(١) مجالس ثعلب ٨١ ، والخصائص ٢:١١ ، وسر صناعة الإعراب ١:٢٣٥

(٢) ديوان ابن قيس الرقيات٥١

(٣) هَرِشا : سيء الخلق

(٤) المعابل : جمع معبلة وهي نصل طويل عريض

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا قدّرنا أن ابن قيس الرقيات قال هذه الأبيات قبل وفاته بعام أو عامين نكون وصلنا إلى رفض قاطع للسنة التي قدرها المُعَيْبد .

بقي من هذه التواريخ تاريخ واحد ، وهو سنة سبعين . وهو أكثرها قبولا فيما أظن . وبه أحدد سنة ولادة الشاعر .

والأدلة على ذلك كثيرة، منها :

أولا : أن ثلاثة من المؤرخين اعتمدوه ، وأنهم لم يعتمدوا تواريخ أخرى ذكرها مصنفون آخرون في ترجمتهم لابن هرمة .

ثانيا : أن أبيات ابن قيس الرقيات السابقة تقبل هذا التاريخ ولاتتعارض معه .

فلو قُبِلتْ سنة سبعين تاريخا لولادة ابن هرمة ، وسنة خمس وثمانين تاريخا لنصيحة ابن قيس الرقيات له ، فيكون عمر ابن هرمة ، عند ذاك ، خمسة عشر عاما ، وهو عمر مقبول " لشاب في أوج شبابه يقف من نفسه ومن قومه هذه المواقف .

فسنة سبعين ، إذن ، هي أنسب السنوات لتحديد ولادة ابن هرمة .

أما مكان ولادته ، فلست أعرف على تيقن أين كانت ، ذلك أن جزءا كبيرا من حياة ابن هرمة ضاع ، وأن غموضا كثيفا يكتنف مرحلة طفولته وبداية شبابه .

وليس يعرف من أخباره إلا مرحلة الشباب المبكر ، وهو ابن خمسة عشر عاما فيما قدّرتُ من أبيات ابن قيس الرقيّات .

ولقد تتبعتُ ترجمة ابن هرمة وأخباره ، فلم أجد نصا صريحا يشير إلى مكان ولادته . غير أن المدينة وما حولها كانت أماكن تنقله الدائم واستقراره المؤقت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد حوى ديوانه أسماء قرى كثيرة تحيط بالمدينة ذكرها ياقوت في معجم البلدان ، وذكرها ابن هرمة في شعره . إلاّ أن الملاحظ أن قرية السّيَالة[١] من أكثر أسماء القرى دورانا في شعره وأخباره ، من ذلك ماذكره أبو الفرج من " أن ابن هرمة أتى عبدالله بن حسن وهو بالسيالة فأنشده مديحا له ".[٢]

وروى الزبير بن بكار عن عمران بن عبدالعزيز " أنه وجماعة وافوا الحج فأصبحوا بالسّيَالة فإذا إبراهيم ابن هرمة يأتيهم ".[٣] وذكر ابن عساكر " أن نُصيّبا الشاعر اجتاز بالسّيَالة وبها منزل إبراهيم بن هرمة فناداه يا أبا اسحق .....".[٤]

فتكون السيالة هي مركز إقامة ابن هرمة ، وهي أكثر الأماكن ترجيحا لتكون مكان ولادته .

---

(١) السّيَالة : قرية على بُعْد مرحلة من المدينة . معجم البلدان (السيالة)

(٢) الأغاني ٤ : ٣٧٢

(٣) المصدر نفسه ٤ : ٣٨٩

(٤) تهذيب ابن عساكر ٢ : ٢٤٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نشأتـــه :

ليس بين يدى من أخبار نشأة ابن هرمة وطبيعة حياته شيء يمكن الاعتماد عليه في تكوين صورة واضحة عن حياته وأخباره .

وكل الذي استطعت الوقوف عليه أخبار في مرحلة شبابه وهي أخبار قوامها رفضه لقبيلته ، واتهامه لها ومخالفته إياها . قيل له : "إنّ قريشا لاتهمز ، فقال لأقولن قصيدة أهمزها كلها بلسان قريش فأنشأ :[1]

إن سُلَيْمى واللهُ يكلؤُهـا ضنّتْ بشيءٍ ماكان يَرْزَؤُهـا[2]

واتهامه لقبيلته أشهر من أن يعاد القول فيه .

واشتُهر ابن هرمة بهذا ، وعوتب فيه . عاتبه ابن قيس الرقيات بأبيات ذكرتُها في معرض تحديدي لسنة ولادته .

وقد وقفتُ على خبر ذكره ثعلب في مجالسه رواية عن الأصمعي من أن ابن هرمة رَبِيَ في ديار تميم ، وأنه أنشد الرشيد قصيدة بلغتها .

ولستُ أعرف مزيدا من التفصيل عن هذه النشأة سوى أنه رَبِيَ في تميم طفلا . أمّا لِمَ نشأ في تميم دون غيرها من القبائل فلستُ أعرف سببا له .

ولستُ أعرف ، أيضا ، إن كان نشأ في تميم وحيدا ، أم كان بصحبة أسرته .

---

(١) شرح شواهد المغني (للسيوطي) ٨٢٦ والديوان ٤٨

(٢) يكلؤها : يحرسها ويحفظها

وضنّت : بخلت

ويرزؤها : ينقصها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولست أشكّ في أنه قضى شطرا كبيرا من حياته في الجزيرة العربية ، وفي منطقة الحجاز خاصة .

فمن يرجع إلى معجم البلدان لياقوت يجد أنّ معظم قرى الحجاز ذُكرتْ في شعره ، وهو ذكر يدل على معرفة لها أو مرور بها أو إقامة فيها .

وكانت له علاقات اجتماعية واسعة ، وهي علاقات كانت مع مستويين من الناس ، مستوى الخلفاء والأمراء والولاة ، ومستوى الناس العاديين من شعراء ونقاد وأصدقاء .

أمّا علاقاته بالمستوى الأول ، فسأترك له مكانا في معرض الحديث عن ممدوحيه .

وأما علاقاته بالناس العاديين من طبقته، فأستطيع القول إنّ ابن هرمة لم يكن راضيا عن الناس من حوله ، وأنه كان يتمنى لو لَمْ يَرَ أحدا منهم أو لو أنه عاشر السّباع فهي أخفّ طباعا وأقلّ ضررا :(١)

ليت السباعَ لنا كانتْ مجاورةً
وأننا لا نرى ممن نرى أحدا
إنّ السّباعَ لتهدا عن فرائسها
والناسُ ليس بهادٍ شرُّهم أبدا

ولم يكن راضيا عن الدنيا لإحساسه باليأس منها ولعدم تحقيق رغباته فيها :(٢)

وما نال مثل اليأس طالبُ حاجةٍ
إذا لم يكن فيها نجاحٌ لطالبِ

---

(١) لسان العرب (هدأ) والديوان ٩٦

(٢) التذكرة السعدية ٣٤٨ والديوان ٦٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل بَرَمَهُ بالدنيا وسخطه قد حددا أسلوب علاقاته معهم ، فوقف الناس منه مواقف ووقف منهم مثلها .

هجا بعضهم وهجوه . وسالم آخرين لحاجته إليهم ، وسالموه خوفا منه ، وعاملوه بمثله شفقة عليه .

هجا معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب[1] لأنه عَوَّدَه البر ، فجاءه ابن هرمة يوما وقد ضاقت يده وأخذ خمسين ديناراً بِدَيْن ، فرفع إليه رقعة يسأله فيها برا . فقال له معاوية " أيدينا ضيّقة وماعندنا شيء إلا شيء أخذناه بكلفة " ، فكتب إليه ابن هرمة :[2]

فإنّي ومدّحك غيرَ المصيـ * ـبِ كالكلبِ ينبح ضَوْءَ القَمَرْ
مدحتُك أرجو لديك الثواب فكنتُ كعامرِ جَنْبِ الحَجَرْ

وهجا عبد العزيز بن المطلب لأنه لم يُعْطِه مالا ، فقال فيه :[3]

أبا لبخلٍ تطلب ماقدّمتْ عرانينُ جادت بأموالها
فهيهات خالفتَ فِعْلَ الكرام خِلافَ الجِمال بأبْوالها

وهجاه ابن الكَوْسج مولى آل حنين حين بلغه قول ابن هرمة .[4]

لا أُمْتِعُ العُوذ بالفصال ولا أبتاعُ إلّا قريبةَ الأجَلِ

فقال ابن الكوسج :[5]

مايشرب البارد القراح ولا يَذْبَحُ من جَفْرةٍ ولاحَمَلِ[6]

---

(١) هو أحد الطالبيين ، ولد سنة ٤٥هـ . وتوفي سنه ١١٠هـ . ترجم له المرزباني في معجم الشعراء ص ٣١٤
(٢) الأغاني ١٢ : ٢٢٤ ، والديوان ١٠٩
(٣) الأغاني ٥ : ٣٩٥ ، والديوانه ١٩٩
(٤) الأغاني ٥ : ٢٦٤
(٥) المصدر نفسه ٥ : ٢٦٤
(٦) الجفرة : من أولاد الشاء اذا عَظُمَ واستكرش ، وقيل إذا بلغ ولد المِعْزى أربعة أشهر وجَفَرَ جنباه ، وفُصِل عن أمّه ، وأخذ في الرعي ، فهو جَفْر والأنثى جفرة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كأنه قردة يلاعبهـــا قرد بأعلى الهضاب من ملَل (١)

وسالم الناس خوفـــا منهم أو طمعـــا في عطائهـــم ، فمن ذلك أنه هجا محمد بن عمـــران (٢) بأبيات منها قوله : (٣)

مثل ابن عمران آباء له سلفوا يجزون فعل ذوي الإحسان بالدُّون

فضرب على ذلك ثم أُجبر على مدحه ، فقال : (٤)

ذممت امرءاً لمّ يطبع الذمُّ عرضه
قليلا لدى تحصيله من يشاكله (٥)

فما بالحجاز من فتى ذي إمارة
ولا شرف إلا ابن عمران فاضله

وسالمه الناس خوفـــا من سلاطة لسانه ، منهم ابن مصعب وكان فضّل عليه ابن أُذينة ، فلقيه ابـــن هرمة يوما ، فقال له : (٦)

يا ابـــن مصعب أتفضّـــل عليّ ابن أُذينة ؟ أما شكـــرت قولـــي :

---

(١) ملل : موضع في طريق مكة على بُعد ثمانية وعشرين ميلا من المدينة . معجم البلدان (ملل) ١٩٤

(٢) هو محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد الطلحي ، يكنى أبا سليمان ، وهو أخو الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب لأمه ، كان قاضيا لزياد بن عبيدالله الحارثي على المدينة ، وكان يُرمى بالبخل ، توفي سنة ١٤٥هـ .

انظر : نسب قريش ٢٨٠ ، وطبقات خليفة بن خياط ٢٧٢.

(٣) الأغاني ٤ : ٣٩١

(٤) انظر الخبر كاملا في الأغاني ٤ : ٣٨٩ ومابعدها

(٥) لم يطبع : لم يَسِمْهُ بمايشينه

(٦) الأغاني ٤ : ٣٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فما لك مختلاً عليك خصاصة كأنك لم تنبتْ ببعض المنابتِ

كأنك لم تصحبْ شُعَيْبَ بن جعفر ولا مصعبا ذا المكرمات بن ثابتِ

فقال له مصعب : يا أبا إسحق ، أقلني وروّني من شعرك ما شئت .

وسالمه محمد بن عمران أيضا يوم أتته ابل تحمل علفا ، فأرسل ابن هرمة في اثر الحمولة رسولا حتى وقف على ابن عمران ، فأبلغه رسالة ابن هرمة ، فأعطاه الابل بما عليها ، وقال له : " إن احتجت إلى غيرها زدناك " .(٢)

وخافه عمر بن القاسم جين أتاه تمر من صدقة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وجاءه ابن هرمة يطلب تمرا فخافه فأعطاه .(٢)

وعومل معاملة حسنة شفقة عليه ، من ذلك أنه لمّا مدح الحسن بن زيد ، وعرّض بأبناء الحسن ابن الحسن بن علي بقوله :(٣)

والله أعطاك فضلا من عطيته على هنٍ وهنٍ فيما مضى وهنِ(٤)

جفاه عبدالله بن حسن ، وكان يجري عليه رزقا فقطعه عنه وغضب عليه ، فأتاه ابن هرمة يعتذر فنُحّي وطُرد ، فمكث ماشاء الله ، ثم مرّ عشية وعبدُالله على زُرْبيّة(٥) في ممر المنبر فلما رأى ابن هرمة عبدالله تضاءل وتصاغر ، وأسرع المشي فكأنّ عبدالله رقّ له ، فأمر به فرُدّ عليه ، وعاتبه على فِعْلته ثم أمر أن تُرَدّ عليه جرايته .

---

(١) الأغاني ٤ : ٣٩٣

(٢) المصدر نفسه ٤ : ٣٩٣

(٣) انظر الخبر كاملا في الاغاني ٤ : ٣٧٧

(٤) الهَنُ : كلمة يكنىٰ بها عن اسم إنسان ، وذكر الشاعر ثلاثا لأنه أراد بها ثلاثة أشخاص معنيين هم الحسن ابن الحسن بن علي وأخواه عبدالله بن الحسن وابراهيم بن الحسن .

(٥) الزُّرْبيّة : هي البساط أو النمرقة ، وقيل هي كل مايُبْسَط ، ويُتّكأ عليه ، والجمع : زرابيّ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنه ، أيضـــا ، أنه لمّا نفَدَ مامعه من المال ، وطُرد من سوق النبط[1] بسبب ذلك ، أتـــى عبدالله بن حسن ، فقال له : إني مدحتُك فاستمع لي ، قال عبدالله : لاحاجـــة لي بذلك ، أنا أعطيـــك ماتريد ، ولا أسمع . قال ابن هرمة : إذن أُسقَط ويكســـد سوقي ، فسمع منه وأمر له بمئتي دينار .[2]

---

(١) انظر قصته مع الرجل بسوق النبط في الأغانـــي ٤ : ٣٨٨

(٢) الأغاني ٤ : ٣٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صفاتــه الجسميــة :

جماع القول في صفاته الجسمية ماذكره أبو الفرج من أنــه كان قصــيرا دميمــا أُرَيْمص ". (١)

ولعل هذه الصفات كانت السبب في نفسيته المحظمة ، وكان لها التأثير في سلوكــه مع نفســه ومع قومه ، ومع الناس جميعا .

كان الرجل عدوانيا في مواقفه ، يائسا من الدنيا ، شاكا في الناس ، وكان مجال تندر الآخريــن ، ومحطّ أنظار العابثين ، فهجا نفسه ليرضي غيره .(٢)

وأظن أن عيوبه الجسمية لم تقف عند حد القِصَــر ، ودمامة الوجــه ، وضعف البصــر ، بل لعلهــا تجاوزت هذه إلى عيوب في النطق أيضــا .

ولعل قبح صوته في الإنشــاد كان سببــا في اتخــاذه راوية ينشــد له أشعــاره فــي المجالــس .

وكان راويته يرافقه في حلّه وترحالــه .

وصحّف محققو الأغاني اسم راويته ، فقالوا عنه " ابن رُبَيْح " هكذا براء مضمومة وباء (موحّــدة) مفتوحة ويــاء (مثناة) ساكنــه وحاء (مهملة) .

---

(١) الأغاني ٤ : ٣٨٣ ، وأُرَيْمص تصغير أَرْمَص ، ورَمَصٌ من الرَّمَص في العين ، وهو كالغمص ، وقيل الرمــص : ماسال مما تلفظ به العين .

(٢) وذلك حين طلب منه ابن ميّادة أن يتهاجيــا .
انظر الأغاني ٤ : ٣٦٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذكروا هذا غير مـــرّة[١]، على الرغم من أنهم أشاروا في الحاشيـة إلى أن إحدى المخطوطات التـــي اعتمدوا عليها في التحقيق ذكرت " ابن زُنيج"[٢] هكذا بزاي ونون وباء (مثنـــاة) .

وزعم الدكتور يوسف بكّار[٣] أن اسمه " ابن رُبَيْع " براء مضمومة وباء (موحدة) مفتوحـــة وبـــاء (مثناة) ساكنة ، وعَيْن (مهملة) . وهذا مالم يقل به أحـــد .

والصواب ان اسمه " ابن زَبَنّج" بزاي مفتوحة ، وبـــاء (موحـــدة) مفتوحـة ونـــون مشددة وجيـــم .

ذكره ثعلب بهذا في مجالسه فقال " أخبرنا محمد ، قال حدثنا أبو العباس قال حدّثني عمر بن شبـــة قال أخبرني أبو سلمة قال أخبرني ابن زَبَنّج رُواية ابن هرمة ... "[٤]

وذكره الصّغاني في التكملة فقال " زَبَنّج : أهمله الجوهري وابن زَبَنّـــج رُوية ابن هرمـــة على وزن سَفَنّج" .[٥]

وذكر ابنُ هرمة اسم رُويته في شعرٍ له ، حين وفد على السريّ بن عبدالله في اليمامة ، فكتب شعرا يتشوّق فيه . قال[٦]:

وابن الزَبَنّـــج مما قـد يُهيّجُني
بَحْلق منتحب بالليـــل نَشّـــاج

---

(١) انظر الأغاني ٤: ٣٧٤ ، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٨٣

(٢) الأغاني ٤: ٣٧٤

(٣) اتجاهات الغزل في القرن الثاني ٩٩

(٤) مجالس ثعلب ١: ٢٦

(٥) التكملة ٣: ٢٥٠

(٦) الأخبار الموفقيات ١٥٦ ، والديوان ٧٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان ابن الزَبنّج طويلا جسيما نقيّ الثياب[١] ولعله لجمال شكله وحسن صوته اتّخذه ابن هرمة راوية له ، ومنشدا لشعره .

ولما وفد ابن هرمة على السريّ في اليمامة سلّم عليه ، ثم قال له : إني قلت شعرا أثنيتُ فيه عليك . قال السريّ : أنشدْ . قال ابن هرمة : هذا يُنشد ، فجلس وأنشد ابنُ زَبنّج قصيدته التي أولها :[٢]

عوجا على ربعِ ليلى أمِّ محمودِ
كيما نسائله من دونِ عَبّودِ[٣]

وحين مدح ابنُ هرمة محمدَ بن عمران الطلحيّ ، بعث إليه بالمديح مع ابن زَبنّج[٤]

---

(١) الأغاني ٤ : ٣٨٣

(٢) المصدر نفسه ٤ : ٣٨٣

(٣) عَبّود وصَفَر جبلان متقابلان مابين المدينة والسيالة ، بينهما طريق المدينة والغريب أنّ الدكتور يوسف بكار جعل هذه القصيدة لابن زَبنّج مدح بها السري بن عبدالله . انظر اتجاهات الغزل في القرن الثاني ٩٩.

(٤) الأغاني ٤ : ٣٧٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سلوكـــه :

الغالب على سلوكه أنه كـــان عابثا لاهيـــا ، ماجنـــا أدمـــن الخمـــر ، وحُـــدّ عليـــها غير مـــرّة .

وأخبار سكره كثيرة ، حتى أنه وُصـــف بأنـــه منهـــوم في الشـــراب لايكـــاد يصـــبر عنـــه .

دعاه صديق له ليشرب الخمر وهو مزمع السفر إلى الحسن بن زيد ، فشرب حتى سكـــر وحُمِـــل مطروحـــا .(١)

وبعث إلى إبراهيم بن الحسن بن حسن بن علي برقعة فيها بيتان من الشعر يُلمح فيهما أنه يريـــد نبيذا ، قال فيهما :(٢)

إنّـي أُجِلُّكَ أن أقُـــوهَ بحاجتـــي
فإذا قَرأْتَ صحيفتي فتَفَهَّـــمِ
وعليك عهدُ اللهِ إنْ أنبأتَـــهُ
أهلَ السّيالةِ إنْ فعلتَ وإنْ لَمِ

ومدح أبا جعفر المنصور ، وطلب منه أن يحتال في إباحة الشراب ، فكتب أبو جعفر إلى واليه على المدينة " من أتاك بابن هرمة سكران فاجلده مئة واجلد ابن هرمة ثمانين ".(٣)

---

(١) الاغاني ٤ : ٣٧٢

(٢) أنساب الاشراف ٣ : ٨٩، والأغاني ٦ : ٩٨، وفي تهذيب ابن عساكر ٢ : ٢٤٣ أنه خاطب الحسن بن الحسن ابن علي .

(٣) الأغاني ٤ : ٣٧٥ ، وعيون التواريخ (مخطـــوط) ٣ : ٦١

وفي رواية العقد الفريد أنه جعل ابن هرمة خاطب المهدى ، وطلب أن يحتال له في إباحة الشـــراب . انظر العقد الفريد ٦ : ٣٥١ وعنه أخذ فؤاد البستاني في دائرة المعارف ٤ : ١٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسكر مرة سكرا شديدا ، فزاره جيرانُه وعاتبوه على ذلك فقال لهم " لقد كنت في طلب هذه منذ حين ، ألم تسمعوا قولي :[١]

أسأل اللهَ سكرةً قبل موتي

وصياحَ الصبيانِ ياسكران

وَحَدَّهُ في الخمر خُثَيْم بن عراك صاحب شرطة المدينة لزياد بن عبيدالله الحارثي في ولايةِ أبي العباس السفاح فهجاه ابن هرمة بقوله :[٢]

عَقَقْتَ أباك ذا نَشَبٍ ويُسْرٍ فلمّا أفنتِ الدنيا أباكا

عَلِقْتَ عدواتي هٰذي لَعَمْري ثيابُ الشَرّ تلبسها عراكا

وَهدّده الحسن بن زيد على شربه الخمر قائلا له " وأنا أُقسم لئن أُتيتُ بك سكران لأجلدنّك حدّا للخمر وحدا للسكر ... ".[٣]

ولم يقف انحرافه عند شرب الخمر ، بل دخل سوق النبط عند رجل معه زوجته وابنتاه .

ولست أعلم هل عاد ابن هرمة إلى جادّةِ الصواب ، فتاب عن أفعاله تلك ، شأنه في ذلك شأن غيره ممن ضلوا أول حياتهم ثم استقاموا في آخرها . فإن صحّت الأبيات التي نُسبت إليه فإنه يكون

---

(١) الأغاني ٤:٣٩٣ والإيناس بعلم الأنساب ١٩٢ والوافي بالوفيات ٦:٥٩ ، وعيون التواريخ (مخطوط) ٣:٦١

(٢) الشعر والشعراء ٢:٧٣٠ والعقد الفريد ٦:٣٥١ ، وزهر الآداب ٨٨ وخزانة الأدب ١:٣٨٢

(٣) عيون الأخبار ٣:٣٠١ والعقد الفريد ٦:٣٤٠ والكامل ٢:٢٠٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ترك الخمر وتاب عنها . والأبيات هي :

تركتُ الخمورَ لأربابها ... وأصبحتُ أشربُ ماءً قراحا
وقد كنتُ حينا بها مُعجبا ... كحُبِّ الغلام الفتاةَ الرَّداحا (١)
فلمْ يَبْقَ في الصدر من حُبِّها ... سوى أنْ إذا ذُكرتْ قلتُ آحا

ولكن هذه الأبيات نُسبت إليه وإلى غيره .(٢)

ولعل هذه الأبيات له ، لأنها تمثّل نفسه الشعري في آخر حياته ، ولأنها تشبه أبياتا أخرى ثابتة النسبة اليه ، أوردها ياقوت الحموي .(٣)

ووجه الشبه بينهما أنّ النية في ترك السوء قائمة ، ولكنّ نفسه مازالت تحنّ إليه كلّما رأت مايذكّرها به ، قال :

أقصرتُ عن جهليَ الأدنى وحلّمني ... زرعٌ من الشيب في الفوديْن منقودُ (٤)
حتى لقيتُ ابنةَ السعديّ يومَ سَفا ... وقد يزيدُ صباي البُدّنُ الغيدُ (٥)
واستوقفتني وأبدتْ موقفا حَسنا ... بها وقالتْ لقُنّاصِ الصِّبا صيدوا
إنّ الغوانيَ لاتنفكّ غانيةٌ ... منهنّ يعتادني من حبها عيدُ

فالبيتان الأخيران في القطعتين متشابهان إلى حدٍّ بعيد .

---

(١) الفتاة الرداح : الثقيلة الارداف والتامة الخلق
(٢) نسبت هذه الأبيات إلى ابن هرمة في سمط اللآلي ٢ : ٧٦٢ ونسبت إلى أبي الهندي في الشعر والشعراء ٢ : ٥٧٠ وعيون الاخبار ١ : ٢٦٠ و (ألف با) للبلوي ١ : ١٤١
(٣) معجم البلدان (سفا)
(٤) الفودان : جانبا الرأس
(٥) البُدّن الغيد : جمع بادنة وهي السمينة الجسم . والغيد : جمع غيداء وهي الفتاة الناعمة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكني لا أستطيع الجزم بتوبتـــه وصلاحه من خلال شعره فقط ، لأن بعض الشّعر غير ثابت النسبـــة إليه من جهة ، ولأن ابن هرمة لايعتدّ بأقواله في كل المواقـــف[1] من جهة أخرى .

ولعلّ سوء سلوكه أوقعه في ضيق مالي شديد ، فعانى الفقر ، واستدان كثيرا على الرّغم من كثـــــرة ما كان يصل إليه من ممدوحيه ومعارفه ، وهذا بيان ببعض العطايا من الأموال والمتاع .

مدح عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، فدعا باثنين فسارّهما[2] وخرجا فأعطياه مالا كثـــــيرا [3]

ومدح إبراهيم بن محمد (الإمام) وهو في المدينة ، فقضى عنه دَيْنَـــه .[4]

ومدح أبا جعفر المنصور بأبياته التي مطلعها .[5]

سرى ثوبَه عنك الصّبـــا المُتَخايـــلُ

وقرَّبَ للبيْنِ الخليطُ المُزايلُ[6]

فأمـــــر له بعشرة آلاف دينـــــار .

---

(١) سبق الحديث عن اتهامه لنفسه بأنه دعيّ ، واتهامه لقومه بأنهم أدعياء في قريش ، ولأنه معروف بالتقلب في الآراء والمواقف .

(٢) سارّهما : تحدث إليهما سرّا

(٣) الأغاني : ١٢ : ٢٢٤

(٤) أخبار الدولة العباسية (تحقيق . الدوري) ٣٨٠ وتهذيب ابن عساكر ٢ : ٢٨٩

(٥) ذيل الأمالي ٢ : ٤١

(٦) سرى ثوبه : إذا كشفه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومدح السريّ بن عبدالله حين كان واليا لليمامة ، فقضىٰ عنه دَيْنه وهو سبعمئة دينار ، وأمر له بمال غير ذلك بلغ ألف دينار .(١)

وخافه محمد بن عمران الطلحي فأعطاه قافلة من العير كانت تحمل غلّة جاءته من الفَرْع أوخَيْبر .(٢)

وأنشد عبد الواحد بن سليمان بن عبدالملك وهو إذ ذاك أمير الحجاز فأمر له بثلاثمئة دينار وخلعة موشّاة وحمله على فرس وأعطاه ثلاثين لقحة ومئة شاة ، وسأله عمّا يكفيه ويكفي عياله سنة من البُرّ والتمر ، وقال له " هذا لك عليّ مادمتَ ومادمتُ حيا ، ولستُ بمُحْوِجك إلى غيري أبدا "(٣)

وكان عبدالله بن حسن بن حسن بن علي يُجري عليه رزقا (٤) .

وأعطاه الحكَم بن عبدالمطلب سبعين شاة فيها (الغَرّاء) وكان لايعطيها لأحد .(٥)

هذا قليلٌ من كثير من الأموال والأرزاق التي أُجريت على ابن هرمة .

وعلى الرغم من كل هذا . فقد كان يشكو الفقر واقترض كثيرا .

---

(١) الأغاني ٤ : ٣٨٧

(٢) المصدر نفسه ٤ : ٣٩٣

(٣) المصدر نفسه ٦ : ١٠٤

(٤) المصدر نفسه ٤ : ٣٧٧

(٥) انظر الخبر كاملا في الاغاني ٤ : ٣٩٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا بيان ببعض الديون التي كانت عليه .

جاء ابنُ هرمة يوما معاويةَ بن عبدالله بن جعفر ، وقد ضاقت يده ، فأخذ خمسين دينارا بِدَيْن .(١)

وأُصابته شِدّة وهو في المدينة ، فاستنهضته زوجته للخروج إلى دمشق عند عبد الواحد بن سليمان ، فلمّا وصل ، قال له عبد الواحد ماوراءك ؟ قال لاتَسَلْني بأبي أنت وأُمي ، فانّ الدهر قَدْ أخنىٰ عَلَيّ فما وجدتُ مستغاثا غيرك .(٢)

وكان لأبي مُضَرّس عليه مئة وخمسون دينارا قضاها عنه الحسن بن زيد .(٣)

ومدح السري بن عبدالله في اليمامة ، فقال له السري : ماحاجتك ؟ قال : ماتركت لي مالا إلاّ رهنتُه ولاصديقا إلاّ كلّفتُه . فقال له السري : ومادَيْنُك ؟ قال سبعمئة دينار .(٤)

وبسبب الفقر والحاجة تنقل ابن هرمةَ ليمدح الخلفاء والأُمراء والولاة ، وكانت تنقلاتُه كثيرة سواء داخل الحجاز أو خارجه .

---

(١) الأغاني ١٢ : ٢٢٥

(٢) المصدر نفسه ٦ : ١٠٨

(٣) المصدر نفسه ٦ : ٣٧٦

(٤) المصدر نفسه ٦ : ٣٨٦ ، وتاريخ دمشق (مخطوط) ١ : ٢٣٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفد ابن هرمة على الوليد بن يزيد بن عبدالملك في دمشق فأجازه[١]. ووفد على عبد الواحد بن سليمان بن عبدالملك في دمشق يوم أصابته خصاصة في المدينة .[٢]

ووفد على المنصور في بغداد سنة ست وأربعين ومئة أو خمس وأربعين ومئة ، فمدحه بقصيدته المشهورة :[٣]

له لحظات عن حفافيْ سريره إذا كرّها فيها عقابونائل

ووفد على السري بن عبدالله باليمامة[٤] غير مرة .

ووفد على المهدي في جماعة من أهل المدينة .[٥]

ووصل إلى الأندلس كما ذكر الضبي[٦] فلما سمع بيت أبي المخشي :[٧]

هما مهّدا لي العيْش حتى كأنني
خفية زفّ بين قادمتيْ نسْر

رجع من الأندلس إلى الحجاز .

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٢ : ٢٣٧ وتاريخ دمشق (مخطوط) ١ : ٢٣٩

(٢) الأغاني ٦ : ١٠٨

(٣) الأغاني ٦ : ١٠٩ وتهذيب ابن عساكر ٢ : ٢٣٧

(٤) الأغاني ٤ : ٣٨٢

(٥) المصدر نفسه ٤ : ٣٧٠

(٦) بغية الملتمس (ط . مجريط) ٥١٣

(٧) أبو المخشي : شاعر عربي ، قديم الجود والصنعة ، عربي الدار والنشأة ، تردد في بلاد الأندلس غريبا وهو من فحول الشعراء المتقدمين . البغية ٥١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولست أعرف مزيدا من التفصيلات عن رحلاته بعاقة ، ولا عن رحلته إلى الأندلس بخاصة . متى كانت بالضبط ؟ ولمن كانت ؟ وهل مكث فيها طويلا ؟ وهل كان سماعه لهذا البيت أول وصوله إلى هناك ، أو كان بعد إقامة فيها ؟ وهل قابل أحدا من الأمويين هناك ؟

ولستُ أشك في أنه جمع أموالا طائلة في رحلاته ، إلا أنه لم يحسن استثمارها والتصرف فيها .

ولا أظن أنه مارس عملا اكتسب من ورائه رزقا . ولم يعمل ، وقد أجريت عليه وعلى عياله أرزاق من ممدوحيه مادام حيا ؟

أمره أبو جعفر المنصور أن يمارس عملا يكسب منه قائلا له ، بعد أن أعطاه عشرة آلاف درهم " يا ابن هرمة ، إن الزمان ضيّق بأهله ، فاشترِ بهذه ابلا عوامل ، وإياك أن تقول : كلما مدحت أمير المؤمنين أعطاني مثلها ، هيهات والعَوْدُ إلى مثلها ". (١)

وحاول ابن هرمة أن يأخذ بنصيحة المنصور ، فاشترى غنما ليتاجر بها ، وأمر راعيا له أن يبيعها ، فوقف رجل وقال له : يا أبا إسحق ، أين عَزَبَ عنك قولك :

لاغنمي مُدّ في الحياة لها ... إلا دِراكَ القرى ولا إبلي

وقولك :

لا أُمتّع العُوذ بالفصال ولا ... أُبتاع إلا قريبة الأجَل (٢)

---

(١) تاريخ بغداد ٦ : ١٢٩

(٢) العوذ : الإبل التي نتجت ، واحدتها عائذ

ابتاع : اشترى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال ابن هرمـــــــة :

من أُخذ منها شيئا فهو لـــه • فانتهبوها حتى وقف الراعي وما معه منها شيء ".(١)

وحاول ابن هرمة أن يلتمس العذر لفقره ، فادّعى أنّ ضياع أمواله كان بسبب كَرَمه ، وأشعارُه فـــــي ذلك كثيرة منها قوله :(٢)

إنّي إذا ما البخيل آمنهـا ... باتتْ ضَموزا مِنّي على وَجل(٣)

كم ناقة قَدْ وَجَأْتُ مَنْحَرها ... بمُسْتَهَلّ الشُؤْبوب أو جَمَل(٤)

وقولُه :(٥)

فقلتُ لِقَيْنَتي ارفعاها وحَرِّقـــا

لعلّ سنا ناري بآخرَ تهتـــدي

وله في كلبـــــه واستقباله الضيوف وفرحته بقدومهم أشعار لطيفةٌ • فكأن الكرم صفةٌ من صفاتـــــه التي لازمته •

---

(١) الأغاني ٥:٢٦١

(٢) المصدرنفسه ٥:٢٥٩ وآمالي القالي ٣:١١٠ والديوان ١٨٣

(٣) الضّموز : الممسكة من أن تجتر :يريد ان الناقة من شدة خوفها على نفسها ممارأت من نحر نظائرها قد امتنعت من ان تجتر ، فهي ضافره •

والوجل : الخوف

(٤) وجأ : نحرها بسكين أو نحوه

(٥) امالي المرتضى ٢:١١٦ والديوان ١٥٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يقبل الناس أقواله السابقة ، بل اتهموه بالبخل صراحة . وذكروا روايات تدل على بخله ، من ذلك ماورواه أبو الفرج الأصفهاني والشريشي " أن جماعة من قريش أحبوا أن يأتوا ابن هرمة ليخرج معهم للتنزه ، فلما خرج إليهم ، قال لهم : ماجاء بكم؟ قالوا : شعرك حيث قلت :

إن امرءا جعل الطريق لبيته ... طُنُباً وأنكر حقّه للئيمُ (١)

وقولك :

وإذا تنوّر طارقٌ مستنبحٌ ... نبحتْ فدلّته عليّ كلابي

وعوينَ يستعجلنه فلقينه ... يضربنه بشراشر الأذناب (٢)

وسمعناك تقول :

كم ناقةٍ قد وجأتُ منحرها ... بمستهلّ الشؤبوب أو جَمَلِ

لا أمتّع العُوذَ بالفصال ولا ... أبتاعُ إلاّ قريبةَ الأجَلِ

فنظر إليهم ساعة ، وقال لهم " ما على وجه الأرض عصابة أضعف عقولا ولا أسخف دينا منكم ، أوَما سمعتم قول الله تعالى (وأنّهم يقولون مالا يفعلون)(٣) . والله إنّي لأقول مالا أفعل ، وأنتم تريدون منّي أن أفعل ما أقول والله لا أغضب ربّي في رضاكم ".(٤)

---

(١) الطنب : الحبل الذي تُشَدّ به الخيمة أو سرادق البيت

(٢) شراشر الأذناب : أطرافها

(٣) سورة الشعراء آية ٢٢٦ والمقصود هناهم الشعراء

(٤) الأغاني ٥ : ٢٦٢ وشرح مقامات الحريرى (للشريشي) ٥ : ١٤٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال يحيى بن عروة بن أذينة " خرجت في حاجة لي ، فلمّا كنتُ بالسّيالة وقفت على منزل إبراهيم ابن هرمة ، فصحْتُ : يا أبا إسحق ، فأجابتني ابنته : من هذا ؟ قلت : انظري ، فخرجت إليّ فقلت : أعلمي أبا إسحق . قالت : خرج واللهِ آنفا . قلت : هل من قِرى فإني مُقْوٍ من الزاد[1] قالت : لا واللهِ ماصادفتَه حاضرا . قلت : فأين قول أبيك :

لا أُمتع العُوذ بالفصالِ ولا ... أُبتاع إلاّ قريبة الأجَلِ

قالت : بذاك واللهِ أفناها .

فأخبرتْ أباها بقولها ، فضمّها إليه ، وقال : بأبي أنتِ وأمّي أنتِ واللهِ ابنتي حقا ، الدار والمزرعة لك ".[2]

وهجاه ابن الكوسج واتهمه بالبخل في بيتين عرضنا لهما .[3]

وسمع أحد معاصري ابن هرمة قوله في البيت السابق ، فقال " صدق ابن الخبيثة ، إنما كان يشتري الشاة للأضحى فيذبحها من ساعته ".[4]

وعدّه ابن عبد ربّه أحد البخلاء في الفصل الذي تحدث فيه عن البخل والبخلاء من الشعراء وغيرهم ، فقال : " ومن أشعار البخلاء التي يتمثلون بها قول ابن هرمة :

قد يدرك الشرَف الفتى ورداؤه
خَلَق وجيب قميصه مرقوعُ[5]

---

(١) القِرى : الطعام ، وأقوى القوم : إذا فَنِيَ زادهم

(٢) عيون الأخبار ١ : ٣٠٠ ، والأغاني ٥ : ٢٦٠

(٣) هما قوله : مايشرب البارد القراح ولا ... يذبح من جفرة ولاجَمَلِ
كأنه قردة يلاعبها ... قرد بأعلى الهضاب من مَلَلِ

(٤) الأغاني ٥ : ٢٦٢

(٥) العقد الفريد ٦ : ١٩٩ (كتاب الجمانة الثانية في المتنبئين والبخلاء والطفيليين).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووصفه أبو الفرج بالبخل صراحة ، فقال " وكان ابن هرمة أحد البخلاء ".(١)

وقال فيه الشريشري " وابن هرمة ألأم الناس مع ادعائه الكرم في شعره ".(٢)

والحقيقة أننا لانستطيع أخذ قول ابن هرمة على محمل الصدق ، ولا قول الآخرين فيه .

وكل مايمكن أن يقال في أمر بخله وكرمه ، أن ابن هرمة لم يكن كريما كما ادّعى ، ولا يمكن أن يكون بخيلا على الوجه الذي ذكره الناس عنه .

وتفسير الأمر ، فيما أظن ، أنه كان مبذّرا لأمواله ، ولم يكن انفاقه لها في وجوه الخير وصلة الرّحم ، بل كان من أجل العبث واللهو . وادمانه الخمر أشهر من أن يعاد القول فيه . وقصته بسوق النبط دليل على ذلك .(٣)

وأدرك الحسن بن زيد ظاهرة الاتلاف في الأموال عند ابن هرمة ، فقال للمنصور حين أعطى ابن هرمة ثلاثمئة دينار " ياأمير المؤمنين إنّ ابن هرمة منفاق متلاف لايليق شيئا ".(٤)

وكلمة الحسن كلمة حق أريد بها باطل ، فلم يكن الحسن حريضا على ابن هرمة ، ولكنه أراد أن يمنع عنه العطاء لخلاف كان بينهما .(٤)

---

(١) الأغاني ٥ : ٢٦١

(٢) شرح المقامات ٥ : ١٤٦

(٣) الاغاني ٤ : ٣٨٨

(٤) المصدر نفسه ٦ : ١١٠ ولايليق شيئا : لايمسك من أمواله ولايدخر

(٥) الخلاف الذي كان بينهما هو أنّ ابن هرمة مدح عبدالله بن حسن بن حسن بن علي ، وعرّض بالحسن بن زيد في قوله ماغَبّرتْ وجهَه أمّ مُهَجَّنة ″ إذا القتام تغشّى أوجهَ البُجُنِ

وكانت أمّ الحسن أم ولد . انظر الأغاني ٦ : ١١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ظـرفـه :

كان لابن هرمة روح فكهة ، وكان الناس يعرفون فيه هذه الروح ، فيأتونه ليعبثوا به ويمازحوه .

وأخبار ظرفه كثيرة ، منها " أنه لمّا تزوّج امرأته الثانية ، طلبت منه صداقا فقال لها : والله مامعي إلاّ نعلاي ، فدفعهما إليها ، ومضى معها فتوركها مرارا . فقالت له : أحفيتني[1] ، فقال لها : الذي أحفى صاحبه منا يعض (كذا) من أمه ".[2]

وشرب مرة نبيذا ، فلما نفد النبيذ والمال نزع رداءه عن ظهره وقال لغلام له . اذهب فارهنه وأتنا بنبيذ ، ففعل ، وجاء ابن أبي راشد[3] فجعل يشرب معه من النبيذ ، فانتبه إلى أنّ ابن هرمة بغير رداء ، فقال له : أين رداؤك يا أبا إسحق ؟ قال : نصفه في القَدَح ونصفه في بطنك .[4]

وحين مدح الحسن بن زيد وعرّض بأبنا[5] الحسن بن الحسن بن علي في قوله :

اللهُ أعطاك فَضْلاً من عطيّته ... على هَنٍ وَهَنٍ فيما مضى وَهَنِ

لقيه عبدالله بن حسن فعاتبه في ذلك ، فقال ابن هرمة :

" وربّ هذا القبر[6] ماعنيت إلاّ فرعون وهامان وقارون أفتغضب لهم ، فضحك عبدالله بن حسن وقال له : " والله ما أحسبك إلاّ كاذبا ".[7]

---

(١) تريد : أجهدتني

(٢) الأغاني ٤ : ٣٩٥

(٣) صديق كان يشرب معه

(٤) المصدر السابق ٤ : ٣٧٣

(٥) أبناء الحسن هم : الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي ، وابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي وعبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي .

(٦) يريد : قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المدينة .

(٧) الأغاني ٤ : ٣٧٧ وتاريخ ابن عساكر ٧ : ٧٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يكن ابن هرمة يخلو من ذكـــاء . وتمثّل ذكاؤه يوم مدح المنصـــور بأبياته المشهـــورة[١]، فلما انتهى، قال له المنصور : " يا إبراهيم قد بلغتني عنك أشياء لولا ذلك لفضّلتُكَ على نُظرائك ، فأقِـــرّ لي بذنوبك أعْفُها عنك ، فقال ابن هرمة في نفســـه : هذا رجل فقيه عالم ، وإنما يريد أن يقتلني بحجّة تجب عَلَيّ فقـــال : يا أمير المؤمنين ، كلّ ذنب بَلَغَكَ مما عَقَوْتَه عنّي فأنا مُقِرٌّ به ".[٢]

---

(١) التي مطلعها :

سرى ثوبه عنك الصبا المتخايل وقرب للبين الخليط المزايلُ

(٦) تاريخ بغداد ٦ : ١٢٩ وتهذيب ابن عساكر ٢ : ٢٤١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثقافتـــه

يدل شعر ابن هرمة على أنه كان واسع المعرفة . وهي معرفة قوامها التاريخ والشعر واللغة والديـــن وعلم الفلك وعلم الحيوان .

ولو وصلت إلينا أخباره كاملة لأمكن أن نكوّن صورة أكثر وضوحا عن هذه المعرفة ، غير أنّ ما وصـــل إلينا من شعره يعطي صورة عنها .

فمما يدلّ على معرفته بأخبار العرب قولـــه :(١)

ومن لمْ يُرِدّ مدحي فإنّ مدائحـــي
نَوافِقُ عند الأكرمين سَـــوامِ(٢)
نَوافِقُ عند المشترِي الحَمْدَ بالثّنـا
نَفَاق بناتِ الحارث بنِ هشامِ

" وكانت المرأة تولد لأحد آل الحارث بن هشام ، فتتباشر النساء بها ، ويرى أهلها أنهم بها أغنيـــاء لرغبة الخُطّاب فيها ".(٣)

ومن نماذج هذه المعرفة أيضا قوله :(٤)

هزم الولائدُ رأسَـه فكأنّمـــا
يشكو إسار ربيعة بن الأصبـطِ(٥)

---

(١) تاريخ دمشق (قسم تراجم النساء) ١١٩ ، وثمار القلوب ٢٣٨

(٢) سوام : الغالية الثمن

(٣) شرح نهج البلاغه ٤ : ٣٩٢

(٤) العباب الزاخر (للصغاني) حرف الغاء ١١١

(٥) الولائد : جمع وليدة وهي الجارية الشابة .

والولائد : الشواب من الجـــــــواري

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" وربيعـــة بن الأضبط الأشجعي من بني كـــلاب ، كـان من الأشـــدّاء على الأُسَراء ".(١)

ومن معرفته اللغويةَ أنّ رجلا أنشد ابن هرمـــة قوله :(٢)

باللّهِ ربّك إنْ دخلْتَ فقلْ له هذا ابنُ هرمةَ قائمـاً بالبابِ

فقال له ابن هرمة : ماهكـــذا قلت . أكنتُ أتصـــدّق ؟(٣)

قال الرجـــل : فقاعـــدا .

قال ابن هرمة : كنت أبول ؟

قال الرجل : فمـــــاذا ؟

قـــال : واقفا ، وليتك علمت مابين هذين من قدر اللفظ والمعنى ؟

أدرك ابن هرمة ، إذن ، الفرق بين (قائما،وقاعدا،وواقفا) ورفض البديليْن الكلمة الأصلية ، وهو رفـــض قائم على معرفة لغوية .

واطّلع ابن هرمة على الشعر الجاهلي والأسلامي ، ونهل منهما وحفظهما ، وهذا واحد من أدلـــــة حفظه .

قال يهجو أحدهم :(٤)

فَهلاّ إذْ عجزتَ عن المعالي وعمّا يفعل الرجلُ القَريعُ(٥)

أخذْتَ بقول عمروٍ(٦) حين أوفىٰ به وبشاره الشرف الرفيعُ

---

(١) العباب الزاخر ١١١

(٢) كتاب الصناعتين ٦٨ ، والأحاجي النحوية (للزمخشرى) ٥١ والمقتصد في شرح الايضاح (عبدالقاهر الجرجاني) ٢ : ٨٦٣

(٣) أي طلب الصدقـــه

(٤) حماسة البحترى (تحقيق كمال مصطفى)٣٧٥

(٥) الرجل القريع : الرجل الغالب القوى

(٦)هو عمرو بن معدى كرب الزبيدى الشاعر المخضرم.

والبيت الذى بين قوسين من قصيدة عمرو العينية التي خاطب بهاأخته (ريحانة) بعد أن سباها الصمّة ابن بكر . وأولّها : أمِنْ رَيْحانةَ الداعي السميعُ يُؤرّقني وأصحابي هجـوعُ

والقصيدة في الأصمعيات رقم (٦١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(إذا لمْ تستطِعْ شيئا فدعْهُ وجاوزْهُ إلى ماتستطيعُ)

وأمّا معرفتـــة بالفَلَك فيدلّنـــا عليها أبيات[1] سنعرض لهما فيمـــا بعد .

وله معرفة بالحيوان ، من ذلك قوله :[2]

وإنّي وتركي ندىٰ الأكرمين وقدحي بكفيّ زَنْدا شَحاحَا[3]

كتاركة بيضها بالعـــراء وملبسة بيض أُخرى جَناحا

وهو يقصد النعامة ، لأنها من حمقها تترك حضن بيضها فإن رأت بيض أخرى حضنته ، ونَسِيَتْ بيـــض نفسها .[4]

وله معرفة دينية دقيقة مميّزة للألفاظ ، ودلالاتها ، من ذلك مافدح به إبراهيم بن عبدالله بن مطيع :[5]

إنّ ذا الجود والمكارم إبـــرا هيم يعنيه كلّ مايعنني

قد خَبَرْناه في القديم فألفَيْـ ـنا مواعيده كعَيْنِ اليقينِ[6]

وعين اليقين لفظ قرآنيّ[7] يدلّ على علم المرء بالشيء عن طريق المشاهدة والمعاينة بالبَصَـــر ،

---

(١) انظر الأزمنة والأمكنة ٢ : ٢٣٣ ، والديوان ١١٤

(٢) الشعر والشعراء ٢ : ٧٣٠ وثمار القلوب ٣٥٣

(٣) الزند الشحاح : الذى لايورى

(٤) الحيوان ١ : ١٩٩ والصناعتين ١٤٥

(٥) هو إبراهيم بن عبدالله بن مطيع بن الاسود ، من بني عديّ بن كعب ، ولايُذكر عنه سوى أنّ أباه قُتل مع ابـــن الزبير ، وأن اولاده خرجوا مع محمد بن عبدالله (النفس الزكيّة) . جمهرة الأنساب (لابن حزم) ١٥٨

(٦) الأغاني ٤ : ٣٨٥

(٧) من قوله تعالى : " لترونّها عين اليقين " سورة التكاثر آية (٧)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهي غير علم اليقين[١] الذى يكون بالسماع والقياس ، وهى غير حقّ اليقين[٢] الذي يدل على معاشـــــــــــرة الشيء بعد سماعه ورؤيته .

فابن هرمة يقصـــد عين اليقين ، لأنّه رأى مواعيـــد ممدوحه معرفة مشاهـــــــدة بالبصر .

---

(١) من قوله تعالى " لو تعلمون علم اليقين " سورة التكاثر آية (٥)

(٢) من قوله تعالى " إنّ هذا لهو حق اليقين " سورة الواقعة آية (٩٥)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تشيّعــه :

كل الذي وصل إلينا من شعره المذهبي مقطوعتان[١]

أولاهما : بلغت ثلاثة أبيات ، وهي التي أنكرها زمن العباسيين حين سئل عن قائلها ، فقال : قائلها من عضّ (كذا) من أُمّه ، وهي قوله:[٢]

ومهما ألام على حبّهم ... فإنّي أُحب بني فاطمة

بني بنت من جاء بالمحكما ... ت وبالدّين والسُّنّة القائمة

ولستُ أُبالي بحبي لهم ... سواهم من النّعم السائمة

ثانيهما : بلغت أربعة أبيات ، وهو يفتخر فيها بالكرم ، ويدّعي أنّ هذه الصفة لم تكن طارئه عليه ، وإنما ورثها عن علي بن أبي طالب قال فيها :[٣]

وسل الجار والمعصّب والأضياف ... وهنا إذا تحيّوا لديّا[٤]

كيف يلقونني إذا نبح الكلب ... وراء الكسور نبحا خفيّا[٥]

ومشى الحالبُ المبسُّ إلى الناب ... فلم يُقرِ أصغر الحيّ ريّا[٦]

لم تكنْ خارجيّةً من تراثٍ حادثٍ ... بل ورثتُ ذاك عليّا

---

(١) قال الأستاذ المُعَيْبِد : إنه لم يصل إلينا من شعر ابن هرمة المذهبي إلا مقطوعة واحده . يقصد أبياته في بني فاطمة . انظر الديوان ٢٤

(٢) الأغاني ٤ : ٣٨٧ وتاريخ ابن عساكر ٢ : ٢٤٠ وخزانه الادب ١ : ٢٠٣

(٣) الحيوان ١ : ٣٨٨ والديوان ٢٤٦

(٤) المعصّب : الذي يُعصّب بالخرق جوعا

(٥) الكسور : أجزاء الإبل أو أعضاؤها بعد الذبح

(٦) بسّ الإبل : ساقها سوقا لينا ، والمبسّ : الحالب لها والناب : الناقة المسنة . والأصفر : الرجل الجائع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو أنّ ابن هرمة ورث التشيع عن أبيه وراثة ، شأن كل الابناء الذين يرثون مذهبهم الديني ، غير أنّي أشك في صدق تشيعه وانتمائه للعلوية ، لأنه تخلى عن مواقفه منهم يوم أنكر أبياته السابقة في بني فاطمة ؛ ولأنه التزم الحياد من ثورة محمد بن عبدالله المعروف (بالنفس الزكية) أول ظهورها ، حتى يرى ماتؤول إليه ، فقال في ذلك :(١)

أرى الناس في أمر سحيلٍ فلا تزلْ
على حذر حتى ترى الأمر مُبرَما(٢)

فإنك لاتستطيع ردَّ الذي مضى
إذا القول عن زلاّته فارق الفما

فكائنْ ترى من وافر العرض صامتا
وآخر أردى نفسه إن تكلّما

ويقال إنه أيدها أول قيامها ، وأخذ يحثّ صاحبَها على الثبات والصمود . من ذلك ماروَاه أبو بكر الصولي من أن ابن هرمة خاطب محمد بن عبدالله (النفس الزكيه) في قوله :(٣)

أتتكَ الرواحل والملجَماتُ ... بعيسى بن موسى فلاتَعْجَلِ(٤)
وقال لي الناس ان الخباء ... أتاك مع الملك المقبل
فدونكها يا ابن ساقي الحجيج ... فإنّي بها عنك لم أبْخَلِ
أبوك الوصيُّ وأنْتَ ابنُه ... وصيّ نبيّ الهُدى المُرْسَلِ

---

(١) أمالي الزجّاجي ٥ ، والديوان ٢٠٢

(٢) السَّحيل : غير المُحْكم وعنىٰ به الاضطراب

(٣) أشعار أولاد الخلفاء ٣١٢

(٤) عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس ، ولاّه أبو العباس السفاح عهده . وتوفي بالكوفة سنة ١٦٧هـ . (أنساب الاشراف ٣: ٢٨٠)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غير أن البلاذري[1] جعل هذه الأبيات في مخاطبة عيسى بن موسى . وهو الصواب فيما يبدو، لأن السقاية كانت للعباس بن عبدالمطلب .

وبعد فشل هذه الثوره ، ومقتل صاحبها عارضها وأنكر تأييده لها قائلا :[2]

دَعَوْني وقد شالت لإبليسَ رايةٌ
وأُوقد للغاويين نار الحباحبِ[3]

أبا الليث تَغترّون يحمي عرينه
وتلقوْنَ جَهْلاً أُسْده بالثعالبِ

فلا نفعتني السِّنُّ إنْ لمْ يؤزّكم
ولا أحكمتني صادقات التجاربِ

ووصل به الأمر حدّا هجا فيه بعض العلويين ، ولعل مواقفه منهم كانت وسيلة من وسائل التقية اتخذها ابن هرمة وغيره من الشعراء ليبعدوا عنهم عيون العباسيين التي ظلت تراقبهم ، أو لعل ابن هرمة لم يكن من الغلاة المتطرفين في تشيعهم ، وإنما كان ميّالا إلى العلويين دون أن يتّخذ مذهبهم عقيدة صحيحة له ، ولهذا قال الدكتور هدّارة في شعره المذهبي " ... فهو لايُعتبر في الشعر المذهبي لأنّه لايصوّر لنا عقيدة معينة ، ولايرسي أصول مذهب شأن الشعراء المذهبيين ".[4]

---

(١) أنساب الاشراف (تحقيق . الدورى) ٣: ٢٨٠

(٢) العقد الفريد ٥: ٨٩ والديوان ٦٣

(٣) نار الحباحب : تضرب مثلا للشيء يروق ولا طائل فيه

(٤) اتجاهات الشعر في القرن الثاني ٣٥٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفاتـــــه :

اختُلفَ في تحديـــــد سنة وفاته ، كما اختُلف في تحديـــــد سنة ولادتـــــة .

وأقرب التواريخ لوفاته كان سنة خمسين ومئة ، وأبعدها سنة ست وسبعين ومئة ، وبينهما تاريخـــان آخران ولكنهما تقريبيان غير محدديّن .

ذكر التاريخ الأول ابن شاكر الكتبي ، فقال في أحداث سنة مئة وخمسين " وفيها توفي إبراهيـــــم ابن علي بن سَلمة الفهريّ المدني الشاعر المعروف بابن هرمة ".(١)

وقَبِل هذا التاريخ فريق من الباحثين المحدثـــــين .(٢)

ولمْ يأخذْ بهذا التحديد أكثر القدماء ، بل آثر بعضهم أن يقول " إنّه مات بعد الخمسين ، ومئـــــة تقريبا . قال هذا الصفدي.(٣) والسيوطي(٤) وعبد القادر البغدادي(٥) واختاره من المحدثين بروكلمـــــان(٦)

---

(١) عيون التواريخ (مخطوط) ٣ : ٦١

(٢) من هؤلاء الدكتور عبد العزيز الدوري محقق كتاب (أخبار الدولة العباسية) حاشية الصفحه ٣٨٠ ، والدكتور علي توفيق الحمد محقق كتاب (الجُمَل في النحو) للزّجّاجي حاشية صفحة ٢٧٨، والأستاذ محمد عبد الجواد محقق كتاب (المسلسل في غريب اللغة) حاشيه الصفحة ٤٩.

(٣) الوافي بالوفيات ٦ : ٥٩

(٤) شرح شواهد المغني ٢ : ٦٨٢

(٥) خزانة الأدب ١ : ٣٨٢ ، وشرح أبيات مغني اللبيب ٥ : ١٥٢

(٦) تاريخ الأدب العربي (ترجمة عبد الحليم النجار) ٢ : ٧٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذكر ابن المعتز[١] أنه بقي إلى آخر أيام المنصور .

وذهب الاربلي[٢] إلى أنه توفي سنة ست وسبعين ومئة . كما ذهب إلى ذلك ابن كثير[٣] وابن تغرى بردى[٤]

ومال إلى ذلك فريق من الباحثين المُحدثين .[٥]

وبدراسة التواريخ الأربعة نجد أن تحديد ابن شاكر لايستقيم لنا لثلاثة أسباب .

أولها : ان التاريخ الذي ذكره لم يقل به أحد من المتقدمين ولم يأخذ به أحد من المتأخرين .

وثانيها : أن ابا الفرج الاصفهاني قال في ترجمة ابن هرمة " وأنشد المنصور سنة اربعين ومئه ثم عُمّر بعدها مدة طويلة ".[٦]

وثالثها : أن ابن المعتز ذكر أنه بقي إلى آخر أيام المنصور[٧] والمنصور توفي سنة ثمان وخمسين ومئة[٨].

---

(١) طبقات الشعراء ٢٠

(٢) الذهب المسبول ١٢٠

(٣) البداية والنهاية " احداث سنة ١٧٦هـ) ١٠ : ١٧٠

(٤) النجوم الزاهرة ٢ : ٨٤

(٥) منهم الدكتور حسين عطوان في كتابه (شعر ابن هرمة القرشي)ص ١٣ ، ومحمد جبار المعيبد في(ديوان ابن هرمة)ص٢٣ . والدكتور عدنان عبدالرحمن الدوري في كتابه شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ) حاشيه ص٦٧٤ .

(٦) الأغاني ٤ : ٣٩٧

(٧) طبقات الشعراء ٢٠

(٨) تاريخ الطبرى ٥ : ٢٩٣ (أحداث سنة ١٥٨هـ) ومروج الذهب ٣ : ٣١٩ (أحداث نفس السنة) . والكامل في التاريخ (لابن الأثير) ٥ : ٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتولى الخلافة بعده ابنه المهدي،[١] وكان ابن هرمة وفد عليه مع من وفد من أهل المدينة.[٢]

وأما الذين قالوا إنه تُوفّي بعد الخمسين ومئة فقولهم مطلق غير محدد.

بقي التحديد الرابع، وهو سنة ست وسبعين ومئة[٣]، وهو التاريخ الذي أرجحه لتحديد وفاة ابن هرمة لسببين:

أولهما: أن كلمة أبي الفرج السابقة[٤] تقبل هذا التاريخ. فالفرق بين التاريخين[٥] ست وثلاثون سنة، وهو فرق يمكن أن تُقبَل فيه صفتا التعمير والمدة الطويلة.

وثانيهما: ماذكره ثعلب رواية عن الأصمعي، أنه سمع ابن هرمة ينشد الرشيد بلغة تميم.[٦]

فإذا قبلنا سنة ست وسبعين تاريخا لوفاته، فيكون عمر ابن هرمة - عند ذاك - مئة وستة أعوام.

أما مكان وفاته، فقد سكتت عنه المصادر القديمة التي عاصرت ابن هرمة، والتي تأخرت عنه قليلا، وكلّ الذي ذكروه أنه دُفن بالبقيع.

---

(١) تولّى المهدي الخلافة بعد يومين من وفاة أبيه. انظر تاريخ الطبري ٥:٢٩٣

والكامل في التاريخ ٥:٤٢

(٢) انظر الخبر كاملا في الأغاني ٤ : ٣٦٠

(٣) أنساب الاشراف (تحقيق. الدوري) ٣:٢٧٨

(٤) وهي قوله " ثم عُمّر بعدها مدة طويلة "

(٥) وهما سنة ١٧٦هـ - و١٤٠ هـ

(٦) مجالس ثعلب ١:٨١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتفرّد السيوطي في تحديد مكان وفاته ، فقال " ومات بقُريبا ودُفن بالبقيع ".(١)

وأحسب أن (قريبا) هذه مصحفة عن (قُرَيّة) لأني لم أجد في شعر ابن هرمة ولافي كتب البلدان اسم (قريبا) .

اما (قُرَيّة) فهي قرية ذكرها ابن هرمة في شعر له ، فقال :

انظر لعلك أن ترى بسُوَيْقة أو بالقريّة دون مغضى عاقل(٢)

والقرية بلدة من نواحي المدينة ، ذكرها ياقوت في معجم البلدان .(٣)

وأكاد أميل إلى هذا التحديد في المكان ، ويزيدني ميلا إليه سببان :

أولهما : عبارة السيوطي في تحديد سنة وفاته ومكانها حين قال " ومات بعد الخمسين ومئة ومات بقريبا ودفن بالبقيع ".(٤) فتكرار الفعل (مات) دليل على أن (قريبا) اسم مكان لاكلمة مصحّفة عن تقريبا .

وثانيهما : ماذكره بعض المصنفين في تحديد زمن وفاته ، فقالوا " فكانت وفاته بعد الخمسين ومئة تقريبا "(٥)

---

(١) شرح شواهد المغني ٢ : ٦٨٢

(٢) ديوان ابن هرمة ١٩٦ ، وسويقة : جبل بين ينبع والمدينة ، وهو اسم مكان آخر بالقرب من السيالة . وعاقل : اسم لكل جبل ، وقيل هو رمل بين مكة والمدينة،وقيل جبل بنجد . معجم البلدان (مَرَيّة)

(٣)معجم البلدان (قرية)

(٤) شرح شواهد المغني ٢ : ٦٨٢

(٥) الوافي بالوفيات ٦ : ٥٩ ، وخزانة الأدب ١ : ٣٨٢ ، وشرح أبيات مغني اللبيب (البغدادى) ٥ : ١٥٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولست أرى وجها لـ " تقريبا " هنا لأن الزمان في الرقم قبلها غير محدد على وجه اليقين .

وأرجح أن تكون تقريبا هنا مصحفة عن (قرية) وهي البلدة التي ذكرها ابن هرمة في شعره ، وحددها السيوطي مكانا لوفاته .

ولم تكن وفاة ابن هرمة هرما كما يمكن أن يُفهم ، لأنه عمر مئة وستة أعوام ، بل كان مرضا ألمّ به في أخريات حياته .

ذكر أبو الفرج أن ابن هرمة مدح محمد بن عبدالعزيز،[1] وكان ابن هرمة مريضا ، فكتب إليه ، وكان آخر ما اكتسبه من شعره[2]

إنّي دعوتُك إذ جُفيتُ وشفّني
مرض تضاعفني شديد المُشتكى
وحُبِسْتُ عن طَلَب المعيشة وارتقتْ
دوني الحوائج في وعور المُرْتَقى

ولمّ يحدد ابن هرمة مرضه في هذه الأبيات ، إلاّ أنه ألمح إلى طبيعة المرض ، ومايسببه من ألم شديد وهزال في الجسم .

ولم يذكر أبو الفرج أيضا نوع المرض ، غير أنّي وقفت في كتاب (التكملة) للصغاني على بيت لابن هرمة يقول فيه .[3]

وقول الكاشحين إذا رأوني
أُصيب بداء يأسٍ فهو مودي[4]

---

(١) هو محمد بن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالرحمن بن عوف ، كان قاضي المدينة للمنصور : انظر جمهرة أنساب العرب ١٣٤ .
(٢) الأغاني ٤ : ٣٧٤ ، والديوان ٥٤
(٣) التكملة (تحقيق : أبي الفضل ابراهيم) ٣ : ٣١٧ والديوان ١٠٣
(٤) الكاشحون : الأعداء ، ومودٍ : هالك

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وداء اليأس هو مرض السـل .

وقال الصغاني معلقا على هذا البيت" إن ابن هرمة أول من أصيب بالسل من العرب ".(١)

فابن هرمة مات بداء السل ، ولست أظن أنه أول من أصيب به من العرب كما ذهب الصغاني .

وقيل إنه لم يتبع جنازته إلا أربعة نفر يحملونها حتى دفن بالبقيع . ذكر هذا مصعب الزبيري(٢) تعقيبا على قول ابن هرمة :

ما أظن الزمان يا أم عمرٍو تاركا إن هلكت من يبكيني

---

(١) المصدر نفسه ٣:٣١٧

(٢) الأغاني ٤:٣٩٧ ، والإيناس بعلم الأنساب ١٩٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موقفـــه من الأمويـــين :

غلب الأمويون على الخلافة بعد صراعات دامية مع علي بن أبي طالـــب في موقعتي الجمـــل وصفّين .

وكان الثأر من قتلة عثمان بن عفان هو الشعار الذي رفعه الأمويون لينتزعوا به الحكم ، ثم تحـــوّل طلبهم من الأخذ بالثأر إلى نيل الحكومة . فزعموا أن الخلافة حق من حقوقهم ورثوه عن عثمان بن عفـــان لأنه نالها بالشورى ثم قُتل مظلوما ، فخرجت منهم وانتقلت إلى غيرهم فقاتلوا حتى استردوها .(١)

وكان الأمويون في صدر الإسلام وبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصين على ألاّ تخـــرج الخلافة من قريش ، وكانوا أشد حرصا على ألاّ تخرج من بني أمية .

روى المسعودي أنه لمّا بويع عثمان بن عفان بالخلافة ، دخل عليه أبو سفيان ، ومعه بنو أميـــة، فقال " أفيكم أحد من غيركم ؟ قالوا : لا ؟ قال : يابَني أمية ، تلقّفوها تلقف الكرة ، فو الذي يحلف به أبـــو سفيان مازلت أرجوها لكم ولتصيرنّ إلى صبيانكم وراثة ".(٢)

وأكد بعض الشعراء الموالين لهم هذا الحق ، فقال الفرزدق لعبدالملك بن مروان مقررا أن الخلافـــة جاءت الأمويين عن طريق عثمان ، وأنهم أحق الناس بوراثته ، لأنهم أهل بيته :(٣)

---

(١) الأمويون والخلافة ١٣

(٢) مروج الذهب ٢ : ٣٥٢ ، والشعراء من مخضرمي الدولتين ٢٢

(٣) ديوان الفرزدق ١ : ٢٥ وانظر ديوانه أيضا ١ : ٢٥ ، ٢ : ٩ ، ٢١٠

والأمويون والخلافة ١٤، ١٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تراث عثمان كانوا الأولياء له

سربال مُلْكٍ عليهم غير مسلوبِ

ولم يتكئ الأمويون على هذه النظرية ، لأن أقصى ما سيحصلون عليه هو المطالبة بقَتَلة عثمان ثم قَتْلهم .

وحاولوا إثبات حقهم عن طريق آخر ، ظنوا أنه أقوى في الدليل من سابقه ، فتقربوا من رسول الله " صلى الله عليه وسلم " بقربى العصبية ، فالأمويون والها شميون أبناء عمومة ينتمون إلى عبد شمس وينحدرون جميعا من عبد مناف بن قُصَيّ .

وأخذ بعض الشعراء بهذه النظرية ، منهم الفرزدق الذي خاطب سليمان بن عبد الملك بقوله :(١)

ورثتم قناة المُلْك غير كلالة

عن ابن مناف عبد شمس وهاشمِ

وصرح به ، أيضا ، في مخاطبته لمعاوية بن هشام بن عبدالملك بقوله :(٢)

ورثوا تراث محمدٍ كانوا به أولى وكان لهم من الأقسامِ

ويبدو أن الأمويين روجوا لهذا الادعاء ، فقد حدّث عباس بن هشام الكلبي عن أبيه قال " دخل على أبي العباس مشيخة من أهل الشام ، فقالوا : واللهِ ماعلمنا أن لرسول الله " صلى الله عليه وسلم " قرابة يرثونه إلا بني أمية حتى وليتم ."(٣)

---

(١) ديوان الفرزدق ٢ : ٣٠٩

(٢) المصدر نفسه ٢ : ٢٨٣ والأمويون والخلافة ١٨

(٣) أنساب الأشراف ٣ : ١٥٩ ومروج الذهب ٣ : ٤٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد شك الدكتور حسين عطوان في هذا الخبر فقال " وقد يكون الخبر مما وضع على الأمويين للتشنيع عليهم والتشهير بهم بعد سقوط دولتهم ".(١)

ويُحتمل أن يكون أشياخ أهل الشام قالوه ليتنصلوا من موالاتهم للأمويين بسبب خوفهم من العباسيين إلا أنه عذر لايثبت ، فهم يعلمون أن العباس هو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الاسلام وحسن إسلامه وهو أولى الناس به .(٢)

ولئن صح أن يكون الأمويون ذهبوا هذا المذهب في تأييد حقهم في الحكم ، فان ادعاءهم هذا لايشكل لهم نظرية مميزة في الخلافة ، فالهاشميون والعباسيون أكثر قرابة لرسول الله فهم أسباطه وأبناء عمومته .(٣)

من أجل ذلك مال الأمويون إلى مذهب الجَبْر في الخلافة(٤) وكان زياد بن أبيه أول من بشر به منهم ، فهو يقول في خطبته البتراء لأهل البصرة سنة خمس وأربعين " أيها الناس ، إنا أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة ، تسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ونذود عنكم بفيء الله الذي خوّلنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل فيما ولينا ".(٥)

---

(١) الأمويين والخلافة ١٧

(٢) ارجع إلى كتاب الدكتور حسين عطوان (الدعوة العباسية : تاريخ وتطور ص ٨٧، ومابعدها ففيه تفصيلات عن مواقف العباس بن عبدالمطلب في الإسلام ، وأحاديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم تُنوّه به .

(٣) انظر : الأمويون والخلافة ١٧ ومابعدها

(٤) السيادة العربية ٧١ ، والأمويون والخلافة١٩

(٥) البيان والتبيين ٢:٤٩، وتاريخ الطبري ٥: ٢٢٠ ، جمهرة خطب العرب ٢: ٢٧٣ ، والامويون والخلافة ٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان يزيد بن معاوية يقول بهذه النظرية ، فقد بعث بكتاب إلى عامل المدينة بعد وفاة أبيه يصرّح فيه بأن الله اصطفى أباه ثم اصطفاه من بعده لولاية المسلمين ، قال فيه :

" إن معاوية بن أبي سفيان كان عبدا من عبيدالله أكرمه ، واستخلفه ، وخوّله ، ومكّن له ... وقد قلّدنا الله عز وجل ماكان إليه ".(١)

ويقول الدكتورحسين عطوان " إنه لم يخرج أحد من الخلفاء الأمويين على نظرية الجبر في الخلافة إلاّ يزيد بن الوليد بن عبدالملك فإنه دعا الى أن تكون الخلافه شورى بين المسلمين ... ثم قصّر عن تطبيقه لأن الأوضاع السياسية في أيامه كانت مضطربة اضطرابا شديدا ".(٢)

واستجاب الشعراء(٣) الموالون للأمويين لهذه النظرية ، واتخذوها أساسا ليدافعوا عن حقهم في الخلافة فصاروا يدّعون أن الخليفة ظل الله في الأرض ، وأنه حاز الخلافة لأن الله ساقها إليه واصطفاه من بين خلقه.

وحاول الخلفاء الأمويون أن يعلّلوا اصطفاء الله لهم ، فجعلوا ذلك لسببين :

أولهما : إسلامي يتمثل في صحة عقيدتهم وحُسْن سيرتهم .

وثانيهما : عربي يتمثل في صراحة أنسابهم وأصالتها ، ونُبْل أخلاقهم وعفّتها ، ومعنى هذا أن نظرية الأمويين في الخلافة كانت مزاجا من الأفكار الإسلامية والأعراف العربيّة(٤).

---

(١) الإمامة والسياسة ١ : ٢٠٤ ، والأمويون والخلافة ٢٦

(٢) الأمويون والخلافه حاشية ٣ص٢٦. وانظر الفصل الأخير من الكتاب نفسه .

(٣) انظر مثلا: ديوان الأخطل ٢١،٢٤،٧٣ وديوان جرير ١ : ٧٠ ، ٥٩،٢٩٥و٢ : ٦٢٠ وديوان الفرزدق ١ : ٢٤،٢٥و ٢ : ٨٩ ، ١٤٧، ٢١٠ وشعر الأحوص ١٧٣ ، ١٩٣. والأمويون والخلافه ص٣٠ وما بعدها

(٤) انظر : الأمويون والخلافة ٤٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وليس بين أيدينا من شعر ابن هرمة في العصر الأموي إلاّ أبيات قالها في الوليد بن يزيد وعبد الواحد بن سليمان بن عبدالملك .

وقد علّل الدكتور عطوان سبب اختفاء كثير من أشعار الشعراء الذين قضوا الشطر الأكبر من حياتهم في العصر الأموي وعُرفوا بولائهم للأمويين بسببين اثنين :

أولهما : تكتّم الشعراء أنفسهم على أشعارهم السياسية أشد التكتم ، وحرصهم على إخفائها أكبر الحرص ، كما ابتعدوا عن العباسيين في أيامهم الأولى وانزووا عنهم حتى لايراجعوهم فيها ولايحاسبوهم عليها ، فإنهم كانوا يعلمون علاقاتهم بالأمويين علما دقيقا ، يُخيّل معه أن العباسيين كانو يراقبونهم ويرصدون كل حركاتهم وسكناتهم فليس من شاعر وفد عليهم بعد نجاح ثورتهم وقيام دولتهم إلاّ سألوه عن ماضيه السياسي وكشفوا له عنه وعنّفوه وهدّدوه به ".(١)

وثانيهما : " إسقاط الرواة المتعصبين للعلويين والعباسيين لغير قليل من قصائد الشعراء من مخضرمي الدولتين إسقاطا مقصودا ابتغوا فيه التعفية على آثار الأمويين وطمس كل شعر فيه تخليد لهم أوثناء عليهم ، ويتضح ذلك في إعراض أبي الفرج الأصفهاني وابن المعتز عن إثبات كثير من أشعار هؤلاء الشعراء ".(٢)

وقد يضاف إليهما سبب ثالث وهو ضياع كثير من التراث العربي في تلك الفترة والفترات التالية .

---

(١) الشعراء من مخضرمي الدولتين ٣٥

(٢) المرجع نفسه ٣٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولئن كان السببان الأوّلان ينطبقان على ضياع كثير من أشعار الشعراء الموالين للأمويين ، فإنهما أشد انطباقا وصدقا على ضياع شعر ابن هرمة . إذ لم يصل إلينا من شعره فيهم إلا بيتان قالهما في الوليد ابن يزيد وبضع وثلاثون بيتا في عبد الواحد بن سليمان والي المدينة لمروان بن محمد ، على الرغم من أنه ارتبط بهما طويلا وأجازاه .

وما وصل إلينا من شعره يبيّن أنه كان يتمثل نظريتهم في الخلافة ، تلك التي قيل فيها إنها كانت تقوم على أساسين أحدهما إسلامي والآخر عربي .

أما الأساس الإسلامي فتمثل في إضفاء الصفات والألقاب الدينية على الخليفة ، فقد قال في الوليد ابن يزيد إنه (خليفة حقّ) وبأنه (دافع عن قناة الدين) وأصلح أمور الناس بعد أن كانت فوضى:(١)

وكانت أمور الناس منبتةَ القُوَى

فشدّ الوليد حين قام نظامَها

(خليفة حق) لا خليفة باطل

رمى عن قناة الدين حتى أقامها.

ويبدو أن الصورة التي رسمها ابن هرمة للوليد بن يزيد تخالف الصورة التي رسمها له المؤرخون فقد جعلوا سيرته خليعة مُنحلّة ، وحكموا عليه بهذا الانحلال ، حتى إن بعض الباحثين لم يقبلوا قول ابن هرمة فيه ، من أن الوليد دافع عن قناة الدين حتى أقامها ، منهم الدكتور مصطفى الشكعة الذي قال

---

(١) الاغاني ٤:٣٩٦

والديوان ٢١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معلّقا على هذين البيتين " أمّا أن يكون الوليد قد دافع عن قناة الدين حتى أقامها حسبما قال ابن هرمة ، فلعل ذلك آخر شيء يمكن أن نُصدقه ، ونحن نعرف تاريخ الوليد ".(١)

ويقف الدكتور حسين عطوان موقفا مغايرا لرأي الدكتور الشكعة فيقول " وأكبر الظن أن المؤرخين عبثوا بأخباره ومدّوا في غيها ومجونها ، وزادوا في ضلالها وانحرافها ، وقد اغراهم بتزييفها في العصر الأموي هشام بن عبدالملك ، فإنه كان يطمع في عزله عن ولاية العهد والبيعة لابنه مسلمة ، فلما أبى الوليد أن يخلع نفسه ويبايع لمسلمة ، ورفض أن يكون الخليفة بعده ، تنكّر له هشام ، وأضرّ به ، وتنقّصه ، وذمّ أصحابه وزيّن لهم إفسادها في العصر العباسي تشجيع العباسيين لهم بتحريف تاريخ الأمويين فوجدوا في حريته الفكريةَ والعملية الوسيلة إلى التشهير به والقدح فيه فجعلوه خليع بني مروان ".(٢)

ولم تقف استجابة ابن هرمة لنظرية الأمويين عند حدود الألقاب والصفات الدينية ، فقد تجاوزها إلى صفات العروبة من شرف الأصل وعراقة الحسب وسعة الجود ، وكرم الأخلاق والإقدام والشجاعة عند اللقاء ، فقال يذكر عبد الواحد بن سليمان مشيدا بشرف أصله :(٣)

أبوك غداة المرج أورثكَ العُلا
وخاض الوغى إذْ سال بالموت رُهطُه
وكان امرءاً أخوّاضَ كلّ كريهةٍ
وفردى حروب يوم شرّ يُفالطُه(٤)

---

(١) الشعر والشعراء في العصر العباسي ٨٨، وانظر ملاحظة (المعيبد) في حاشية الصفحه ٢١١ من الديوان حيث يجعل هذين البيتين في يزيد بن الوليد لا الوليد بن يزيد بشهرة الأول بالورع والتقوى وشهرة الثاني بالمجون والفسق.

(٢) الشعراء من مخضرمي الدولتين ٤٨،٤٧ ،وللدكتور عطوان كتاب بعنوان (الوليد بن يزيد : عرض ونقد)

(٣)العباب الزاخر (حرف الفاء) ١٥٤ والديوان ١٣٩

(٤) الفِلاط (بلغة هذيل) المفاجأة ويقال لقيته فلاطا أي مفاجأة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذكر عراقة حسبه ، فقال :[١]

تحلّ الوفود بأبوابه ... فتلقى الغِنى قبل إرتاجها[٢]

إلى دار ذى حَسَبٍ ماجدٍ ... حَمولِ المغارم فرّاجها

وأثنى على كرمه وجوده في قوله :[٣]

يكاد بابكَ من جود ومن كَرَمٍ ... من دون بوابه للنّاس يَنْدلِقُ[٤]

وأشاد بحُسْن خلقه فقال :[٥]

لكنْ بمدْينَ من مغضى سُوَيْمرةٍ ... من لايُذَمُّ ولايُشْنا له خُلُقُ[٥]

أهلُ المدائن تأتيه فتمدَحُه ... والمادحون إذا قالوا له صدقوا

---

(١) الأغاني ٦ : ١١٢ والديوان ٨٥

(٢) الإرتاج : الإغلاق

(٣) الأغاني ٦ : ١٥٣ ، والديوان ١٥٦

(٤) يندلق : ينفتح سريعا

(٥) الأغاني ٦ : ١٠٣ ، والديوان ١٥٧

(٦) مَدْيَن : مدينة تجاه تبوك بين المدينة والشام على ست مراحل

وسُوَيْمِرَة : موضع في نواحي المدينة . انظر (معجم البلدان) : (مدين) و (سويمرة).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأُعجب بشجاعته وإقدامه في الحروب في قصيدتين ، قال في الأُولى :[١]

لايستقرّ ولاتخفى علامته
إذا القنا شال في أطرافها الحرقُ[٢]

في يوم لامال عند المرء ينفعه
إلاّ السّنان وإلاّ الرّمحُ والدّرقُ[٣]

يَطْعن بالرّمح أحيانا ويضربهم
بالسّيف ثمّ يدانيهم فينعتقُ

وقال في الثانية :[٤]

إذا قيل مَنْ خَيْرُ مَنْ يُرتجى ... لمعتَرّ (فهر) ومحتاجها[٥]
ومَنْ يَعْجِلِ الخيلَ يوم الوغى ... بالْجامها ثمّ إسراجها
أشارت نساءُ بني مالك ... إليك به قبل أزواجها

ويُحتمل أن يكون لابن هرمة أبيات فيها تأييده السياسي لبني أمية غير أن أبياته لم تصلْ إلينا . يُرَجّح هذا الظن نقمة العباسيين عليه وتتبعهم له ، فقد ظلوا يتفجّرون غيظا كلّما التقوا بابن هرمة".[٦]

---

(١) الأغاني ٦ : ١٠٣ والديوان ١٥٨

(٢) شال : ارتفع . والخرق : لهب النار

(٣) الدّرَق : الترس

(٤) أنساب الأشراف ٣ : ٢٢٥ والأغاني ٦ : ١١١

(٥) المعترّ : الفقير المتعرض للمعروف من غير أن يسأل

(٦) الشعراء من مخضرمي الدولتين ٦١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويظهر سخط العباسيين عليه ماقاله المنصور له يوم بنى بغداد ، وكتب إلى أهل المدينة أن يوفدوا عليه خطباء هم وشعراء هم فكان فيمن وفد عليه ابن هرمة ، وكان آخر مَنْ أنشد ، فقيل للمنصور : هذا ابن هرمة ، فقال " لامرحبا ، ولا أهلا ولا أنعم الله به عينا ".(١)

ولمّا مدحه ابن هرمة بأبياته المشهورة(٢) أمرله بألف دينار فكلّمه فيه المهدى ، واستقلها ، فقال له المنصور " يابُنَيّ لو رأيت هذا بحيث رأيته وهو واقف بين يدى عبدالواحد بن سليمان ينشده :

وجدنا غالبا كانت جناحا وكان أبوك قادمةَ الجناحِ (٣)

لاستكثرت ما استقللته ، ولرأيت حياته بعد ذلك ربح كثير . واللهِ يابُنَيّ ، ماهممتُ له منذ يومئذ بخير ، فذكرت قوله إلاّ زال ماعَرَض بقلبي إلى ضدّه ، وحتى أهمّ بقتله ثم أعفو عنه ، فأمسك المهدى ".(٤)

وظل المنصور يحقد عليه ويراقبه من أجل مواقفه من بنى أمية ، من ذلك أنّه وجّه رسولا قاصدا ابن هرمة ، ودفع إليه ألف دينار وخِلْعة ، وقال للرسول " امضِ إليه وانتسب لبنى أمية أو مواليهم ، وسَلْهُ أن ينشدك قصيدته الحائية(٥) في عبد الواحد ، فإذا أنشدكها فأخرجه من المسجد واضرب عنقه وجئني برأسه ".(٦)

---

(١) تاريخ بغداد ٦ : ١٢٨ وتهذيب ابن عساكر ٢ : ٢٤٠

(٢) وهي قوله :

سرى ثوبه عنك الصبا المتخايل ..... البيت

(٣) الأغاني ٦ : ١٠٦ والديوان ٨٧

(٤) الأغاني ٦ : ١١٣ ، وهناك رواية أخرى للخبر في البيان والتبيين ٣ : ٣٧٢

(٥) ومنها :

وجدنا غالبا كانت جناحا ..... البيت

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يَبْقَ ابن هرمة على وفائه للأُمويين بعد سقوط دولتهم ، بل إنه تنكّر لهم وهجاهم هجاء مُـــرّا ، من ذلك أنه حين أقبل داود بن علي من مكة إلى المدينة ، ومعه بنوحسن جميعا ، فَعُمل لداود مجلـــس (بالرويثة)[1] فجلس عليه هو والهاشميون ، وجلس الأُمويون تحتهم ، فأنشده ابن هرمة قصيدة يقـــول فيها :

فلا عفا اللّهُ عن مروانَ مظلمـةً
ولا أُميّة بئس المجلسُ النّادي

كانوا كعادٍ فأسْىٰ اللّه أهلكهـمْ
بمثلِ ما أهلك الغاوين من عادِ

فلن يُكذّبني من هاشمٍ أحـــدٌ
فيما أقولُ ولو أكثرتُ تعدادي

فما هو إلاّ أنْ قَدِم المدينة حتى قَتَل بعض الأُمويين [2]

ولم يكن ابن هرمة الوحيد الذي تقلب في مواقفه منهم ، فقد عد الدكتور عطوان عددا من الشعـــراء غيره منهم حفص الأُموي وأبو نخيلة وأبو العطاء السندي.[3]

---

(١) الرُّوَيْثة : موضع على بعد ليلة من المدينة

(٢) انظر الأغاني ٤ : ٣٤٧

(٣) الشعراء من مخضرمي الدولتين ٦٨ ومابعدها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان يُظَـــنّ أن السبب في تغير مواقف بعض الشعراء من بني أمية وقلة وفائهم لهم بعد سقـــوط دولتهم إلى ضعف نظريتهم الدينية والسياسية في الحُكم.(١)

والصواب أن السبب يرجع إلى سياسة العباسيين في تتبّع بني أميـــة والفتك بهم(٥) وتعقبهـــم للشعراء الموالين لهم والتشديد عليهم .

---

(١) انظر في ذلك (اتجاهات الشعر في القرن الثاني)٣٩١

(٢) انظر في ذلك الفصل الذى عقده الدكتور عطوان في كتابه (الدعوة العباسية تاريخ وتطور ص ٣٩٩ بعنوان (استئصال العباسيين للأمويين).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موقفـــه من العباسيين :

تدل الروايات التي أُثبتها بعض المؤرخين على أن العباسيين كانوا يطمعون في تولّي الخلافـــــة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان العباس بن عبد المطلب ، عمّ رسول الله ، حريصا على ألاّ تخـــرج الخلافة من بني هاشم ، فكان يسعى لعليّ فيها حتى تستقر فيهم ، ولاتخرج إلى غيرهم.

وتشير الروايات ، أيضا، إلى أن العباس همّ بمبايعة عليّ بعد وفاة رسول الله ، قائلا لـــــــــه " ابسط يدك فلنبايعك ".[1] وتدل ، أيضا ، إلى أنه تخلّف عن مبايعة أبي بكر .[2]

وحاول العباسيون ، أثناء وبعد نجاح ثورتهم ، أن يقرروا أنّ الخلافة كان ينبغي أن تكون للعباس عـــمّ رسول الله ، ولكنهم أبعدوا عنها .

واعتمدوا في إثبات ذلك على أساسين اثنين :

أولّهما : أن النبي تنبأ أن تكون الخلافة فيهم من بعده ، بل إنهم زعموا أن الرسول صرّح بأن يكون العبـــاس وصيا على الأمر من بعده ورووا في ذلك أحاديث جمعها وأحاط بها الدكتور حسين عطـــــوان.[3] منها ما أخرجه ابن عساكر عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعبـــــاس " فيكم النبوة والمملكة "[4] وأخرجه البغدادي عن طريق عبدالله بن عباس بلفظ آخر ، قـــــال قال العباس :" يارسول الله مالنا في هذا الأمر ، قال : لي النبوة ولكم الخلافة . بكم يُفتَح هـــــذا الأمر وبكم يُختم".[5]

---

(١) تاريخ ابن عساكر ٧: ٢٤٨ ، والدعوة العباسية (تاريخ وتطور) ٩٦

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٢٤ ، والدعوة العباسية (تاريخ وتطور) ٩٦

(٣) انظر الدعوة العباسية (تاريخ وتطور) ص ٩٨ ومابعدها

(٤) تهذيب ابن عساكر ٧: ٢٤٦ ، والدعوة العباسية (تاريخ وتطور) ٩٩

(٥) تهذيب ابن عساكر ٧: ٢٤٦ ، والدعوة العباسية (تاريخ وتطور) ٩٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بل إنهم رَوَوْا أحاديث زعموا فيها أن الرسول نص على أن العباس وصيه من بعده ووارثه في الأمر، من ذلك ما أخرجه ابن عساكر عن طريق الخطيب البغدادي عن أبي جعفر المنصور عن أبيه عن جدّه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " العباس وصيّي ووارثي ".(١)

وشكّك الدكتور عطوان في صحة هذه الأحاديث وقال " إنها أحاديث وأخبار ملفّقه مختلقة ، صنع علماء بني العباس أقلّها في المرحلة السريّة من دعوتهم ، وصنعوا أكثرها بعد قيام دولتهم".(٢)

وأتى الدكتور عطوان بأدلة على شكّه فيها وأنّها مُولّدة توليدا ، لأنه ليس لهذه الأحاديث والأخبار أصل في كتب الأحاديث الصحيحة.(٣)

وثانيهما : أساس شرعي . فالعباس عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو وارثه الحقيقي ، وهو أولى من حفده النبي من أبناء فاطمة ، يريدون بذلك أن يبعدوا العلويين عن مطالبتهم بها .

أما الأساس الأول القائم على مبدأ النص في الإمامة والحكم ، فيقال إن العباسيين اعتمدوا في تقرير حقّهم في الخلافة على وصية أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفيّة ، المتوفى سنة ثمان وتسعين للهجرة، لمحمد بن علي بن عبدالله بن العباس ، ولم يزالوا يذكرون أن الخلافة أتتهم من جهته إلى أيام أبي جعفر المنصور .

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٧: ٢٤٣ ، والدعوة العباسية (تاريخ وتطور) ١٠٠

(٢) الدعوة العباسية (تاريخ وتطور) ص ١٠٧ ومابعدها

(٣) انظر : المرجع السابق ص ١٠٧ ومابعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال الأشعرى " الفرقة التاسعة من الرافضة وهي الثامنة من الكيسانية يزعمون أن الإمام ، بعد أبي هاشم ، محمد بن عبدالله بن العباس . قالوا : وذلك أن أبا هاشم مات بأرض الشراة منصرفه من الشام ، فأوصى هناك إلى محمد بن على بن عبدالله بن العباس ، وأوصى إبراهيم بن محمد إلى أبى العباس ، ثم أفضت الخلافة إلى أبي جعفر المنصور بوصية بعضهم إلى بعض .(١)

وأورد الدكتور عطوان مزيدا من التفصيل عن وصية أبى هاشم لمحمد بن علي فقال " وكان محمد بن على وثيق الصلة بأبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية ... ويقال إنّه كان من تلاميذه ، فقد ذكر ابن عساكر أن أباه أرسله إليه فتعلّم عليه بالمدينة ، وكان أبو هاشم قَدِمَ على سليمان بن عبدالملك بدمشق فأكرمه وأجازه ، وسار أبو هاشم يريد فلسطين أو الحجاز ، فمرض في الطريق ، وأحس بالموت ، ولم يكن له ولد ، فعدل إلى الحميمة ونزل على محمد بن علي وأوصى له بالإمامه".(٢)

ويقال إن العباسيين سوّغوا حقّهم في الخلافة على وصية أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية وذلك أثناء الدعوة السرّيّة ثم ادّعوا أن الخلافة جاءت بني العباس عن طريق جدهم العباس بن عبد المطلب وذلك بعد قيام دولتهم . وأشاعوا أنّ الرسول أوصى له . قال الأشعرى " ثم رجع هؤلاء عن هذا القول(٣) وزعموا أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم نَصّ على العباس بن عبد المطلب ، ونصّبه إماما .

---

(١) مقالات الاسلاميين ١ : ٩٢ والملك والنحل ١ : ١٣٤

(٢) الدعوة العباسية (تاريخ وتطور) ١٦٦. وانظر الشعراء من مخضرمى الدولتين ص ٨٠

(٣) أنّ الوصية اُتتهم عن طريق أبي هاشم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثمّ نصّ العباس على إمامة ابنه عبدالله ، ونصّ عبدالله على إمامة ابنه علي بن عبدالله ثم ساقوا الإمامة إلى أن انتهوا إلى أبي جعفر المنصور وهؤلاء الراوندية ".(١)

ويبدو أن العباسيين روّجوا لهذه الطريق في الوصية وأذاعوا بين الناس أن الخلافة ورثوها عن جدهم العباس بن عبد المطلب لأنه عمّ الرسول وهو أحقّ الناس بوراثته . قال صاحب أخبار الدولة العباسية " كان تشيّع العباسية أصله من قِبَل محمد بن الحنفية ، وإلى ذلك دعا أبو مسلم حتى كان زمان المهدي ، فردّهم المهدي إلى إثبات الإمامة للعباس بن عبد المطلب ، وقال لهم " إن الإمامة كانت للعباس عمّ النبي صلى الله عليه وسلم فإنه كان أولى الناس به ، وأقربهم إليه ثم من بعده عبدالله بن العباس ثم من بعده عليّ ابن عبدالله ، ثم من بعده محمد بن علي ، ثم من بعده إبراهيم بن محمد ، ثم أبو العباس ، ثم أبو جعفر ثم المهدي ثم مَدّها في ولد المهدي ".(٢)

وظل العباسيون يؤكدون حقهم في الخلافة عن طريق الوصية والوراثة ، وكانوا يطلبون من ولاتهم وعلمائهم ونقبائهم أثناء الدعوة ومن شعرائهم بعد نجاح الثورة أن يُزيّنوا للناس حقهم في الإمامة ووراثة الخلافة.

واستجاب أولئك النفر لرغبة العباسيين ، فصار النقباء يَبثّونها في لقاءاتهم مع أنصارهم ، من ذلك مافعله خالد بن إبراهيم الربعي أحد النقباء حين أُخبر أن أبا مسلم قَدِم إلى خراسان ليتسلم قيادة شيعة بني العباس فيها ، فأبى ذلك عليه سليمان بن كثير الخزاعي ، وردّ أبا مسلم عنها ، ولم يكترث لكتاب الإمام إبراهيم بن محمد إليهم بترئيسه عليهم ، فجمع خالد النقباء وناقشهم وسوّغ تولية الإمام إبراهيم لأبي مسلم عليهم قائلا لهم " فهل فيكم أحد بدا له أن يَصرف هذا الأمر عن أهل البيت إلى غيرهم من عترة النبي صلى الله عليه وسلم . قالوا : لا ، قال : أفتشكّون أنهم مَعْدن العلم وأصحاب ميراث الرسول صلى الله عليه وسلم".(٣)

---

(١) مقالات الإسلاميين ١ : ٩٤ ومروج الذهب ٣ : ٢٥٢ وأنساب الاشراف ٣ : ٢٣٥ والدعوة العباسية (تاريخ وتطور) ١٦٩

(٢) اخبار الدولة العباسية ١٦٥ وانظر : الدعوة العباسية (تاريخ وتطور) ١٧٠

(٣) انظر تاريخ بغداد ١٠ : ٢٠٧ والدعوة العباسية (تاريخ وتطور) ٢٥٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتمثّل الشعراء الموالون للعباسيين نظريتهم في الخلافة واستجابوا لها ودعوا إليها ، وأيّدوها في أشعارهم ، منهم بشار بن برد الذي قدم على سليمان بن داود أثناء ولاية أبيه على الكوفة زمن أبي العباس السفاح فمدحه مشيرا إلى حقهم في الخلافة بقوله: (١)

قل للغواة الطالبي شأوهم ... لايدرك الريح المجامير

للملك عبّاس وأبناؤه ... قِدْما وللحش الخنازير (٢)

ومنهم ابن ميّادة حين مدح جعفر بن سليمان بن عليّ مشيرا إلى حق قومه العباسيين في الإمامة لأنهم أحفاد العباس بن عبد المطلب عم النبي ووارثه: (٣)

أنت الذي أحييت بذل الندى

وقد كان مات فلا يُذكر

سليل عباس وليّ الهدى

ومن به في المحل يُستمطر

واستجاب ابن هرمة لنظرية العباسيين في الخلافة أشد الاستجابة ، وتمثّلها أشد التمثّل ، فشعره الذي بين أيدينا يصرّح بها ويلحّ عليها ، بل إنّه ذكر العباس بن عبد المطلب ، وفضّله في الجاهلية ليرفع من شأنه ، ويجعله أهلاً للخلافة والزعامة لما توافرت فيه من صفات الرئاسة ، فقد كان يمنع الجار ويبذل المال ويعطي

---

(١) ديوان بشار ٣ : ١٩٧ وانظر الشعراء من مخضرمي الدولتين ١٠٠

(٢) الحش : مكان قضاء الحاجة

(٣) الأغاني ٢ : ٣٣١ والشعراء من مخضرمي الدولتين ١١٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على النوائـــب ، وفيه يقول :(١)

وكانت لعباس ثلاث تَعدُّهـا ... إذا ماجناب الناس أُصبح أُشْهَبا (٢)

فسلسلةٌ تُنهي الظّلومَ وجفنةٌ ... تُباحُ فيكسوها السَّنامَ المُرَعَّبا (٣)

وحُلّةُ عصب ماتزال مُعَـدّةً ... لعارٍ ضريكٍ ثوبه قد تَهَبَّبـا (٤)

وأشار ابن هرمة إلى الشرف الذى كان يتمتع به العباس في الجاهلية ، وظلّ له في الاسلام ، وهو سقايـــة الحاج في المسجد الحرام :(٥)

لكم سقايتُها قِدْما وندوتُها ... قد حازها والدٌ منكمّ لمولودِ (٦)

ولم يقف ابن هرمة في ثنائه على العباس عند تلك الصفات بل إنه بالغ فيها وتجاوزها إلى حدّ أنه زعـــم أن العباس قد ورث الحقّ الديني في الخلافة من ثلاثة أنبياء ، وأحسب أنه أراد محمداً عليه الصلاة والســـــلام وابراهيم واسماعيل عليهما السلام.

---

(١) الديوان ٥٧

(٢) جناب الناس : هو ماحولهم من الخصب ، وأشهبا : صار أبيض من الجدب لايرى فيه خضرة.

(٣) المرعّب : المقطّع. يقال : سنام مرعّب بمعنى كأنه مقطّع.

(٤) حلة العصب : ضرب من البرود . والضريك : الفقير . وتهبّب الثوب : اذا بَلي .

(٥) الديوان ١٠٢

(٦) السقاية : ماكانت قريش تسقيه الحجاج ، وكان العباس يتولاها في الجاهلية والإسلام.
والندوة : دار الندوة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقـــال :[١]

وقد ورث العباس قَبْل (محمدٍ) نبيّين حَلاّ بطن مكّةَ أحقُبا[٢]

وأخذ ابن هرمة بنظرية العباسيين في الخلافة والحكم فأشار إلى أن العباس بن عبد المطلب هو الـــذى بنى لأبنائه من العباسيين هذا العز التالد ، فأوصى لابنه عبدالله بن عباس من بعده ، فشد عبدالله أركانـه ثم أوصى بالأمر من بعده لابنه علي بن عبدالله ، فزاد عليٌّ في صونه وحفظه ، ثم أوصى بالأمر لابنه محمدابـــن عليّ الذي أوصى من بعده لابنه إبراهيم بن محمد (الإمام) .

ذكر هذا ابن هرمة حين مدح الإمام إبراهيم يوم قدم الأخير المدينة حاجا ، فأتاه الناس إلا ابن هرمـــة فسأل عنه ، فقيل له : إنه مُتوارٍ من الدَّيْن ، فأرسل إليه ، فأتاه فأنشده قصيدة منها قوله :[٣]

بنى لك (عبّاسٌ) من المجد غايةً إلى عِزّ قدموسٍ من المجد أصْيَدا[٤]

وشيّدَ (عبدالله) أركان مثلهـــا وشدّ بأطناب العلا فتشيّـــدا

وشدّ (عليٌّ) في يديه بعـــروةٍ وحبلين من مَجْدٍ أُغيرا فأُحْصِدا[٥]

فكمْ منْ علاءٍ أوْ عُلاً قدْ وَرِثْتَهـا بأحسن ميراثٍ أباك (محمّـدا)

وشك الدكتور عطوان أن يكون اختفاء ابن هرمة عن الإمام إبراهيم بسبب الدين ، وذهب إلى أنـــــه

---

(١) الديوان ٥٧

(٢) الأحقب : جمع حِقَب : وهي ثمانون سنة وقيل أكثر من ذلك .

(٣) الديوان ٢٣٧

(٤) القدموس : القديم

(٥) أغار الحبل : فتله .
وأحصده : أحكم فتله وشدّه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان متخوفـــــا من عاقبـــــة الوفود عليه .(١)

وقد يكون هذا هو السبب في احتجابه عنه ، لأن الأمر لم يستتب بعد للعباسيين ، ولذا كان ابن هرمـــة متحرّجا من القدوم عليه .

ومما يُقوّي رأي الدكتور عطوان أن ابن هرمة لم يذكر في الأبيات السابقة مطالبة إبراهيم بن محمـــد (الإمام) بالخلافة ، ولاحقّ العباسيين فيها ، وإنما جعل مديحه له مديحا وسطا فيه الجانب التقليـــدي للمديح ، وفيه الإشارة الخفيّة لتسلسل الأمر من جدّه العباس حتى وصل الأمر إليه .

وما إنْ يتم الأمر للعباسيين ويجهر أبو العباس السفاح بإعلان الدعوة بعد مقتل الإمام إبراهيـــم في سجن مروان بن محمد حتى قال ابن هرمة يرثي الإمام إبراهيم ويمدح أبا العباس السفاح ذاكرا حقهـــم في الخلافة ونظريتهم في الحكم ، مشيرا إلى أن العباس بن عبدالمطلب وصيّ رسول الله ووارثه الحقيقـــي في الأمر من بعده ، لأنه ابن أخيه ، ثم انتقل الأمر من بعده إلى أبنائه حتى وصل أبا العباس السفاح الـــذي أخذه عن أخيه إبراهيم :(٢)

أتاني وأهلي باللّوى فوق (مثعـرٍ)
وقد زجر الليلَ النجومَ فحولـــتِ

وفاةُ (ابنِ عباسٍ) وصيّ (محمّـدٍ)
فآبت فراشي حسرةٌ ماتجلّـــتِ

أَ (مروانُ) أولى بالخلافةِ منكُمُ
أُصيبتْ إذنْ يُمنى يدَيَّ فشُلّـــتِ

---

(١) الشعراء من مخضرمي الدولتين ٩٥

(٢) الديوان ٦٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأنتم بنو عمّ النبي ورهطه
فقد سئمتْ نفسي الحياة وملّتِ
وقد كان (إبراهيم) مولى خلافةٍ
بها خضعت صعبُ الرقاب وذلّتِ
وأوصى لعبدالله بالعهد بعده
خلافة حقّ لا أمانيّ ضلّتِ (١)

وظل ابن هرمة يصرّح بنظرية (الوصية) في خلافة العباسيين من ذلك ماقاله لعيسى بن موسى بن محمد ابن علي بن عبدالله بن العباس بعد أن قضى على ثورة محمد بن عبدالله (النفس الزكية) حين خرج على المنصور : (٢)

أتتكَ الرواحلُ والملجمات ... بعيسى بن موسى فلا تعجلِ
وقال ليَ الناس إن الحباء ... أتاك مع المَلِكِ المُقْبلِ
فدونكها يا ابن ساقي الحجيـ ... ـج فإنّي بها عنك لمّ أبْخَلِ
أبوك الوصيُّ وأنتَ ابنُهُ ... وصيُّ نبيّ الهُدى المُرْسَلِ

وتناول ابن هرمة مبدأ (الوراثة) في الحكم ، فقال يمدح المنصور بعد تغلبه على النفس الزكية: (٣)

غَلبْتَ على الخلافة من تمنّى
ومنّاهُ المُضِلُّ بها الضّلولُ
فأهلك نفسه سَفَهاً وجُبْناً
ولمْ يُقسم له منها فتيلُ
تراثُ محمدٍ لكمُ وكنتمْ
أصول الحقّ إذْ نُفِيَ الأُصولُ

---

(١) عبدالله : هو أبو العباس السفاح أخو الإمام إبراهيم بن محمد

(٢) أنساب الاشراف ٣ : ٢٨٠

(٣) تاريخ الطبرى ٧ : ٥٦٢ والديوان ١٧٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو أن العباسيين أخذوا بمذهب الجبر ، وتمسّكوا به لتأييد حقهم في الخلافة ، لأنهم أدركوا أن نظرية الوراثة قد تُقبل في الأمور المادية ، ولكنها لاتُقبل في الحكم ، وأن فقهاء المسلمين لن يفوتهم ذلك . وبالفعل فقد سخر ابن حزم سخرية لاذعة من نظرية العباسيين في وراثة الخلافة ، وهدمها بقوله " وهذا ليس بشيء لأن ميراث العباس لو وجب له لكان ذلك في المال خاصة ، وأما المرتبة فما جاء قط في الديانات أنها تورث ".(١)

وكان أبو جعفر المنصور أوّل من نادى بهذا المذهب وأخذ به ، فقال في خطبته بمكة بعد انتصاره على (النفس الزكية) " أيها الناس إنما أنا سلطان الله في أرضه ، أسوسكم بتوفيقه وتسديده وتأييده ، وحارسه على ماله ، أعمل فيه بمشيئته وإرادته ، وأعطيه بإذنه ، فقد جعلني الله قُفْلا إذا شاء أن يفتحني لإعطائكم وقَسْمِ أرزقكم ، وإذا شاء أن يُقفلني عليها أقفلني ".(٢)

وقد لفت المنصور أنظار الشعراء للأخذ بهذا المذهب حين اجتمعوا ببابه ، فقال لهم " من مدحني منكم فلا يصفني بالأسد ، فإنما هو كلب من الكلاب ، ولا بالحيّة فإنما هي دُوَيْبّة منتنة تأكل التراب ، ولا بالجبل ، فإنما هو حجر أصم ، ولا بالبحر فإنما هو غطامط(٣) لَجِب ، ومن ليس في شعره هذا فليدخل ومن كان في شعره فلينصرف ".(٤)

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤ : ٩١ ، والشعراء من مخضرمي الدولتين ٩٤

(٢) العقد الفريد ٤ : ٩٩ ، وتاريخ الطبري ٨ : ٨٩ .

(٣) الغطامط : العظيم الأمواج

(٤) العقد الفريد ١ : ٣٢٠ والشعراء من مخضرمي الدولتين ١٠٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد وضّح الدكتور حسين عطوان الأساس الذي يقوم عليه مذهب الجبر ، وهو ادعاء الخلفاء " أن الله اختارهم للخلافة وآتاهم الملك ، وأنهم يحكمون بإرادته ويتصرّفون بمشيئته". (١)

ولابد أن يكون لاختيار الله لهم من سائر خلقه أسباب هي عندهم على نوعين : أحدهما : يقوم على إسباغ الصفات الإسلامية والألقاب الدينية ، والتنويه بها والنفخ فيها والتهويل لها ، والآخر يقوم على ذكر للصفات العربية المتمثلة في أنهم أشرف العرب أصلا وأعرقهم حسبا وأمضاهم همّة ، وأطولهم صبرا ، وأكثرهم حلما وأوسعهم جودا . (٢)

واستجاب الشعراء لرغبة العباسيين ، ووقف ابن هرمة في صفّ الشعراء الذين قالوا بمذهب الجبر ، وكان ممن استجاب له استجابة سريعة ، ذلك أن حياته مع الأمويين أكسبته خبرة في تناول هذه الموضوعات ولذلك فإنه حين اشترط المنصور على الشعراء أن يصفوه بالصفات السياسية انسحب كثير منهم وبقي ابن هرمة .

وقال ابن هرمة يخاطب المنصور مؤكدا أن الخلافة حقّ له منحه الله إياه : (٣)

وما الناس أعطوك الخلافة عنوةً
ولكنّ من يُعْلِه الله يستعلي

---

(١) الأمويون والخلافة ١٩

(٢) انظر المرجع نفسه ص ٣٩ ومابعدها

(٣) الديوان ١٩٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وله في المعنى نفسه :[١]

وما الناس اختبوك بها ولكن
حباك بذلك المَلِكُ الجليلُ

ومن الألقاب الدينية التي أضفاها ابن هرمة على الخلفاء منهم لقب (أمير المؤمنين) فقال يثني على صنيع المنصور حين ولّى جعفر بن سليمان بن علي المدينة :[٢]

وإنّ أمير المؤمنين برأفةٍ علينا وخصّيصاه أمّر جعفرا
وَثِقْنا بخيرٍ منك لاشرّ بعده فأسهل منّا آمنا من توعّرا

وقوله أيضا :[٣]

إليك أمير المؤمنين تجاوزتْ
بنا بيد أجواز الفلاة الرواحلُ

وخاطبهم بلقب (الخلافة) تهنئة لهم وتبريكا ، فقال يهني أبا العباس السفاح بعد إعلان دعوته .[٤]

أبلغ الخليفة فيها وهو محتسبٌ
بلاء من لم يُرِدْ لله إدهانا

والعدل والأمن صفتان محببتان لدى الخلفاء العباسيين لأنهما من واجبات الخليفة أو الوالي ، فقال ابن هرمة يخاطب المنصور .[٥]

رأيتُك لم تعدل على الحقّ معدلا
سواه ولم تَشْغَلْكَ عنه الشّواغلُ

---

(١) الديوان ١٧٣
(٢) أنساب الاشراف ٣:٩٦
(٣) الديوان ٢٢٧
(٤) الديوان ٢٢٨
(٥) الديوان ١٦٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال في السرى بن عبدالله ، وكان واليـــا لليمامة :[١]

نفى الظلمَ عن أهل اليمامة عدلـــهُ
فعاشوا وزاح الظلم عنهم وباطلُه

وناموا بأمنٍ بعد خوف وشـــدّةٍ
بسيرة عدل ماتُخاف غوائلُـــه

بك الله أحيا أرض حُجْرٍ وغيرهـــا
مِنَ الأرض حتى عاش بالبقلِ آكلُـــه

ومن صفات العروبة التي كان الشعراء يلتزمونها في مخاطباتهم لممدوحيهم ، شرف الأصـــل ، من ذلك قوله في أبي جعفـــر .[٢]

له طينة بيضاء من آل هاشمٍ إذا اسودّ من لؤمِ التراب القبائلُ

وقوله في السرى بن عبدالله :[٣]

يا ابن الأُساة الشُّفاة المستغاث بهم
والمطعمين ذُرى الكوم المقاحيدِ[٤]

أنت ابن مسلنطح البطحاء منبتُكم
بطحاءُ مكّةَ لاروس القراويـــدِ[٥]

---

(١) الديوان ١٧٤

(٢) الديوان ١٦٦

(٣) الديوان ١٠١

(٤) الذرى : جمع ذروة . وذروة السنام : اشرفها ، والكوم : الضّخام الأسنمة . والمقاحيد : جمع مقحاد : وهي الناقة العظيمة السنام .

(٥) المسلنطح من البطاح : ما اتسع واستوى سطحه منها والقراويد : جمع قردود وهو ما ارتفع من الارض وغلظ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنها عراقة النسب ، من ذلك قوله في الزبير بن العباس بن عبدالله بن الحارث بن العباس/ابن عبد المطلب ، وكان واليا للسند .(١)

عمدتَ إلى الزبير وسِبْط فهرٍ
وقد حَمد الأقارب والصديقُ
كريمٌ في الأُرومة من قريشٍ
يزينُ فعالَه الحسَبُ العتيقُ

ومنها مضاء الهمّة ، وذلك في قوله لأبي جعفر :(٢)

إذا ما أبى شيئا مضى كالذى أبى
وإن قال إنّي فاعلٌ فهو فاعلُ

ومثل ذلك قوله في داود بن علي عمّ أبي جعفر :(٣)

لا عاجز عازب مروءته
ولاضعيف في رأيه زَلَلُ
يسبق بالفعل ظنَّ صاحبه
ويقتل الريثَ عُرفُه العَجِلُ

---

(١) أنساب الأشراف ٣: ٦٨

(٢) الديوان ١٦٧

(٣) الديوان ١٧١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موقفـــه من العلويين :

ظهرت الشيعة حزبا يعارض الأمويين بعد موقعتي الجمل وصفين ، وانتهاء الأمر إلى بني أميـــــة .

ثم تفرّع هذا الحزب في نهاية القرن الأول الهجرى إلى اتجاهين اثنين ، أحدهما : مال إلى التطـــــرف والمبالغة ، بينما أخذ الآخر جانب الاعتدال .

وأصحاب الاتجاه المعتدل انقسموا إلى فرقتين اثنتين ، أولاهما سُمّيت الزيدية نسبة إلى زيد ابـــــن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وهم أكثر الفرق الشيعة اعتدالا ، إذ يجوّزون إمامة المفضول مع وجـــود الأفضـــل [١] ولذا فإنهم يجوّزون خلافة أبي بكر وعمـــــر .

وثانيتهما سُمّيت الإمامية نسبة إلى الإمام علي كرم الله وجهه وأصحابها يقولون بإمامته بنص الرســـــول عليه الصلاة والسلام ، ثم هم يحصرون الإمامة من بعده في أبنائه من فاطمة وفي ذرية الحسين خاصة [٢]

وتختلف الزيدية عن الإمامية في أن الأولى أكثر عنفا في حين أن الثانية تقول بالتقية ، ولمّ تقل بوجـــوب الثورة لأخذ الخلافة من مغتصبيها . [٣]

من أجل هذا كانت سياسة العباسيين مع الزيدية أشد من سياستهم مع الإمامية لبرم الأولى بهم وخطرهـــا عليهم . [٤]

---

(١) الفصل في الملل والاهواء والنحل ٥:٥

(٢) وفي الكيسانية من يقول إن الامامة في ولد الحسن دون ولد الحسين انظر المصدر السابق ٥:٤١

(٣) انظر في ذلك : تاريخ الشعر السياسي ١٥٧ والشعراء من مخضرمي الدولتين ١٧٨

(٤) انظر : الشعراء من مخضرمي الدولتين ١٧٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد امتنع محمد بن عبدالله بن الحسن (النفس الزكية) عن مبايعة السفاح ثم خرج على أبي جعفر المنصور . وبعد مقتله خرج عليه أخوه إبراهيم بن عبدالله .

وفي خلافة الرشيد خرج عليه بالديلم يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب سنة ست وسبعين ومئة .

ويبدو أن نظرية العلويين في الخلافة لم تكن قوية فتصمد أمام احتجاج العباسيين لها، فهم أبناء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما العباسيون فهم عمومة رسول الله ، والعمّ أولى بميراث ابن أخيه .

وتبدى هذا في المكاتبة التي جرت بين محمد بن عبدالله (النفس الزكية) وبين المنصور حين خرج الأول عليه فبعث إليه أبو جعفر " لك عليّ عهد الله وميثاقه وذمته إن تبتَ أن أؤمّنك وجميع ولدك وإخوتك.[1]

فكتب إليه (النفس الزكية) رافضا دعوته محتجا عليه بأنه صاحب الخلافة الشرعي قائلا " إن الحق حقنا ، وإنما ادّعيتم هذا الأمر بنا ، وخرجتم إليه بشيعتنا ، وحظيتم بفضلنا ، وإنّ أبانا عليا كان الوصيّ، وكان الإمام، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ؟ .... وإنّا بنو أم رسول الله فاطمة بنت عمرو في الجاهلية ، وبنو بنته فاطمة في الإسلام دونكم".[2]

فأجابه المنصور برسالة أنكر فيها حق العلويين في الخلافة وأن العباسيين أولى منهم بوراثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال " بلغني كلامك وقرأت كلامك ، فإذا جلّ فخرك بقرابة النساء

---

(١) تاريخ الطبرى ٧:٥٦٦

(٢) المصدر نفسه ٧:٥٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لتضلّ الجفاة والغوغاء ، ولم يجعل الله النساء كالعمومة والآباء ، ولاكالعصبة والأولياء ، لأن الله جعل العمّ أبا ".(١)

ويظهر أن الشعراء الذين اتصلوا بالعلويين لم يستجيبوا لنظريتهم في الخلافة ، ولم يدافعوا عنها على الرغم من نشوء بعض فرقهم واتضاح نظريتهم في نهاية القرن الأول وأوائل القرن الثاني .

وعلى الرغم من ميول ابن هرمة الشيعية واتصاله بزعماء الشيعة وسادتهم من الزيدية إلاّ أننا لانجد له انتماء لفرقة من فرقهم ، فتارة يأخذ بمبادىء الإمامية كمذهب التقية مثلا ، فنراه ينكر أبياته التي قالها في بني فاطمة ويتنصّل منها ويشتم قائلها .(٢)

وحين يُسأل عن رأيه في ثورة النفس الزكية لايصرّح بشيء حتى تنجلي الأمور عن موقف واضح ، فيقول:(٣)

أرى الناس في أمر سحيل فلا تزل
على حَذَرٍ حتى ترى الأمر مُبْرما(٤)
وأمسكْ بأطراف الكلام فإنه
نجاتك مما خفت أمرا مجمجما
وكائن ترى من وافر العرض صامتا
وآخر أردى نفسه أن تكلما

---

(١) المصدر السابق ٧ : ٥٦٨

(٢) انظر في ذلك : الأغاني ٤ : ٣٨٨

(٣) تاريخ بغداد ٦ : ١٣٠ ، وتهذيب ابن عساكر ٢ : ٢٤١

(٤) الأمر السحيل : غير المحكم ، والمُبرم : المحكم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتارة يميل إلى الزيدية فيتصل بهم ويمدح زعماءهـــــا .

ولسنا نرى لابن هرمة من أبيات في العلويين يذكر حقهم في الخلافة إلاّ بيتا واحدا من قصيـــــدة بلغت اثنى عشر بيتا ، اعتذر فيها لإبراهيم بن عبدالله بن الحسن ، ذكر فيه وصية النبي لعلي وأبنائـــه من بعده فقال :(١)

لم يوصني الله إذ أوصى ببعضكم

ولا النبيّ الذى يهدي إلى النُّورِ

ويُلاحظ على أشعاره في العلويين عامة أنها لم تتناول الجانب السياسي ، ولم يضمّنها أية إشارة إلـــى حقهم في الخلافة ، لأن المجاهرة بالعلوية في زمن العباسيين كانت تقرّب صاحبها من نهايته " ولأن الحـــزب العلوى بدأ يضعف في العصر العباسي بسبب ضعف حجتهم في الخلافة ".(٢)

لهذين السببين بدأ الناس ، وبخاصة الشعراء ، ينصرفون عنهم ، ولم يتصل بهم إلاّ نفـــــر قليـــل منهـــم .

وحتى هذا النفر القليل لم يكونوا متشيعين حقا ولم يكونوا ينطقون بنظرياتهم السياسية ومبـــادىء الإمامة كما يقول الدكتور حسين عطوان " وإنما كانوا يمدحونهم مديحا تقليديا فيه التعميم والإبهـــام وفيه الاحتياط والاحتراس حفاظا على أنفسهم وتجنبا لسخط الحكام عليهم".(٣)

وابن هرمة واحد من هؤلاء النفر الذين مدحوا العلويين والطالبيين لاميلاً إليهم أو حُبّا فيهـــــم وإنما مدحهـــم رغبة في عطاياهم ، فقد اتصـــل بعبدالله بن معاويـــة بن عبدالله بن جعفـــــر

---

(١) الديوان ١٢٠

(٢) اتجاهات الشعر في القرن الثاني ٣٨٦

(٣) الشعراء من مخضرمي الدولتين ١٨٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن أبي طالب وأشاد بنسبه وآبائه في قوله :[١]

كريم إذا ماشاء عَدّ له أبا

له نسب فوق السماك المحلّق

وأمّا لها فضل على كل حُرّة

متى ماتسابق بابنها القوم تسبق

فمنّ مثل عبدالله أو مثل جعفر

ومثل أبيك الأريحيّ المُرهّق [٢]

وأثنى على تمام عقله وتروّيه في الأمور ، وأنه ذو تجربة في الحياة في قوله :[٣]

شديد التأني في الأمور مجرّب

متى يغْزُ أمر القوم يَفْرِ ويخلق [٤]

ومدحه بالكرم وحب الخير ، فمن قوله في الأول :[٥]

أُحْبُ مدحا أبا معاوية الما جد لاتلقه حصورا عييا [٦]

بل كريما يرتاح للمجد بسّا ما إذا هزه السؤال حييا

---

(١) الأغاني ١٢ : ٢٢٧ والديوان ١٦٠

(٢) المُرهّق : الكريم الذى يغشاه الناس

(٣) المصدر نفسه ١٢ : ٢٢٧ والديوان ١٦٠

(٤) يفر : يشق ويقطع ، ويخلق : يقدر ، بمعنى يقلب الشيء قبل تنفيذه

(٥) المصدر نفسه ١٢ : ٢٢٥ والديوان ٢٤٤

(٦) الحصور : الممسك البخيل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن قوله في الثاني : (١)

ترى الخير يجرى في أَسِرَّة وجهه

كما لألأت في السيف جرية رونقِ (٢)

واتصل بالحسن بن زيد (٣) ومدحه بالكرم فقال : (٤)

وذاك من يأته يعمد إلى رجل

في كل صالحة أو صالح قَمِنِ (٥)

حازت يدا حسن قدحين من كرم

لم يعملا نشب المبراة والسَّفنِ (٦)

ما أطلعت رأسها كيما تهددني

حصا تطرّح من يَعْيِيْ على شزنِ (٧)

إلاّ ذكرت ابن زيد وهو ذو صلة

عند السنين وعوّاد على الزمنِ

طلق اليدين إذا أضيافه طرقوا

يشكون من قرّة شكوى ومن وسَنِ (٨)

---

(١) الأغاني ١٢ : ٢٢٧ والديوان ١٦٠

(٢) أسِرّة الوجه ، خطوطه ، و لألأالبرق : إذا أضاء ولمع والرونق : ماء السيف وصفاؤه وحسنه

(٣) هو الحسن بن زيد بن الحسن ، ولي المدينة لأبي جعفر المنصور سنة ١٥٠ هـ ثم سخط عليه وسجنه ببغداد حتى توفي في السجن .

(٤) تهذيب ابن عساكر ٧ : ٣٥٩ والديوان ٢٢٩

(٥) قَمِن : جدير

(٦) السَّفن : ماينُحت به الشيء

(٧) الشزن : الغليظ من الأرض ، وقيل شدة الإعياء من الحفا

(٨) القرة : ما أصاب الإنسان من القر أي البرد الشديد

والوسن : أول النوم ، وقيل ثقل النوم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومدحه بحسن الخلق في قولـــــه :[١]

أوصاف زيد بأعلى الأمر منزلـــة

فما أخذت قبيح الأمر بالحَسَنِ

خلاّت صدق وأخلاق خُصِصْتَ بهـــا

فلم يَضِعْن ولم يُخلطن بالدَّرَنِ

وكان ابن هرمة عرف فيه الحزم حين هدّده بمضاعفة العقوبة له إن أُتي به سكران ، ثم نصحه أن يترك شـرب الخمر لله لا للناس[٢] ولهذا مدحه بالحزم .[٣]

ماقال " أفعل " أمضـاه لوجهته

وما أبى لجَّ ما يأبى فلم يكُنِ

وهذا البيت يشبه إلى حد بعيـــد ما مدح به المنصور يوم وفد عليه ، فقـــال لـــــه :[٤]

إذا ما أبى شيئا مضى كالذى أبـى

وما قال إنّي فاعل فهو فاعـل

ومدحه برجاحة العقـــل :[٥]

إذا خلوت به ناجيت ذا طبـــن

يأوى إلى عقل صافي العقل مؤتمن

---

(١) الأغاني ٤ : ٣٩٧ والديوان ٢٢٩

(٢) انظر : عيون الأخبار ٣ : ٣٠١ والكامل ١ : ٢٠٧ والعقد الفريد ٦ : ٣٤٠

(٣) تهذيب ابن عساكر ٧ : ٣٦٢ وتاريخ مدينة دمشق (تراجم حرف العين) ١٥٩ والديوان ٢٣١

(٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٥٦٥ والديوان ١٦٧

(٥) تهذيب ابن عساكر ٧ : ٣٦٣ وتاريخ مدينة دمشق ١٥٩ ، والديوان ٢٣١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واتصل بمحمد بن عبدالله (النفس الزكية) ولم يخرج في مدائحه له عما مدح به سابقيه ، فهو ملاذ الشاعر بل الناس جميعا إن ألمّت بهم المصائب ، قال .[١]

إن كنت نحوى فان الله جابرنا
ولا اجتبار لنا إن أنت لم تكن

فما أبالي إذا ماكنتَ لي كنفا
من صَدّ أوْ بَتّ في أقرانه قرني[٢]

وما أبالي عدواً بعد شاحننـي
أم زاحفت سعفات الصّم من حَضَنِ[٣]

أنت المُرجّى لأمرِ الناس إن أزمت
جدّاء صرماء لم تصرُرْ على أبَنِ[٤]

ومدح العباس بن الحسن[٥] بأربعة أبيات أشاد فيها بكرمه وشجاعته وقربه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال :[٦]

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٧ : ٢٦٣ وتاريخ مدينة دمشق ١٦٣ والديوان ٢٣٣

(٢) الكنف : الحافظ المعين ، وبت : قطع واستأصل

القرن : الحاجة

(٣) سعفات الصم : الصم : الحيات التي لاتقبل الرُّقية ، وقيل العقارب ، وحَضَن : جبل في أعالي نجد

(٤) الجّداء : السنة الممحلة ، والأبَن : العيب

(٥) هو العباس بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . قبض عليه العباسيون وسجنوه : ثم قُتل في السجن سنة ١٤٥هـ بأمر من المنصور .

(٦) مقاتل الطالبيين ١٩٧ والديوان ١٣٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لما تعرضتُ للحاجات واعتلجت

عندي وعاد ضمير القلب وسواسا

سعيت أبغي لحاجات ومصدرها

برّا كريما لثوب المجد لبّاسا

هداني الله للحسنى ووفقني

فاعتمتُ خير شباب الناس عبّاسا

قدح النبي وتدحٌ من أبي حسنٍ

ومن حسين جرى لم يَحْرِ حنّاسا (١)

ومما يُلاحظ على مدائحه فيهم أنها تميزت بكثرة ذكره لبني هاشم . فلم تكد تخلو قصيدة من قصائده فيهم من الإشارة اليهم ، من ذلك قوله في مدح عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر .(٢)

حللت محل القلب من آل هاشم

فعشّك مأوى بيضها المتفلق

وقوله في مدح الحسن بن زيد :(٣)

أمّا بنو هاشم حولي فقد قرعوا

نبلي الصّياب التي جمّعتُ في قَرَن (٤)

وقوله في القصيدة نفسها في بيتين متباعدين :(٥)

---

(١) لم يَحْرِ : لم ينقص ، حناسا : شجاعا

(٢) الديوان ١٥٩

(٣) الأغاني ٤:٣٧٦ ، والديوان ٢٣٠

(٤) نبلي الصياب : الصّياب (بالكسر) جمع صائب

(٥) الأغاني ٤:٣٧٦ والديوان ٢٣١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا بنو هاشم آلت بأقدحها

إلى المغيض وخافت دولة الغَبَن (١)

وأنت من هاشم حقا اذا انتسبوا

في المنكب اللين لاقى المنكب الخَشِن

وقوله في مدح النفس الزكية : (٢)

وأنت من هاشم في سرّ نبعتها

وطينة لم تقارف هُجْنة الطِين

ولعل في ذكره لنبي هاشم احتراس من غضب العباسيين وحقدهم عليه اذ يجمعهم والعلويين أنهم ينتمون لهاشم .

---

(١) آلت بأقدحها : ضربت القداح عند القمار ، والقدح : السهم الذي يقامرون به .

(٢) تاريخ مدينة دمشق (تراجم حرف العين) ١٦٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الغـــزل

الغزل من أكثر الأغراض الشعرية عدد أبيات عند ابن هرمة فقد بلغت أبياته فيه - مما وصل إلينا من شعره - مئة وخمسين بيتا .

ويمكن تقسيم غزلـه إلى ثلاثة انواع :

أولهـا : الغزل التقليدي أو المقدمات الطللية والغزليد للقصائـد .

وثانيها : الغزل الحضري : وهو الغزل الذي عبر فيه عن مشاعر الحب . وفيه ذكر لصفات المرأة الجسديـة والمعنوية .

وثالثها : الغزل الفنـي :

أما النوع الأول المتمثل بمقدمات القصائد . فتكاد تُمثل الجزء الأكبر من شعره الغزلي . فقد وقف فيه شأن الشعراء من مخضرمي الدولتين . على الأطلال فشكى وبكى . وذكر أسماء النساء والبقاع . وخاطب الآثار الدارسة .

وعلّل الدكتور شوقي ضيف سبب استبقاء بعض الشعراء المتحضرين لعناصر الأطلال ورحلة الصحراء بأن " الشعراء اتخذوه رمزا . أما الأطلال فلحبّهم الداثر . وأما رحلة الصحراء فلرحلة الانسان في الحياة ".(١)

وشبيه به ماذهب إليه الدكتور عبد القادر القط حين قال " والطلل رمز لوقت سعيد وصحبة جميلة تنعم بها الشاعر ، وكان يدرك أنه برحيله عن هذا المكان سيترك فيه ذكريات جميلة ، وقد يعود إليه إذا ساقته إليه المصادفه أو فرضته طبيعة الحياة الصحراوية ".(٢)

---

(١) العصر العباسي الاول ١٦٣

(٢) في الشعر الإسلامي والأموى ١١٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الدكتور البهبيتي فقال " إن هذا الاستفتاح الغزلي في القصيدة يلائم الجو الذي يعيش فيه الشاعر ، وهذا الجو هو الذي يملي عليه شعره . فالمرأة في ذلك رمز وأسماء النساء أسماء تقليدية تجري في الشعر دون وقوع على صاحباتها ".(١)

وهذا القول ينطبق على كثير من الشعراء في القرن الثاني . وهو أكثر قبولا على مقدمات قصائد ابن هرمة . لأنه هو الذي يعنينا من بين شعراء هذا القرن .

والمطلع على مقدمات قصائده . يجد من أسماء النساء خمس عشرة امرأة ذكرهن في قصائده على تفاوت في العدد . فـ(سلمى) تكرر اسمها ثلاث عشرة مرة في إحدى عشرة قصيدة(٢) . وذكر (أسماء) ثلاث مرات في ثلاث قصائد(٣) . و (غَلَبة) مرتين(٤) و (سعدى) مرتين(٥) و (هند) مرتين كذلك(٦) ومثلها (شغفر)(٧) .

أما (فاطمة) و (ليلى) - وكنيتها أم محمود - و (سودة) و (أثل) و (زينب) و (أميمة) و (رقوم) . و(أم بكر) و (ابنة السعدي) فمرة لكل واحدة .(٨)

ومما يلاحظ على مقدماته الطللية . التي وصلت الينا من شعره . أنها كانت قصيرة في الغالب . وخاصة في مطالع قصائد المدح الرسمية والسياسية .

---

(١) تاريخ الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث ١١٠

(٢) الديوان ٤٨ ، ٦١ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٤٢ ، ١٦٨ ، ١٨٦ ، ١٩٩

(٣) الديوان ٧٥ ، ٩٧ ، ١٤٣

(٤) الديوان ٦٥ ، ٦٦

(٥) الديوان ٥٨ ، ١٨٢

(٦) الديوان ٨٢ ، ١١٢

(٧) الديوان ١١٢ ، ١٢١

(٨) الديوان (حسب ترتيب الأسماء) ٩٥ ، ١٠١ ، ١٧٩ ، ٢١٦

والأسماء الثلاثة التالية ذكرهن في بيت واحد ٢٢١، ٢٣٩ ، ٩٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الموضوعات التي تناولتها هذه المقدمات . الوقوف على الأماكن والسؤال عن أهلها . فمن ذلك قوله :[١]

أدار سُليمى بين (بَيْن) فالمشعر
أبيني فما استُخْبرت الا لتخبري [٢]

وقوله ايضا :[٣]

عوجا على ربع ليلى أم محمود — كيما نسائله من دون عبود [٤]
عن أم محمود اذ شط المزار بها — لعل ذلك يشفي دا معمود [٥]
فعرجا بعد تغوير وقد وقفت — شمس النهار ولاذ الظل بالعود [٦]
شيئا فما رجعت أطلال منزلة — قفر جوابا لمحزون الجوى فودي [٧]

وفي وقوفه على الأطلال دعا لها بالسقيا على عادة الشعراء الجاهليين فقال :[٨]

أدار سليمي بالوحيدة فالغمر — أبيني سقاك القطر من منزل قفر [٩]

وقوله في قصيدة أخرى يخاطب ديار سلمي أيضا :[١٠]

أبيني حبتك البارقات بوبلها — لنا منسما عن آل سلمى وشغفر

---

(١) الديوان ١٢١

(٢) بَيْن : ناحية من أعراض المدينة على بعد بريد منها

ومشعر : ماء لجهينة معروف إلى جنب منتخر . معجم البلدان (بَيْن)

(٣) الديوان ١٠١

(٤) عبود : جبل بين المدينة والسيالة

(٥) المعمود : من هدّه العشق

(٦) التغوير : النزول وقت الهاجرة

(٧) المودى : الهالك

(٨) الديوان ١٢٤

(٩) الوحيدة : موضع بين المدينة ومكة، وهو من أعراض المدينة والغمر : الماء الكثير، وهو بئر قديمة في مكة . معجم البلدان (الوحيدة)

(١٠) الديوان ١٢١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم تذكر من كان يقطن تلك الديار من النساء . وما تركنه من لوعة وأسى وصدّ وهجران . فمن ذلك قوله :[١]

أم لاتذكّر سلمى وهي نازحة ... إلاّ اعتراك جوى سقم وتسهيبُ[٢]

شطّت وفي النفس ممّا السّدُ ناسيه ... همٌ بعيد وحاجات أطانيبُ[٣]

ومن مظاهر تقليده للقصيدة الجاهلية ذكره الظعائن والرحلة في شعره . من ذلك قولـــــه :[٤]

غدا بل راح واطّرح الخلاجـــا ... ولما يقض من أسماء حاجـــا

وكيف لقاؤنا بعفاريـــات ... وقد قطعت ظعائنها النباجا[٥]

يسوق بها الحداة مشرقات ... رواحا بالتنوفة وادلاجـــا

على أحداج مكرمة عـــواف ... تربعت اللقيطة أو سواجـــا[٦]

وقولـــــه ايضـــا :[٧]

تذكر بعد النأى هندا وشغفرا

فقصر يقضي حاجة ثم هجـــرا

ولم ينس أظعانا عرضن عشيـة

طوالع من هرشى قواصد عـــزورا[٨]

---

(١) الديوان ٦١ ـ ٦٢

(٢) التسهيب : ذهاب العقل

(٣) الحاجات الأطانيب : هي الحاجات المتصلة التي لا آخر لها

(٤) الديوان ٧٥

(٥) العفاريات : عقد بنواحي العقيق . وقيل هو واد

والنباج : عدّد ياقوت عدة مواضع بهذا الاسم في بلاد العرب . معجم البلدان (اللقيطة)

(٦) اللقيطة : ماء لغني بينها وبين (مذعا) يومان إلا قليلا

وسواج : اسم لعدة جبال في الجزيرة العربية . معجم البلدان (اللقيطة)

(٧) الديوان ١١٢

(٨) هرشى : ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة يرى منها البحر ولها طريقان فكل من سلك واحدا منها أفضى به إلى موضع واحد .

وعزور : موضع . وقيل ماء ، وقيل ثنية المدنيين إلى بطحاء مكة . معجم البلدان (عزور)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما النوع الثاني من غزله . فهو الذي أسميناه الغزل الحضري وقد ذكر فيه لوعته لفراق صاحبته وسجل فيه ذكريات تلك العلاقة آملا أن تعود اليه ، وعبر فيه عن آلام الحب وما ذرف على صاحبته من دموع ، من ذلك قوله :[١]

أرى الدهر ينسيني أحاديث جمّة

أتت من صديق أو عدوّ يشيعها

ولم ينسنيها الدهر إلاّ وذكرها

بحيث تحنت دون نفسي ضلوعُها

وان لم يكن منها لنا غير ذكرة

وقول لعل الدهر يوما يُريعُها[٢]

فقد احرزت منى فؤادا متيما

وعينا عليها لاتجف دموعها

أتنسين أيامي وأيامك التي

اذا ذكرتها النفس كادت تذيعها

ومن جميل أبياته قوله معبرا عن مقدار حبه لها[٣]

غذوت لها تلاد الحب حتى نما في القلب وارتج ارتعاجا[٤]

ويبدو أن ابن هرمة قد خبر أحوال العاشقين ، فهم بين حرصهم على كتمان السر في العلاقة مع مايتحملونه من آلام الكتمان . وبين رغبتهم في البوح لما فيه من راحة نفسية لهم ، فقال في ذلك :[٥]

وكم من محب أجنّ الهوى فودّ من الغم لوكان باحا

وآخر غُم بأسراره فباح بمكتومة واستراحا

---

(١) الزهرة ١ : ٣٣٤ ، والديوان ١٤٣

(٢) يريعها : يرجعها

(٣) الفائق في غريب الحديث (الزمخشري) ١ : ٤٩٠

(٤) ارتعج : ارتعد ، وارتعش

(٥) الديوان ٨١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وللوشاة حضور في أشعار الغزليين . ولعل أن تكون طبيعة المجتمع العربي آنذاك هي التي فرضت وجودهم في أشعار المحبين ليلتقطوا أخبارهم فيفسدوا مابينهم وبين صاحباتهم . أو أن التقليد الشعرى هو الذى فرض هذا الوجود ، أو لعل الاثنين معا .

وكان ابن هرمة أحد المتألمين من دور هؤلاء إذ طالما حرموه متعة اللقاء بصاحبته .(١)

سمعت بنا فأحالها عن حالها لفتاتُ مكر الكاشح المتسقّط(٢)

ولم يقف ابن هرمة في غزله عند هموم الحب بل تعداه الى وصف المرأة على عادة القدماء . ولكنه لم يخرج في وصفه لها على عادة الشعراء الجاهليين . فوصفها بصفات حسيه مادية من ذلك تشبيه ريق صاحبته بالخمر في قوله :(٣)

خود تعاطيك بعد رقدتها اذا يلاقي العيون سهدُوها(٤)

كأسا بفيها صهباء معرقة يغلو بأيدى التجار مَسْبُؤها(٥)

ووصف وجهها بالشمس في قوله :(٦)

تبدت فقلت الشمس عند طلوعها

بلون غني الجلد عن أثر الوَرس

ووصفه بالنعومة والنقاء في قوله :(٧)

فكم بين الأقارع فالمنقى إلى أحد إلى أكناف ريم(٨)

---

(١) العباب الزاخر (حرف الطاء) ٨٧

(٢) المتسقّط : الذى يطلب سقطات غيره

(٣) الديوان ٤٩

(٤) مهدأ العيون : نومها وسكونها

(٥) المعرقة من الخمر : قليلة المزاج

وسبا الخمر : اذا اشتراها ليشربها ، يريد أنها من جودتها يغلو اشتراؤها

(٦) الديوان ١٣٣

(٧) الديوان ٢٢٠

(٨) الأقارع : جبل بين مكة والمدينة ، والمنقى: طريق بين أُحد والمدينة . وريم : واد لمزينة قرب المدينة معجم البلدان (المنقى)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى الجمّاء من خدّ أسيل نقي اللون ليس بذي كلوم[١]

وذكر جمال عينيها حتى انها لتبدو مكحلة من غير كحل . وأشار إلى رقة خصرها في قوله :[٢]

ومن عين مكحّلة الاماقي بلا كحل ومن كشح هضيم

ووصف جيدها في صورتين ، إحداهما : تمثل التطور الحضاري الذي أصاب المجتمع الإسلامي في الحجاز خاصته . حيث كان يسمح للمرأة بالخروج مع الرجال الى المجالس العامة والخاصة . وقد يظهر شيء من مفاتنها وقد تتعمد المرأة فعل ذلك كما أشار ابن هرمة الى أن صاحبته وبعض أترابها قد أبدين شيئا من أجيادهن ليلفتن أنظار الرجال . فقال :[٣]

أبدين للقوم أعناقا بها أود

عوج الطلى وعيونا ذات إسجاد

وثانيتها : بدوية . حين شبه صاحبته بظبية ترعى ناضر السّلم في قوله :[٤]

صادتك يوم الملا من مثعر عرضا

وقد تلاقي المنايا مطلع الألم

بمقلتي ظبية أدماء خاذله

وجيدها يتراعى ناضر السّلم[٥]

ووصف أردافها وصفا تقليديا طالما كرره الشعراء في القرن الاول ، من ذلك قوله :[٦]

ثم قامت حولها أترابها وعثة الارداف غرثى الملتزم[٧]

---

(١) الجماء : جبل صغير على ثلاثة أميال من المدينة من ناحية العقيق .

(٢) الديوان ٢٢٠

(٣) الديوان ١٠٨

(٤) الأود : الاعوجاج ، والاسجاد : فتور الطرف ، أو هو إدامة النظر مع سكون

(٥) الديوان ٢١٦

(٦) أدماء : سمراء

(٧) وعثة الارداف : ليّنتها . وغرثى الملتزم : دقيقة الخصر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غير أن ابن هرمد قد أضاف للقيم الجمالية شيئا جديدا . ذلك أنه جمع صفات الحسن كله وانسجامه في وجه صاحبته من غير تعارض في قوله :[١]

من ذا رسول ناصح فمبلغ ... عني عُلَيَّة غير قيل الكاذب

أني غرضت إلى تناصُف وجهها ... غرض المحب إلى الحبيب الغائب[٢]

وأما وصفه المعنوي للمرأة فكان في عفتها . وحذرها من الرجال ، من ذلك قوله :[٣]

ما أنس لا أنس يوم ذي بقر ... إذ تتقينا بالكف منصرفة

كما اشرأبّت على وفازتها ... أدماء تخشى الرماة مشترفة[٤]

وأشار إلى عذوبة كلامها وجماله ، حتى إن الحيوانات الواقفة على جبل شاهق لو سمعت حديثها لتحدرت إليها مغامرة فقال :[٤]

ولو سمعت عصم بقدس كلامها ... اذن لتحدرن الشواهق من قدس

---

(١) الديوان ٦٥

(٢) غرضت : اشتقت . وتناصُف الوجه : حسنه ، أي أنها كلها حسنة ، ليس فيها الحَسَن والدّون

(٣) الفائق في غريب الحديث (الزمخشري) ٣ : ١١٠ . والعباب الزاخر (حرف الفاء) ٦٠٨

(٤) الوفازة : العجلة من أمرها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويلاحظ على غزل ابن هرمة أنه لم يسلك فيه سلوك الشعراء من معاصريه . بل انه لم يتأثر بما طرأ على المجتمع الاسلامي من جديد في باب الغزل خاصة ، كالغزل الحسي الفاحش والغزل بالمذكر .

وأغلب الظن أن ابتعاده عن النظم في ذلك اللون من الشعر يرجع إلى سببين :-

أولهما : أن كثيرا من قصائده كانت موجهة إلى شخصيات سياسية . ومعروف أن ابن هرمة وفد على كثير من تلك الشخصيات . فينبغي أن يكون كلامه لهم وشعره فيهم يليق بمستوى هذا النوع من الناس .

وثانيهما : ان ابن هرمة كان محافظا على القديم في معانيه وأساليبه وصوره ، فحتى صورة الشعرية كان حريصا على أن تكون جاهلية قديمة . والعجيب أن ابن هرمة لم يتعامل مع ماجد في المجتمع الاسلامي من خروج على الأساليب والاوزان الشعرية المعروفة شأن كثير من الشعراء الذين عاصرهم ، ولذلك لانجد في شعره مناظر الورود والبساتين والرياحين .(١)

وقد أشار الدكتور حسين عطوان الى هذين السببين في معرض حديثه عن الغزل العفيف في مقدمات القصائد الرسمية فقال " ..... وهو غزل تقليدي في أسلوبه ومضمونه وفي مبانيه ومعانيه ، حمل الشعراء المجهولين في ميدان الحب عليه بحرهم بالنماذج الغزلية القديمة ، وحرصهم على اظهار حذقهم بها وبراعتهم في محاكاتها ، وحمل الشعراء المستهترين الماجنين عليه احترامهم للخلفاء والامراء ، وهيبتهم لهم وانصياعهم للتقاليد والمراسيم في مجالسهم .(٢)

---

(١) سنعرض لموضوعات الوصف في شعره حين نتحدث عن غرض الوصف عنده

(٢) الشعراء من مخضرمي الدولتين ٢٧٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما لوحظ على شعر بعض الشعراء الذين عاشوا في العصر الاموى . وأدركوا الفترة العباسية ، أنهم في الشطر الأول من حياتهم الشعرية كانوا أكثر التصاقا بالتقليد الشعرى . وكلما تقدموا في العصر العباسي تحفظوا من ذلك الالتزام .(١)

وليس بين أيدينا من شعر ابن هرمة في العصر العباسي مايدل على هذا التخفف ، غير أن شعره الذى نظمه في الفترة الأموية يؤكد هذه الظاهرة ، فهو من الشعراء الذين التزموا بالتقليد الشعرى الجاهلي التزاما دقيقا .

ومما لوحظ على غزلهم خاصة أنهم " وقعوا في ازدواج . فهم في غزلهم التقليدى الرسمي . وفي مقدمات قصائدهم يفزعون الى المعجم القديم ليعبروا عما في نفوسهم بلغة سهلة بسيطة ، وألفاظ منتقاه"(٢) ولهذا فلست نجد في شعر الشاعر جزالة مطلقة ولاسهولة مطلقة ، وانما فيه من الجزالة قدر يحدده طبيعة الموضوع ، وفيه من السهولة قدر آخر يحدده الموضوع أيضا .

وشعر ابن هرمة الغزلي يحمل هذه الازدواجية وما عرضنا له من مقدمات قصائده يدل على تلك الجزالة والفخامة وأما شعره الغزلي الذاتي ففيه من الرقة والعذوبة وسهولة الألفاظ مايمثل ذلك .

---

(١) انظر : اتجاهات الغزل في القرن الثاني ٢١٩

(٢) المرجع نفسه ٣٥٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تنبه الى هذه الظاهرة من قبل الدكتور عبد القادر القط فقال " وكلما بدت ذاتية الشاعر في قصيدة اقترب معجمها من الألفاظ الشائعة التي تعبر عن العواطف المشتركة في حياة الناس ، أما إذا تناول الشاعر تجربته تناولا وصفيا موضوعيا ، فإنه يميل إلى استخدام لغة وتركيبات وتشبيهات خاصة ليس لها هـــذا الشيوع". (١)

فمن أمثلة شعر الذاتي الذى تمثلت فيه العذوبة والرقة مع سهولة الالفـــاظ قوله : (٢)

أقصرت عن جهلي الأدنى وحلمنـــي
زرع من الشيب بالفودين منقود

حتى لقيت ابنة السعدي يوم سفـــا
وقد يزيد صباى البدن الغـــيد (٣)

فاستوقفتني وأبدت موقفا حسنـــا
بها وقالت لقناص الصبا صيدوا

إن الغواني لاتنفك غانيـــــــة
منهن يعتادني من حبها عيـــد

---

(١) في الشعر الإسلامي والأموى ٢٥

(٢) الديوان ٩٥

(٣) سفا : موضع بأطراف المدينة . معجم البلدان (ســفا)

والصبا : الشبـــــــاب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنه أيضـــــا[١]

أفاطم إن النأي يُسْلِي ذوي الهـــوى
ونأيك عني زاد قلبي بكم وجدا

أرى حرجا مانلت من ودّ غيركـــم
ونافلة مانلت من ودّكم رشـدا[٢]

وما نلتقي من بعد نأي وفرقـــة
وشحط نوى إلاّ وجدت لها بردا[٣]

على كبد قد كاد يبدى بها الهوى
ندوبا وبعض القوم يحسبني جلدا

أما ارتباط المقدمات الغزلية بموضوعات القصائد التي تجيء فيها فالمدح هو الغرض الذى لايكـــاد يخلو من مقدمة غزلية أو طللية في أوله منذ الجاهلية حتى آخر العصر الأموى . وبعض قصائد العصـــر العباسي .

ولم يخرج ابن هرمة على هذا التقليد فيما أظن ، وحتى قصيدته التي مدح بها المنصور يوم وفد عليـــه في بغداد والتي أولها :

* ســـرى ثوبه عنك الصبـــا المتخايـــل *

---

(١) الديوان ٩٥

(٢) الحرج : الضيق

(٣) الشحط : البعد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يكن هذا البيت هو مطلعها ، وأحسبُ أن لها بداية غزلية وطللية ولكنها ضاعت فيما ضاع من شعره . ولم يبق منها إلا بيت واحد وهو قوله :[١]

عفا النعف من أسماء نعف رواوة

فريم فهضب المنتضى فالسلائلُ[٢]

فهو يتفق وأبيات القصيدة السابقة في البحر والقافية وحركة الروى . وإن كان الاستاذ المعيبد جعله في مكان منفصل عن القصيدة السابقة .

وعرف الغزل ، أيضا ، في مقدمات قصائد الفخر في العصر الجاهلي والفخر أقرب الاغراض ملاء مة للغزل . لما بين الفنين من وشائج وعلائق خاصة . كما قال الدكتور بكار .[٣]

واستمرت هذه الظاهرة في قصائد القرن الثاني ، ولست أدرى لمَ قصرها الدكتور بكار على بشاردون غيره من شعراء القرن الثاني ، فقال " وانفرد بشار بن برد من بين شعراء القرن الثاني بافتتاح قصائد الفخر بالغزل في قصيدتين ".[٤]

والصواب أن بشارا لم ينفرد بهذا ، فلابن هرمة ، أيضا ، قصيدتان في الفخر بدأهما بالغزل أولاهما قوله :[٥]

انّ سُلَيمى والله يكلؤها ضنت بشيء ما كان يرزؤها[٦]

---

(١) معجم البكرى ١٢٦٦ ، والديوان ١٦٩

(٢) النعف : ما انحدر عن السفح وغلظ ، وكان فيه صعود وهبوط ورواوة ، والمنتضى ، وذو السلائل ، أودية بين الفرع والمدينة. وريم : واد لمزينة قبل المدينة . معجم البكري ١٢٦٦

(٣) اتجاهات الغزل ٦٦

(٤) المرجع نفسه ٦٦

(٥) الديوان ٤٨

(٦) يكلؤها : يحرسها ويحفظها ، وضنت : بخلت ، ويرزؤها : ينقصها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعودتني فيما تعودنـــــي أظماء ورد ما كنت أجزؤُهـــا [١]

لو تهنيء العاشقين ماوعدت لكان خير العداة أهنـؤهـــا

وبلغت هذه المقدمـــــة الغزليـــة تسعة أبيات ، ثم قال مفتخرا بعدهـــــا :

مرتع ذودى من البلاد إذا ماشاع جدب البلاد أكلؤهـــا [٢]

يكنّ ضيفي إذا تأوّبني أوسع أبياتنا وأدفـــؤهـــا [٣]

عندى لهذا الزمان آنية أملؤها مرة وأكفؤهـــــا

وثانيتها : بدأها بالغزل أيضا في قوله : [٤]

طرقت عُلَيّة صحبتي وركابي أهلا بطيف عُلية المنتـــاب [٥]

طرقت وقد خفق العتوم رحالنا بتنوفة يهماء ذات خـــراب [٦]

فكأنما طرقت بريّا روضـــة من روض عوهق طلّة معشـــاب [٧]

---

(١) الأظماء : جمع ظمأ : يريد أنها تحله مرة وتقطعه أخرى وأجزؤها : أى أجتزى فيها كما تجتزئ الظبـــاء بأكل الرطب من الكلأ فلا تشرب الماء .

(٢) ذودى : نسبة إلى الذود ، وهو الإبل لايتجاوز عددها الثلاثين ولايقل عن الثلاثة . وأكلؤها : أقدم لها الكلأ .

(٣) تأوّبني : طرقني ليلا

(٤) الديوان ٦٦

(٥) المنتاب : الذى يأتي مرة بعد أخرى

(٦) اليهماء : الفلاة التي لاماء فيها ولايهتدى الى طرقها

(٧) روضة عوهق : موضع . وطلّة : كثيرة الندى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم افتخر بعدها بكرمه قائلا: (١)

هلاّ سألت إذا الكواكب أُمحلت ... وعفت مطيّة طالب الأسباب

وغدا الرعاة معطّلي أقدامهم ... لثعالب يشوونها وذئاب

هل ذم من أحد أراد خليعتي ... أم هل تعدّوا ساحتي وجنابي

واذا تنوّر طارق متنوّر ... نبحت فدلّته عليّ كلابي

وممّا يُسجّل لابن هرمة في موضوع الغزل ، أنه بدأ لونا جديدا فيه ، وهو ماسميناه الغزل الفني إذ لم يكن همّ الشاعر فيه أن يصف متعة أو يتحدث عن شهوة أو يذكر محاسن صاحبته ذكرا حسّيا ، وإنما كان همّه إثبات قدرته الشعرية . من ذلك قصيدته الهمزية، (٢) وقد قيل له إن قريشا لاتهمز ، فقال لأقولن قصيدة أهمزها كلها بلسان قريش .

وكانت هذه القصيدة مادة صالحة لعلماء اللغة والنحو ليجعلوا بعض أبياتها شواهد للدلالة على معنى من المعاني أو لتقرير قاعدة نحوية .

ومن هذا اللون من الغزل أيضا قصيدته التي ذكرها أبو الفرج الأصفهاني ، وهي من الأبيات غير المعجمة . (٣)

---

(١) أخبار أبي القاسم الزجاجي : ٤٣

(٢) التي أولها

إن سليمي والله يكلؤها ... ضنت بشيء ما كان يرزؤها

(٣) وأولها :

أرسم سودة محل دارس الطلل ... معطّل ردّه الأحوال كالحلل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الهجـــــاء :

لم يكثر ابن هرمة من أبيات الهجاء ، على الرغم من سوء علاقاته بالناس من حوله ، وسوء فيهم ، وضجره منهم . صرح بهذا في بيتين . قال فيهما :(١)

ليت السباع لنا كانت مجـاورة

وأننا لانرى ممن نرى أحدا

ان السباع لتهدا عن فرائسهـا

والناس ليس بهاد شرهم أبدا

وكل أبياته في الهجاء لم تتجاوز الثلاثة والاربعين بيتا .

ومما يلاحظ على أبياته الهجائية أنها مقطوعات قصيرة . لم تتجاوز في أكثرها الأبيات الثمانية . في حين كان أقلها بيتا واحدا .

ولم يخرج ابن هرمة ، في هذا ، على ذوق عصره إذ " كانوا يقصرون شعر الهجاء على المقطعات القصيرة التي قد لاتتجاوز البيتين إلا جريرا وبشارا فانهما كانا يطيلان في شعر الهجاء ".(٢)

وفسر الدكتور مهدي قصر أبيات الهجاء " إلى رغبة الشاعر في سرعة انتشار أبياته بين جماهير الناس ".(٣)

وكان ابن هرمة ينهج طريقة القدماء في هذا الغرض فتناول في المهجوّ بخله وضعة نسبه وخموله وجبنـــه ، من ذلك ماهجا به محمد بن عمران الطلحي ، حين نزل ضيفا على ابن هرمة . وكان ابن هرمة فرّغ لـــــــــه

---

(١) الديوان ٩٦

(٢) اتجاهات الشعر في القرن الثاني ٤١٩ ، وانظر الشعراء من مخضرمي الدولتين ٣٣٩.

(٣) اتجاهات الشعر في القرن الثاني ٤٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

داره . واشترى له علفـــا حتى اذا انتهت مدة الاقامة ، لم يعط ابن هرمة شيئا . بل إنه شتمه وهمّ بضربـــه ، فقال ابن هرمة يهجوه :(١)

يامن يعين على ضيف ألمّ بنـا
ليس بذي كرم يُرجىٰ ولاديـن
أقام عندى ثلاثا سنّةً سلفـــت
أغضيتُ منها على الاقذاء والدون
مسافة البيت عشر غير مشكلة
وأنت تأتيه في شهر وعشريـــن
لست تبالي فوات الحج إن نصبت
ذات الكلال واسمنتْ ابن حرقين
تحدث الناس عما فيك من كـرم
هيهات ذاك لضيفان المساكين
أصبحت تخزن ماتحوي وتجمعه
أبا سليمان من أشلاء قـــارون

وهجا رجلا من قريش كان ابن هرمة مدحه ، فلم يثبه ، فاتهمه بضعف الهمة والبعد عن الرجولـــــه ، ودعاه إلى ترك ما لاطاقة له عليه .(٢)

---

(١) انظر القصة كاملة في الأغاني ٤ : ٣٩٠

(٢) حماسة البحترى ٢٣٧ ، والديوان ١٤٦

والأبيات هي :

فهلا اذ عجزت عن المعالي ... وعما يفعل الرجل القريع
أخذت بقول عمرو حين أوفى ... به وبناره الشرف الرفيع
(اذا لم تستطع شيئا فدعـه ... وجاوزه الى ماتستطيـع)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن المعاني التي اتجه اليها ابن هرمة في هجائه الناس . غير صفة البخل ، سخريته بالادعياء الذين ينتسبون الى أصل عربي . وما هم بعرب . ولعل هذا كان نتيجة لوجود مشكلة اجتماعية بالفعل ، وهي محاولة الموالي الانتساب إلى قبائل عربية . وربما كان المهجوّ صحيح النسب ، ومع ذلك هجاه يريد ان يشفي غيظ نفسه منه بالتشكيك في نسبه ، من ذلك قوله :(١)

هجوت الأدعياء فناصبتني ... معاشر خلتها عربا صحاحا

وكان المسور بن عبدالملك المخزومي عالما بالشعر والنسب . وكان يعيب شعر ابن هرمة ، فهجاه متهما إياه بضعف خبرته في هذه الصناعة ، وأن جهله في الشعر امس معروفا بين الناس . وأن عيوب صناعته فيه واضحة بيته . وشبه ضعف صناعته بصاحب الدباغة الذى لايتقن الصنعة فيبدو فساد عمله أمام الناس .(٢)

قل للذى ظل ذا لونين يأكلني ... لقد خلوت بلحم عادم البشم

إياك لا أ لزمن لحييك من لَجُمي ... نكلا ينكل قراصا من اللجم(٣)

يدق لحييك أو تنقاد متّبعا ... مشي المقيد ذى القردان الحَلَم(٤)

إن الأديم الذى أمسيت تقرظه ... جهلا لذو نغل باد وذو حلم(٥)

ولا يئط بأيدى الخالقين ولا ... أيدي الخوالق إلا جيّد الأدم(٦)

---

(١) الديوان ٨٢

(٢) الأغاني ٤ : ٣٧٩ والديوان ٢١٣

(٣) اللجم : جمع لجام . والنكل : اللجام أيضا

(٤) القردان : جمع قرادة وهي دويبة تتعلق بالبعير ونحوه

والحلم : الصغير من القراد ، وقيل هو الضخم منه

(٥) الأديم : الجلد . ويقرظه : يدبغه بالقرظ لاصلاحه . والنغل ، والحلم : الفساد في الجلد .

(٦) يئط : يصوت ، والخالقون : وصف من تمولهم خلق الجلد : اذا قدره قبل قطعه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمن هجائه للخلفاء قوله في مروان بن محمد الخليفة الاموي :[١]

فلا عفا الله عن مروان مظلمة ولا أمية بئس المجلس النادي

وهو من الهجاء السياسي .

ومن هجائه للأمراء قوله في العباس[٢] بن الوليد بن عبدالملك . وكان العباس بخيلا :[٣]

ومعجب بمديح الشعر يمنعه من المديح ثواب الشعر والشفقُ
يا آبي المدح من قول يحبره ذو نيقة في حواشي شعره أنقُ[٤]

وهجا من القضاة عبد العزيز بن المطلب بن عبدالله . وكان ولي قضاء مكة والمدينة للمنصور والهادي . هجاه مرتين ، مرة غمز في أصله ونسبه ، وكان عبد العزيز خطب إلى امرأة من ولد عمر فردته فخطب إلى امرأة من بني عامر بن لؤي فزوجوه . فعاب عليه ابن هرمة ذاك :[٥]

خطبت إلى كعب فردّوك صاغرا فحوّلت من كعب إلى جذم عامر
وفي عامر عزّ قديم وإنما أجازك فيهم هزل أهل المقابر

ومرة هجاه بالبخل حين أرسل اليه ابن هرمة كتابا يطلب منه شيئا من المال ، فبعث اليه عبد العزيز بخمسة عشر دينارا ، فمكث ابن هرمة شهرا ، ثم بعث إليه يطلب مالا آخر ، فقال عبد العزيز " إنّا والله لانقوى على ماكان يقوى عليه الحكم بن المطلب ، فقال فيه :[٦]

أبا البخل تطلب ماقدمت عرانين جادت بأموالها
فهيهات خالفت فعل الكرام خلاف الجمال بأبوابها

---

(١) انظر قصة هذا الهجاء في الاغاني ٤ : ٣٤٧

(٢) هو ابن عم عبدالواحد بن سليمان ، كان قائدا أمويا ، اشترك في قتال يزيد بن المهلب ، وفتح حصونا في بلاد الروم ، سجنه مروان بن محمد ومات في سجنه سنة ١٣١هـ .

(٣) الديوان ١٥٦

(٤) ذونيقة : المبالغ في منطقه وملبسه ، والانق : الروعة والحسن .

(٥) الأغاني ٤ : ٣٩٤ ، والديوان ١٢٨

(٦) الأغاني ٤ : ٣٩٥ ، والديوان ١٩٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه صورة مؤلمة في الهجاء ، الا أنها صورة جديدة ، حيث جعل المهجو لايخرج منه شيء للنـــاس ينتفيدون منه كالجمال لاتخرج أبوالها لتشربه في أسفارها البعيدة حين تحتاج إلى الماء .

وشبيه بهذه الصورة الشعبية ، وان كانت من عالم الجماد: قوله في معاوية بن عبدالله بن جعفر ابـــن أبي طالب حين مدحه ولم يعطه شيئا ، فشبهه لشدة بخله بالحجر الذي لايمكن عصره والاستفادة منـــه فقال :(١)

فاني ومدحك غير المصيـ ـب كالكلب ينبح ضوء القمـر

مدحتك أرجو لديك الثواب فكنت كعاصر جنب الحجـر

ووصل به الأمر أن هجا نفسه وأمه وقبيلته الحارث بن فهـــر .(٢)

ويلاحظ على غرض الهجاء عنده أنه كان هجاء شخصيا يعاب فيه الانسان بمخازيه الذاتية لابمخـــازي قبيلته ، الا أبياته في محمد بن عمران الطلحي فانه ذكر آباءه بسوء في قوله :(٣)

مثل ابن عمران آباؤه سلفـــوا

يجزون فعل ذوي الإحسان بالدون

ومما يسجل لابن هرمة في هجائه أنه لم يسف ولم يفحش ، وهي ظاهرة يشترك فيها شعراء الحجـــاز عامة ، على العكس من شعراء الكوفة الذين كانوا يسفون كثيرا في هجائهم .(٤)

---

(١) الأغاني ١٢ : ٢٢٤

(٢) انظر الأغاني ٤ : ٣٧٠

(٣) المصدر السابق ٤ : ٣٩١ والديوان ٢٤١

(٤) الشعراء من مخضرمي الدولتين ٣٥٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن التطورات الجديدة التي نلاحظها على غرض الهجاء عنده ميله إلى الشعبية في معانيه وصـــوره ، وهذه الشعبية تعني الاقتراب من الهزل والمرح والترفيه وبساطة التعبير واختيار صوره من الحياة اليومية ، من ذلك هجاؤه لبخيل تعمد ان يخفض رأسه حين أتاه ابن هرمة سائلا . فشبهه بناظم الخرز الذى لايرفـــع رأسه أبدا ، فقال :[١]

نكّس لما أتيت سائلـــه واعتل تنكيس ناظم الخرز

ومن الصور الشعبية في شعره ماهجابه أحدهم فقال :[٢]

وانك اذا أطمعتني منك بالرضـــا

وأيأستني من بعد ذلك بالغضب

كمكنة من ضرعها كف حالـــب

ودا فقه من بعد ذلك ماحلـــب

وأبياته التي عرضنا لها في هجاء معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب[٣] نموذج آخر من نمـــاذج الشعبية في صوره .

ولعل ألذع تصوير لتقلب أحوال البخيل واضطرب نفسيته . وأكثره واقعية وشعبية قوله في هجـــاء العباس بن الوليد بن عبدالملك :[٤]

انك والمدح كالعذراء يعجبهـــا

مس الرجال ويثني قلبها الفرق[٥]

---

(١) الديوان ١٣٢ ، والشعراء من مخضرمي الدولتين ٣٤٧

(٢) الديوان ٥٥

(٣) الديوان ١٠٩

(٤) الديوان ١٥٧ ، والشعراء من مخضرمي الدولتين ٣٤٧

(٥) الفَرَق : الخوف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تبدى بذاك سرورا وهي مشفقـــــة

كما يهاب مسيس الحية الفرق[١]

وكرر الصورة نفسها في هجائه للعباس بن الوليد في قولـــــه :[٢]

يحب المديح أبو خالـــــــــد ويفرق من صلة المادح

كعذراء تبغي لذيذ النكـــــاح وتفرق من صولة الناكح

---

(١) الفرق : الخائـــف

(٢) الديوان ٢٦٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفخـــر:

لم يكثر ابن هرمة من أبيات الفخر ؛ فقد بلغت ستة وخمســـــين بيتا تقريبـــا .

ولعل السبب في قلة أبياته في هذا الموضوع ، فيما أظن ، أنه لم يكن عنده من مقومات الفخر شيء ، فليس عنده من صحة النسب وحسن علاقته بقبيلته مايدفعه الى الفخر في هذا الجانب .(١)

ثم إنه لم يكن يملك من المقومات الشخصية مايدفعه للفخر ، فقد تحدثت في فصل سابق عن ضعـــف هذه المقومات .

وإذا أضفنا إلى ذلك ضياع جزء كبير من شعره ، تكون وصلنا إلى أسباب قلة أبيات الفخر عنـــده . بل إن ماوصل إلينا من فخره لايتجاوز أبياتا متفرقة ذكرها في ثنايا بعض القصائد . وقلّ أن نرى له مقطوعـــات أو قصائد خصصها للفخر .

وكان ابن هرمة متأثرا بطريقة القدماء في الفخر حين عرض للمعاني المعروفة كالكرم ، والإباء ، والصـــبر على المشاق والحلم والعزم في الأمور ، والدخول على الملوك .

ويكاد الفخر بالكرم أن يكون من أكثر الموضوعات دورانا في شعره ، ولعل السبب في ذلك رغبة ابن هرمـــة في أن يجد تفسيرا لضياع أمواله ، فادّعى أن إتلافه لها كان على الأضياف والمحتاجين ، وإلى هذا أشار فـــي قوله :(٢)

وقد كنتُ ذا مال قصيح وصامت

وذا إبل قد تعلمين وذا غنمُ(٣)

---

(١) ارجع الى الفصل الاول من هذه الدراسة ص٨

(٢) الأمثال (للضبي) ١١٢ ؛ وأساس البلاغة ٢ : ٢٠٢

(٣) المال القصيح : الخيل والإبل

والمال الصامت : الذهب والفضة والمتاع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن شروط الكرم عنده أن يكون البذل على الفقراء لحاجتهم إلى المال ولايعطى الموسرون لعدم حاجتهم إليه ، وأن هذا الكرم وما سببه له من فقر لم يثنه عن عادته ، فقد ظل يستقبل أضيافه على الرغم من فقره فقال:(١)

وإنّ الكريم من يُكرّم معسرا
على ما اعتراه لايكرّم ذا يسر
وما غيرتني ضجرة عن تكرّمي
ولا عاب أضيافي عَناي ولاقري

ولعل من جميل شعره في الكرم . ماكنّى به عن كرمه في جبن كلبه وعدم نباحه على القادمين ، وهزال غنمه لانعدام مُرعى سمنها لكثرة الأضياف فيذبحها لوقتها في قوله :(٢)

ومايك فيّ من عيب فإني جبان الكلب مهزول الفصيل

وله أبيات مشهورة في الكرم تقدّم ذكرها .(٣)

وعلى الرغم من فقره وضيق يده . فقد ظل يشعر بعزة في نفسه وإباء للضيم ، ومن مظاهر هذه العزة أنه لا يحتاج أحدا من الناس ، ولايريد منهم أن يشاركوه في أمر من أمور حياته ، لأنّ في معاشرته لهم إذلالا لنفسه ، وتقييدا لحريته ، ولذا فهو يسلك طريقا غير طريقهم :(٤)

إذا أنت لم تأخذ من الناس عصمة
تشدّ بها في راحتيك الأصابعُ(٥)
شربتُ بطرق الماء حيث وجدته
على كدر واستعبدتك المطامعُ(٦)

---

(١) الديوان ١٢٦
(٢) دلائل الاعجاز ٢٣٧ ، ومفتاح العلوم (للسكاكي) ١٩١
(٣) وهي قوله :
لا أمتع العوذ بالفصال ولا أبتاع الا قريبة الاجل
وانظر الديوان ٢٤٦
(٤) الديوان ١٤٠
(٥) العصمة : الحفظ والمنع
(٦) الطرق : ماء السماء الذى تبول فيه الإبل وتبعر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإني لمما ألبس الثوب ضيّقـــا

وأترك لبس الثوب والثوب واســع

وأصرف عن بعض المياه مطيتـــي

إذا أعجبت بعض الرجال المشارع [١]

وأكد ابن هرمة هذه الفكرة غير مرة ، وأشار إلى أن القليل الذي يحصل عليه الإنسان بكدّه وجهده أفضـــل من الكثير الذي يأتي بذل السؤال : [٢]

إذا مطمع يوما غزاني غزوتـــه

كتائب ناس كرّها واطرادهـــا

أمص ثمادي والمياه كثـــيرة

أعالج منها حفرها واكتدادهـــا [٣]

وأرضى بها من بحر آخر إنـــه

هو الرأي أن ترضى النفوس ثمادها

وكرر الفكرة نفسها مرة ثالثة ، فقـــال : [٤]

إني لأطوي رجالا أن أزورهـــم

وفيهم عُكَر الأنعام والـــورق [٥]

---

(١) المشارع : جمع مشرع وهو مورد الماء

(٢) الديوان ٩٦

(٣) الثماء : الماء القليل يتجمع في الشتاء ، وينضب في الصيف

وكد ، واكتد : نزع الشيء بيده

(٤) الديوان ١٥٨

(٥) العكر : جمع عكرة ، وهو القطيع الضخم من الابل

والورق : المال من الابل والغنم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طَيّ الثياب التي لو كشّفت وجدت

فيها المعاوز في التفتيش والحرقُ[١]

وأترك الثوب يوما وهو ذو سعـــة

وألبس الثوب وهو الضيّق الخلـــقُ

إكرام نفسي واني لايوافقنـــــــي

ولو ظمئت فحمت ، المشرب الرنقُ[٢]

ولاينبغي أن يفهم أن حذر ابن هرمة من الناس وعدم اختلاطه بهم سببه الضعف والخور ، بل انه بتجنبهم وهو القوي ، أشار إلى ذلك في قوله :[٣]

أغضي ولو أنّي أشاء كسوتـــه

جربا وكنت له كشوك العرفـــــط[٤]

ومتى ألاق فحول قوم مـــــرة

عند الشدائد أطلع أو أتخمّـــــط[٥]

---

(١) المعاوز : جمع معوز : وهو خرقان الثياب المبتذلة

(٢) الرنق : الكـــــدر

(٣) الديوان ١٣٦

(٤) العرفط : شجرة قصيرة ذات شوك كثير

(٥) العباب الزاخر (حرف الطاء) ٥٨

ورجل متخمط : شديد الغضب له فورة وجلبة من شدة غضبه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإلى نفس المعنى ذهب في قولـــــــه :[١]

ولستُ لأحناك العدوّ بعــدْوَة ولا حمضة ينتابها المتملّــحُ[٢]

وافتخر ابن هرمة بدخوله على الملوك والخلفـــــاء :[٣]

إذا هيــب أبواب الملوك قرعتها بطرقه ولاّج لها نابه الذكــر

وكان ابن هرمة فخورا بموهبته الفنية وقدرته الشعرية ، وكان الناس يعرفون فيه هذه القدرة . فحـــاول بعضهم أن يسترق شعره ويستعير معانيه ، وهو الذي يقوم على شعره يصلحه ويجمّله لينشره بين الناس شعـرا متعدد الأغراض . وما إن يسمع به الناس حتى يهموا بسرقته ويدّعوه لأنفسهم . ولكن عبثا يحاولون إخفـــــاء هذه السرقات . لأنه قادر على تمييز شعره . قال في ذلك :[٤]

أغذو تلادا من الأشعار أصلحهـــا

صلاح ذي الحزم للحاجات والرّتــل[٥]

أحذو قصائد للراوين باقيـــــة

كأنها بينهم موشّية الحـــــلل

---

(١) الفائق في غريب الحديث ٢ : ٤٧٣

(٢) الاحناك : جماعات من الناس ينتجعون بلدا يرعونه
والعدوة : الخلة من النبات
والحمضة : فاكهة الابـــل
والمتملح : السمين ، يقال : تملّحت الإبل إذا سمنت

(٣) الديوان ١٢٧

(٤) الديوان ١٨٤

(٥) التلاد والتليد : القديم ، والرتل : الطيب من كل شيء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إمّا نسيبا وإمّا مدح ذى فخـــر
يبقى وإمّا ادّخارا من ذوى خَطَلِ

حتى إذا امتلأت أسماعهم عجبا
واستوقفت في قلوب القوم كالعَسَلِ

أهوَوا إليها لغوصٍ في مسارحها
لم يقرعوا أمّهات الشّوْل للحَبَـلِ(١)

وما أشاركهم في طرق فحلهـــم
ولابسهلٍ أراعيهم ولاجَبَـــــلِ

ما إن أزال أرى وسمي فأعرفـــه
في ذود آخر موسوما على قبـــلِ(٢)

وما وسمت قلاصا وهي راتعـــة
حتى أتت رغم الأقياد والعُقَـــلِ(٣)

---

(١) الشول : جمع شائله : وهي من الابل ما أتى على حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجـــفّ لبنها .

(٢) الوسم : العلامة

والذود : الابل لايتجاوز عددها الثلاثين ولايقل عن الثلاث

(٣) القلاص من الابل : الطويلـــة القوائم

والأقياد : جمع قيد وهو حبل يوضع في رجل الدابة فيمسكها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولـــــه في إعجابه بشعره بيتان آخران عرضنا لهما في الحديـــــث عن ثقافتـــــه .[١]

ولابن هرمة فخر بلهوه ومجونه . وهي بعض أبيات ذكرها ضمن قصيدة بلغت عشرة أبيات . قـــــــال فيها :[٢]

إمّا تريني شاحبـــــا متبذّلا
كالسيد يخلق غمده فيضيـــــعُ

فلَربَّ لذّة ليلة قد نلتهـــا
وحرامها بحلالها مدفـــــوعُ

بأوانس حور العيون كأنها
آرام وجرة جادهـــنّ ربيـــــعُ[٣]

---

(١) وهما قوله :

ومن لم يرد مدحي فإن مدائحـــي نوافق عند الأكرمين ســـوامِ
نَوافِق عند المشترى الحمدبالندى نَفَاق بنات الحارث بن هشام

(٢) الديوان ١٤٥

(٣) وجرة : موضع بين مكة والبصرة . بينها وبين البصرة أربعين ميلا ، ليس فيها منزل ، فهي مَرَبٌّ للوحش . معجم البلدان (كفنة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المدح :

يعتبر المدح من أكثر الموضوعات الشعرية التي نظم فيها ابن هرمة ؛ ذلك أن طبيعة حياته فرضت عليه هذا اللون من الشعر ، فهو دائم الحاجة لأنه مفسد أمواله على عبثه ولهوه . ثم إنه أراد أن يتلون بلون الظروف التي مرت به ، فقد سبق له أن مدح بعض الأمويين مديحا معجبا ، وارتبط ببعض العلويين ثم أدرك العباسيين فاضطر ، حينئذ . أن يمدحهم لينال الثقة منهم والأمان لنفسه .

وكنت أقسمت الفصل الثالث لمواقفه السياسية مع الأمويين والعباسيين والعلويين ، وأريد هنا أن أوجز القول فأقف على غرض المدح في غير المعاني السياسية ، أقصد المعاني التقليدية التي كان الشعراء يضفونها على ممدوحيهم . ثم أريد أن أقف على بعض المعاني الجديدة التي نظم فيها ابن هرمة .

وأول مانلحظه على معاني المديح التقليدية عنده أنها دارت على نسب الممدوح وحلمه وحزمه وكرمه ، وعفة أخلاقه وشرف نفسه ، ثم أضاف إليها معاني جديدة استمدها من القيم والمثل الإسلامية كالحفاظ على الدين والتثبت بالحق وتحرّي العدل ، ومجانبة الهوى ، ورجاحة العقل ونفاذ البصيرة .(١)

ثم أضاف إلى هذه المعاني مصطلحات إسلامية جديدة كالمدح بلقب الخلافة ولقب أمير المؤمنين .

فمن المعاني التقليدية في المدح ، صفة الكرم ، وهي من أكثر الصفات التي مدح بها ، ذلك أن حاجته إلى كرم الممدوحين أكثر من حاجته إلى الصفات الأخرى فيهم . من ذلك ما أضفاه على الإمام ابراهيم بن محمد

---

(١) انظر الشعراء من مخضرمي الدولتين ٣٩٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من صفات تقلبديه كوضاءة وجهه الذى يشبه ضوء الصباح على عادة الجاهليين ، وإشادة بكرمه ، وارتياحه للعطاء . حتى أصبح عادة يومية عنده . فهو يجزل للمحتاجين في كل يوم أضعاف مابذله لهم في سابق يومه :[١]

أغرّ كضوء الصبح يستمطر الندى
ويهتز مرتاحا إذا هو أنفدا
وقلت امرؤ غمر العطيات ماجد
متى ألقه ألق الجواريَ أسعدا .
إذا هو أعطى مرة هزّه الندى
فعاد وكان العَوْد بالخير أحمدا
كريم إذا ما أوجب اليوم نائلا
عليه جزيلا بث أضعافه غدا

وليس كرم الإمام إبراهيم ككرم الآخرين بل هو يفوقهم فيه . ولايكاد يلحق به أحد . حتى إنه ليجود بما عليه من ثوب إن عزّ عليه العطاء .[٢]

وموقد نار لم يجد مطفئا لها
أتاك فأطفأت الذى كان أوقدا
ولو لم يَجِدْ للواقفين ببابه
سوى الثوب ألقى ثوبه وتجردا

ولد في المنصور[٣] وداود بن علي[٤] والسرى بن عبدالله[٥] أبيات مدحهم فيها بالكرم .

---

(١) الديوان ٩٠

(٢) الديوان ٩٠

(٣) انظر الديوان ١٨٩

(٤) انظر الديوان ١٧١

(٥) انظر أنساب الاشراف ٣ : ٦٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن ثنائه على ممدوحية بصفتي العفه والشرف ، قوله في محمد بن عمران الطلحي ، وكان ابن هرمة هجاه بأبيات مرّ ذكرها[١] . ثم أجبر على مدحه اجبارا ، وهو مدح يظهر فيه التكلف ظهورا واضحا :[٢]

ألم تر أن القول يخلص صدقه
وتأبى فما تزكو لباغ بواطله

ذممتَ امرءا لم يطبع الذم عرضه
قليلا لدى تحصيله من يشاكله

فما بالحجاز من فتى ذى إمارة
ولا شرف إلا ابن عمران فاضله

فتى لايطور الذم ساحة بيته
وتشقى به ليل التمام عواذله[٣]

وشبيه بهذا مدحه للحكم بن المطلب المخزومي :[٤]

تصبح أقوام عن المجد والعلا — فأضحوا نياما وهو لم يتصبح
اذا كدحت أعراض قوم بلؤمهم — نجا سالما من لؤمهم لم يكدح

وأما صفتا الحزم والحلم فأكثر ماتمثلتا في أبى جعفر المنصور ، من ذلك قوله فيه .[٥]

إذا ما أبى شيئا مضى كالذى أبى
وما قال إني فاعل فهو فاعل

---

(١) انظر ص١٦ من هذا الفصل ، وانظر قصة هجائه له في الأغاني ٤ : ٣٩٠

(٢) الديوان ١٧٦

(٣) لايطور : لايقرب ، وليل التمام : أطول مايكون من ليالي الشتاء

(٤) الديوان ٨٣

(٥) الديوان ١٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو مع حزمه يعفو عن المخطئين إذا تمكّن منهـــــم:[١]

وليس بمعطي العفو عن غير قدرة

ويعفو إذا ما أمكنته المقاتل

أمّا المعاني الجديدة في المدح فقد أكثر منها ابن هرمة . من ذلك مدحه لعبد الواحد بن سليمان مشيدا بحصافة رأيه ، وتفوقه في قومه وظفره بأعدائه وتغلبه على منافسيه :[٢]

فدعْ ما لا يردّ عليك شيئـا	من الجارات أو دمن الرسوم
وقلْ قولا تطبّق مفصليـــــه	بمدحه صاحب الرأي المـروم
لعبد الواحد الفلج المعلـى	علا خلق النضورة والخصوم
دعته المكرمات فتاولتـــه	خطام المجد في سـن الفطيم

ومن مدحه لداود بن علي والي المدينة لأبي العباس السفاح مشيدا بعظمته واتصال معروفه ، ورجاحـــــة عقله ، وضخامة مكانته:[٣]

أَروعَ لا يخلف العدات ولا	تمنع منه سؤاله العِلَلُ[٤]
لا عاجز عازب مروءتـــه	ولا ضعيف في رأيه زلـلُ[٥]
يسبق بالفضل ظن صاحبـه	ويقتل الريث عرفه العجلُ
حل من المجد والمكارم في	خير محل يحله رجـــلُ

---

(١) الديوان ١٦٨

(٢) الديوان ٢٢٢ والشعراء من مخضرمي الدولتين ٣٩٧

(٣) الديوان ١٧١ والشعراء من مخضرمي الدولتين ٣٩٧

(٤) الأُروع من الرجال : الكريم ذو الجسم والجهارة والفضل والسؤود

(٥) العازب : البعيد المَطْلب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ماقال أوفت به مقالتـــــه　　عفوا ولم تعترض لـــــه العلـل

سالت به شعبة الوفاء إلى　　حيث انتهى السهل وانتهى الجبلُ

وقوله للسرى بن عبدالله والي اليمامة للمنصور مشيرا الى حراسته لعمله ، وعنايته بمصالح رعيتـــــه واجتهاده في تحقيق الأمن والاطمئنان لهم حتى صلحت أحوالهم وصفت حياتهم :(١)

نفى الظلم عن أهل اليمامة عدله　　فعاشوا وزاح الظلم عنهم وباطلُه

وناموا بأمن بعد خوف وشـــدة　　بسيرة عدل ماتخاف غوائلـــه

بك الله أحيا أرض حجر وغيرها　　من الارض حتى عاش بالبقل آكلُه

ومدح داود بن علي بالهيبة والجلال في قوله :(٢)

والناس يرمون عن شر بأعينهـــم

كالصقر أصبح فوق المرقب العالي

وخاطب بعض ممدوحيه بالألقاب الاسلامية من ذلك قولـــــه يهنيء أبا العباس السفاح بالخلافـــــة ويعزى في الإمام إبراهيم :

أمروان أولى بالخلافة منكـــمُ　　أُصيبت إذن يمنى يدىّ فشُلّـت(٣)

وقد كان إبراهيم مولى خلافـــة　　بها خضعت صعب الرقاب وذلت

وأوصى لعبدالله بالعهد بعده　　خلافة حق لا أمانيّ ضلّـــــت

ومنه قوله يخاطب أبا جعفر المنصور بلقب أمير المؤمنين(٤) :

إليك أميرَ المؤمنين تجـــاوزت　　بنا بيد أجواز الفلاة الرواحـل

---

(١) الديوان ١٧٥ ، والشعراء من مخضرمي الدولتين ٣٩٩

(٢) الديوان ١٧٨

(٣) الديوان ٧٠

(٤) الديوان ١٨٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووصل المديح عند ابن هرمة إلى درجة الاستجداء ، وإذلال نفسه في الطلب ، ولعل له عذرا في ذلك ، فقد وصل إلى درجة كبيرة في السوء وبخاصة في مرض وفاته ، إذ أنه طلب المساعدة من بعض معارفه فلم يُؤْبه له ، فمدح محمد بن عبدالعزيز ، بل استجداه ليعطيه شيئا يسدّ به بعض مطالبه قائلا :[1]

إني دعوتك إذْ جُفيت وشفّني
مرض تضاعفني شديد المشتكى
وحُبستُ عن طلب المعيشة وارتقت
دوني الحوائج في وعور المرتقى
فأجب أخاك فقد أناف بصوته
ياذا الإخاء ويا كريمَ المُرْتجى

ولقد حَفيت صبيبَ عَكّة بيتنا
ذوبا ومزتَ بصفوه عنك القذى
فخذ الغنيمة واغتنمني إنني
غُنْم لمثلك والمكارم تُشترى
لاترمينّ بحاجتي وقضائها
ضرح الحجاب كما رمى بيَ مَنْ رمى

فأعطاه مئة دينار وأعطاه جعفر بن سليمان مثلها ، ويقال إنه ما أنفق منها إلا دينارا حتى مات .

ومما يلاحظ على بعض مدائحه أنه كان يقدّم لها بأبيات اعتذارية ، وذلك حين يكون أتى ذنبا أسخط عليه بعض ممدوحيه . فقد اعتذر لمحمد بن عبدالله الحسن حين عرّض به وبأخويه في مدحته للحسن بن زيد بقوله :[2]

والله أعطاك فضلا من عطيته ... على هن وهن فيما مضى وهن

فقال معتذرا في قصيدتين ، قال في الأولى :[3]

ياذا المنوّه يدعوني ليسمعني ... مواعظا مِنْ جميل رأيه حَسَن

---

(١) انظر قصة هذه الأبيات في الأغاني ٤ : ٣٧٤

(٢) الديوان ٣٣

(٣) تاريخ مدينة دمشق (تراجم حرف العين) ١٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أقبلْ عليّ بوجه منك أعرفـه ... فقد فهمت وسدّ السمع للأذن [1]

لقد أتيت بأمر ماشهدت به ... ولا تعمده قصدى ولا سننـي

إلا مقالة أقوام ذوى إحـن ... وما مقالُ ذوى الشحناء والإحَن

لم يُحسنوا الظن إذا ظنوا بذى حسب

وفيهمُ العذر مقرون الى الطَبَن [2]

وكيف يأخذ مثلي في تخـيّره

وسط المعاشر محقورا من الثمن

وقد صحبت وجاورت الرجال فلـم

أملل إخاءً ولم أُغدُرْ ولم أُخُـن

يا ابن الفواطم خير الناس كلهـم

بيتا وأولاهمُ بالفوز لا الغَبَن

إن كنتَ نحوى فان الله جابرنـا

ولا اجتبار لنا إن أنت لم تَكُـن

وما لبست عناني في مساء تكمْ

ولا خلعت لغش نحوكم رسَـني

ففي الأبيات السابقة يعتذر ابن هرمة عمّا وصل إلى محمد بن عبدالله من أخبار لفّقها بعض الوشاة الحاسدين ليباعدوا بينهما ، ثم هو ينفي هذه الإساءة عن نفسه إذ ليس من عادته أن يخون صديقا أو يغدر صاحبا له . وكان على محمد بن عبدالله أن لايؤاخذ ابن هرمة على إساءته تلك ، وان ثبتت عليه ، لان مثل ابن هرمة لاقيمة له في أوساط الأشراف فيرفع من مستواهم أو يحطّ من قدرهم .

وتدخل المبالغة في اعتذاريته تلك فيجعل من رضى محمدعليه سببا فى رضى الله عليه ، وفي غياب هذا الرضى يخسر شيئا كثيرا .

---

(١) سدّ : صار سديدا

(٢) الطبن : الفطنه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال في الثانية يعتذر لإبراهيم بن عبدالله أيضا ، عمّا وصل إليه من أخبار سيئة عنه ، فيجعل سبب ذلك من صنع الوشاة فبالغوا فيها وأكثروا منها ، ثم إنه يقبل أن يقام عليه الحد إن تثبت عليه هذه التهمة :(١)

يا ابن الفواطم خير الناس كلهمُ	عند الفخار وأولاهم بتطهيرِ
إني لحامل عذرى ثم ناشره	وليس ينفع عذر غير منشورِ
وحالفٌ بيمين غير كاذبة	بالله والبُدْن اذ كُبّتْ لنحيرِ
لقد أتاك العدا عنّي بفاحشة	منهمْ فَرَوْها بأسيافٍ وتكثيرِ
قُتِلْتُ إن كان حقا ثم كان دمي	إلى وليّ ضعيف غير منصورِ
والله لو كان أن ترضى فراق يدى	فارقتها بعتيق الحدّ مطرورِ

واعتذر لعبد الواحد بن سليمان بعد أن عُزل عن المدينة ، وولي عليها رجل من بني الحارث بن كعب فأتاه ابن هرمة ومدحه طمعا أن يهب إليه مثل عبد الواحد ، ولكنه لم يصنع له شيئا ، ثم مالبث أن عُزل الوالي الجديد وقدم عبد الواحد المدينة واليا عليها ، فكتب يعتذر إليه من قصيدة أولها :(٢)

صرمت حبائلا من حبل سلمى	لهند ماعمدت لمستراح

وفيها قوله يخاطب عبد الواحد :

أعبد الواحد المحمود إني	أغضّ حذار سخطك بالقراحِ
فَشَلّت راحتاى وحال مهرى	فألقاني بمشتجر الرماحِ
وأقعدني الزمان فبتّ صفرا	من المال والمعزّب والمراحِ
إذا فخّمتُ غيرك في ثنائي	ونصحي في المغيبة وامتداحي
فإن أك قد هفوت إلى أمير	فعن غير التطوع والسماحِ
ولكن سقطة عيبتْ علينا	وبعض القوم يذهب في الرياحِ
إذا لم ترضَ عنّي أو تصلني	لفي حَيْنٍ أعالجه متاحِ

---

(١) الديوان ١٣٠

(٢) الأغاني ٦ : ١٠٧ والديوان ٨٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرثـــاء :

لم يشتهر ابن هرمة بمرثياته كشهرته بغزلياته ومدائحه . ولست أجد تفسيرا لهذه القلة سوى ضياع شعره ، أو قلة وفائه لمن وصله من الخلفاء والامراء والولاة وكبار القوم . إذ ينبغي أن يكون موضوع الرثـــاء مساويا لموضوع المدح ، مادام الأشخاص الذين مدحهم قد فارقوه وبقي - هو - بعدهم طويلا .

ومما يلفت النظر أنه أدرك بعض خلفاء الأمويين وبعض ولاتهم ، واتصل بهم ، ولكن لم يصل إلينـــا من شعره في رثائهم إلا بيتان قالهما بعد أن بلغه مقتل الوليد بن يزيد .(١)

ولـــنا نجد مرثيات في العلويـــين على الرغم من اتصالـــه بهم .

ولم يصل إلينا من مرثياته في العباسيين إلا ثلاث قصائد في رثاء الإمام ابراهيم بن محمد على الرغـــم من أنه أدرك أبا العباس السفاح وأبا جعفر المنصور والمهدي والهادي ومات في عصر الرشيد .

ومما يلاحظ على مرثياته أنها جاءت قصائد مستقلة في الغرض نفسه ، وليست جزءا من قصيدة كاملـــة كما كان الأمر عند بعض شعراء الجاهلية والاسلام .

وليست المرثية عند ابن هرمة نوعا من المشاركة الوجدانية أو المجاملة الإنسانية فقط ، بل إنها تأثرت بالأوضاع السياسيه كما ذهب الدكتور حسين عطوان ،(٢) حيث نادى بأن الامام إبراهيم هو صاحب الخلافـــة الشرعي ، ووارثها الحقيقي ، وأنه لاحق للأمويين فيها ، بل إنه هاجمهم لأنهم ادعوا حقهم في الخلافـــة

---

(١) وهما قوله :

وكانت أمور الناس منبتة القوى

فشدّ الوليد حين قام نظامها

خليفة حق لاخليفة باطـــل

رمى عن قناة الدين حتى اقامها

(٢) الشعراء من مخضرمي الدولتين ٣٨١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دون العباسيين ، فقال بعد أن رثى الإمام إبراهيم بأبيات : [١]

أمروان أولى بالخلافة منكم
أصيبت إذن يمنى يدىّ فشلت
وأنتم بنوعم النبي ورهطه
فقد سئمت نفسي الحياة وملّت
وقد كان ابراهيم مولى خلافة
بها خضعت صعب الرقاب وذلّت

وله مرثيتان تجريان على نمط واحد ، وان تفاوتتا في عدد الأبيات ، فهو يتحسر فيهما على الإمام المقتول ظلما وغدرا ، ويظهر جزعه وجزع الناس كلهم لوفاته . ثم يحاول أن يثبت حق العباسيين في الخلافة ويختمها بمهاجمة مروان بن محمد اخر خلفاء بنى أمية . قال في إحداها . [٢]

قد كنت أحسبني جلدا فضعضعني
قبر بحرّان فيه عظمة الدّين [٣]
فيه الإمام وخير الناس كلهم
بين المفائح والأحجار والطين
فيه الامام الذى عمت مصيبته
وعيّلت كلّ ذى مال ومسكين
إن الإمام الذى ولّى وغادرني
كأنني بعده في ثوب مجنون
حال الزمان بنا اذ بات يعركنا
عرك الصناع أديما غير مدهون

---

(١) الديوان ٧٠

(٢) الديوان ٢٣٧

(٣) حرّان : مدينة تقع على طريق الموصل والشام ، كان مروان بن محمد حبس الإمام إبراهيم فيها حتى مات بعد شهرين ، وقيل بل قتل سنة ١٣٢هـ . معجم البلدان (حرّان)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و أعقب الدهر ريشا في مناكبه

فما يزال مع الأعداء يرميني

فرحمة الله أنواعا مضاعفـــه

عليك من مُقْعَصٍ ظلما ومسجونِ (١)

فلا عفا الله عن مروان مظلمة

لكن عفا الله عمن قال آمـــين

ومقطوعته الثانية تجرى على النمط نفســـــه . (٢)

أما قصيدته الثالثة فبلغت واحدا وعشرين بيتا ، جعلها ابن هرمة قسمين ، قسما رثى بها الإمـــــام إبراهيم وهجا فيها مروان بن محمد وأثبت حق العباسيين في الخلافة ، وقسما هنأ فيه أبا العباس السفـــاح لتسلّم الخلافة بعد أخيه إبراهيم . (٣)

ولابن هرمة أبيات متفرقة في رثاء أقاربه وبعض قومه . وهي في مجملها تمثّل موقفا فلسفيا تأمليـــا للدنيا ومن عليها ، وكيف تبدّل بهم الحال فأمسوا عظاما باليات تحت التراب بعد أن كانوا رجالا أقويـــاء كالسيوف في المضاء ، فقال : (٤)

كم أخٍ صالح وعمّ وخـــال ... وابن عم كالصارم المسنونِ

قد جَلَتْه عنّا المنايا فأمسى ... أعظما تحت ملحدات وطين

رهن رمسٍ ببُهرة أو حزيـــزٍ ... بالقوم للميّتِ المدفـــون (٥)

---

(١) قعصه : قتله مكانه

(٢) انظر الديوان ٦٩

(٣) انظر الديوان ٦٩

(٤) الديوان ٢٤٢

(٥) بهرة (بالضم) ماء بلي قرقرى لبني امرىء القيس بن زيد بن مناة باليمامة ، وبهرة الوادى : وسطه . وحزيز : المكان الغليظ المنقاد وجمعه حزّان وأحزّه . وهو في مواضع كثيرة من بلاد العرب .

معجم البلدان (بُهْرَة)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو أن ابن هرمة فقد كثيرا من قومه في أحداث متتاليات فقال يرثيهم لكثرة من قتل منهم .(١)

أَنصُبَ للمنية تعتريهم رجالي أم هم درج السيول
ولو كانت تغادرهم لضجتْ وأجلت عن فوارس غير ميلِ
ولكنّ المنية حبل قدّر تعلّق بالعزيز وبالذليل

(١) شرح أبيات سيبويه (لابن مرزبان السيرافي) ١ : ١٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوصـــــف :

الوصف من أكثر الأغراض دورانا في الشعر العربي ، وإليه ترجع كل الأغراض الأخرى كما ذكر ابن رشيق[١] . إلا أن موضوعات الوصف اختلفت من عصر إلى آخر ، وهو اختلاف فرضته طبيعة الحياة وتنوع البيئات ، فموضوعات الوصف في العصر الأموى تختلف نوعا ما عن موضوعات الوصف في العصر الجاهلي ، وهي في العصر العباسي تختلف عن العصرين السابقين . واختلاف البيئة في الأندلس أحدث ألوانا جديدة فيه .

ومما يلاحظ على غرض الوصف في الشعر الجاهلى والأموى بصورة عامة ، أنه لم يكن يشكل قصائد مستقلة ، وإنما كان جزءا من القصيدة ، فقد تظهر بعض صوره في المقدمات الغزلية والطللية ، وما يتبع هذا الجزء من تصوير الرحلة في الصحراء ، فيصفون الابل والخيل وبقر الوحش وحُمُره ، وقد يصفون شيئا من حياة الصحراء وما يقع فيها من صراع بين حيواناته .

وقد تظهر بعض صوره الأخرى في موضوعات المدح والرثاء والهجاء والفخر .

وابن هرمة واحد من الشعراء الذين عاشوا في العصر الأموى شطرا من حياتهم ، ولست أشك في أنه اطّلع على الشعر الجاهلى وحفظ منه الكثير . ولذلك ظل متأثرا بنموذج الشعر العربي التقليدى وخاصة شعر الوصف على الرغم من أنه أدرك جزءا من الحياة العباسية المتحضره ، إلا أنه لم يتأثر تأثره بالحياة البدوية .

والمطّلع على شعر الوصف عند ابن هرمة يدرك أنه شاعر تقليدى في موضوعاته وصوره وألفاظه .

---

(١) انظر العمدة ٢ : ٢٢٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا استثنينا الوصف الذى يكون جزءا من قصيدة ، فإنا نجد له أبياتا في الوصف ليست مرتبطة بغرض من الأغراض ، وإنما هي أبيات قُصد فيها الوصف قصدا ، وهي الأبيات التي سنجعلها موضوع حديثنا .

فمن الموضوعات التي تطالعنا في شعر الوصف عنده وتُمثّل تمسكه بالتراث الشعرى الجاهلى ، ذِكْر القفار والفلوات والبوادى مبينا شدة حرها نهارا وسوادها ليلا . في قوله :(١)

وهاجرةٍ تنجي من الصب جاره
قطعت حشاها بالعربدة الصَهبِ
إليك ومسْوَدٍّ من الليل دامس
اذا انتزع النوم العمي من الركْبِ

أما حيواناتها فذكر منها الابل والنياق . فناقته نشطه عند الرواح ، وهو الوقت الذى تكِلّ فيه الابل . وشبّه ظلّها الذى يلازمها بولدها الذى يمشي إلى جانبها ، وذلك من شدة سرعتها فقال :(٢)

ترى ظلها عند الرواح كأنه إلى دفّها رألٌ يخِبُّ جنيبُ (٣)

---

(١) الزهرة ٢ : ٢٣٧

(٢) الديوان : ٦٠

(٣) الرأل : ولد الناقة
والدَّف : الجنب من كل شيء
وجنيب : الذى يمشي بجانبها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشبه ناقته ، في صورة أخرى . بالسفينة العظيمة التي يصرّفها الربّان فقال :[١]

كأنّها قادس يصرّفها النـــو ... تي تحت الأمواج عن حَشَفِه[٢]

وله وصف للإبل وما لاقته من التعب لكثرة السفر ، فتغير لونها من البياض إلى السواد ، وقد دمي سنامها لثقل الحمولة وطول الرحلة ، قوله :[٣]

بدأنا عليها وهي عيس فأصبحت ... من السير جونا داميات الغوارب[٤]

وذكر الكلب واستقباله الضالين في الصحراء ليلا فينبح ليوقظ أصحابه فينحروا لاضيافهم ، ولو استطاع هذا الكلب حديثا لرحب بهم . فقال :[٥]

ومستنبح تستكشط الريح ثوبه ... ليسقط عنه وهو بالثوب معصم[٦]

---

(١) الفائق في غريب الحديث (للزمخشري) ١ : ٢٦٣ والغباب الزاخر ٩٨

(٢) القادس : السفينة العظيمة

(٣) والحشفة : صخرة تنبت في البحر . أو هي صخرة لينة حولها سهل من الارض

(٣) الديوان ٦٦

(٤) العيس : الابل البيضاء يخالط بياضها شيء من الشقرة

والجون : جمع جون وهو الاسود

(٥) أمالي المرتضى ٢ : ١١٣ والديوان ٢٠٠

(٦) المستنبح : الرجل التائه في الصحراء وينبح ليسمعه كلب في الليل فيرد عليه . وكانت العرب تزعم أن سارى الليل إذا أظلم عليه وادلهمّ فلم يستبنْ محجّة وضع وجهه على الأرض وعوى عواء الكلب لتسمع ذلك الصوت الكلاب إن كان الحي قريبا منه فتجيبه فيقصد الأبيات .

المعصم : الممسك بالشيء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عوى في سواد الليل بعد اعتسافه ... لينبح كلب او ليفزع نُوَّمُ (٧)

فجاوبه مستمع الصوت للقـــرى ... له مع إتيان المهيّن مطعم (٨)

يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلا ... يكلّمه من حبه وهو أعجـــم (٩)

ومن حيوانات الصحـــــراء التي ذكرها ابن هرمة ، الأســـد ، ذكره في بيتين همـــــا قوله : (١)

أسد في الغيل يحمي أشبـــلا ... قلما يعتاده فيه القـــرمُ

مُطرقٌ يكذب عن أقرانـــــه ... ينقض الكلم إذا الكلم التأمُ

ومن موضوعات الوصف عنده وصف الغيث والسحاب والمطر ، وجريان الماء في السيول ، فمن وصفـــه الغيث وماسببه من كثرة ماء سالت به الأودية ،وكثرة نبات أفادت منه الإبل العشار فوضعت ولدها كأتـــمّ مايكون خلقا ونضجا ، وأفادت منه الأرض زينة وبهجة قوله : (٢)

أم المخبرانّ الغيث قد وضعـت ... منه العشار تماما غير إخـــداج (٣)

شقت سوائفها بالفرش من ملـل ... إلى الأعارف من حـــــزن وأولاج (٤)

حتى كأن وجوه الأرض ملبســـة ... طرائفا من سدى عصب وديبـــاج (٥)

---

(١) الديوان ٢٠٠

(٢) الديوان ٧٧

(٣) العشار من النوق : هي التي مضى على حملها عشرة أشهر .
وأجدجت الناقة : ألقت ولدها قبل أوانه لغير تمام الأيام

(٤) شقت : انفطرت عن النبات ، والسوائف : جمع سائفة وهي أرض بين الرمل والجلد
والفرش : واد بين غميس الحمائم وملل .

وملل : واد ينحدر بين مكة والمدينة

والاولاج : ماغمض من الارض واحده ولجه

(٥) العصب : الثياب اليمانية ، وقيل هو الخرز يتخذ قلائد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وله أبيات في وصف سحابة متهادية ، كأنّ البرق يلمع في جنباتها ليلا ، فشبهه ببرص في عنق امرأة هندية سمراء ، ثم وصف ماسكبت هذه السحابة من ماء غزير غطّى وجه الأرض وأنزل الوعول من قمم الجبال يقول :[١]

ألم تأرق لضوء البر * ق في أسحمَ لمّاحِ
كأعناق نساء الهن * قد شيبت بأوضاح[٢]
تُؤام الودْق كالزاجـ * ـف يزجي خلف أطلاح[٣]
و سحّ الماء من مستحـ * ـلب بالماء سحّاحِ
وحطّ العصم يهويها * تجوج غير نشّاحِ
ثقال المشي كالسكرا * ن يمشي خلفه الصاحي

وله في وصف الليل والمطر فيه قوله :[٤]

ومصوّتٍ والليل يرمي رحله * وسواد عيّته بسارى القطقطِ[٥]

وذكر سيلا يجري فيه الماء :[٦]

ماحازت العفر من ثعالة فالرو * حاء منه مزعوبة المَسُلِ[٧]

---

(١) الحيوان ٦ : ١٢٦ والديوان ٨٨

(٢) التؤام : جمع توأم وهو المزدوج، والودْق : المطر

والأطلاح : جمع طلح وهو البعير الذى لحقه الكلال والإعياء

(٣) النشّاح : قليل الماء

(٤) العباب الزاخر (حرف الطاء) ١٦٧

(٥) القطقط : الصغير من القطر ، وقيل : صغار البرد الذى يتوهّم بردا أو مطرا

(٦) تهذيب اللغة (للازهرى) ٢ : ١٤٩ وشرح أشعار الهذليين ٣ : ١٤١ مع اختلاف الرواية في البيت

(٧) العفر : ناحية في المدينة

ومزعوبة : مملؤه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأفرد ابن هرمة مقطوعة للنجوم والكواكب ، ووصف هيئاتها وألوانها وحركاتها العجيبة ، ولعل هذه الأبيات تمثّل مظهرا من مظاهر الحضارة في شعره . غير أنه لم يستجب لكل مظاهر الحياة الجديدة . فلسنا نجد في شعره من دلالات تطور الحياة غير هذه الأبيات على العكس من غالبية شعراء القرن الثاني . فإنهم " لم يَدَعوا مظهرا من مظاهر الحياة المادية الجديدة التي تقع تحت أبصارهم إلاّ وصفوه في دقة وتفصيل فوصفوا المتنزهات وأنواع الازهار المختلفة والجسور والقصور ".(١)

وظل ابن هرمة مستجيبا للحياة القديمة مشدودا إليها ، ومقطوعته في النجوم والكواكب مليئة بالصور القديمة ، فبنات نعش في استدارتها تشبه بقرات الوحش خلفها أولادها . ونجم الجدى كالرجل الوحيد الذى لايجد من ينصره ويسانده،والعيوق الذى يبقى في السماء ولايغيب مع نجوم المجرّة الأخرى كالثور يُضرَب بدل البقر حين تعاف الشرب ، قال في ذلك :(٢)

وبنات نعش يستدرن كأنها
بقرات وحش خلفهن جآذرُ(٣)

والفرقدان كصاحبين تعاقدا
تالله تبرح أو تزول عتايرُ(٤)

والجدىُ كالرجل الذى ما إن له
عضد وليس له حليف ناصرُ

وتزاور العيوق عن مجداته
كالثور يُضْرَبُ حين عاف الباقرُ(٥)

---

(١) اتجاهات الشعرفي القرن الثاني ٤٥٨

(٢) الأزمنه والأمكنة ٢ : ٢٣٣ ، والديوان ١١٤

(٣) بنات نعش : سبعة كواكب تشاهد من جهة القطب الشمالي وهي بنات نعش الكبرى ، وبقربها سبعة كواكب أخرى تسمى بنات نعش الصغرى . جآذر : جمع جؤذر وهو ولد البقر الوحشية .

(٤) الفرقدان : نجمان قريبان من القطب الشمالي يُهتدى بهما

(٥) العيوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرة . والباقر : البقر وكانت العرب تضرب الثور بدلا من ضربها البقر حين تمتنع عن الشرب لتفزع هي فتشرب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل أوضح مايمثّل نزعة حب القديم والتمسك به عند ابن هرمة أبياته في وصف الأثافي والرماد : (١)

نبكي على زمن ونؤي هامـــدٍ
وجوانح سفع الخدود رواكـــدِ (٢)

عُرّين من عُقَدِ القدور وأهلهـا
فعكفن بعدهمُ بهابٍ لابـــدِ

فوقينه عبث الصبا فكأنـــه
دَنِفٌ يرنّ الدمع بين عوائـــدِ (٣)

ومن جميل قوله يصف حيا اجتمعوا ليلة سَمَر فاختلطت فيه أصوات الخيل والإبل والنســـــاء ينظرن إلى القوم خفية : (٤)

في حاضرٍ لجبٍ يالليل سامره
فيه الصواهل والرايات والعُكُرُ (٥)

وخُرّد كالمها حورٌ مدامعها
كأنها بين كُثبان النقا البَقَرُ (٦)

---

(١) ديوان المعاني ١ : ٢٨٩ والديوان ١٠٤

(٢) سفع : جمع أسفع وهو الأسود المائل إلى الحمرة

(٣) الدنف : المريض ، رنّ الدمع : بكى بصوت مرتفع

(٤) الأغاني ٦ : ١١٩ ، والديوان ١١٨

(٥) الحاضر : الحي العظيم ، والسامر : المتسامرون . والصواهل : جمع صاهل وصاهلة وهو الفرس
والعكر : القطعة من الإبل قيل مابين مئة إلى خمس مئة

(٦) الخُرّد : جمع خريدة . قصد بها الفتاة البكر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشيب والخمر والحكمـــــة :

ليس لابن هرمة من أبيات في ذكر الشيب إلا ثمانية عشر بيتا هي كل ماوصل إلينا من شعره المجمـوع.

وأرجّح أن تكون الأبيات التي وصلت إلينا في ذكر الشيب أجزاء من قصائد لا أبياتا مستقلة بذاتهـــا، ذلك أن بعض الأبيات تدل على أنه مرتبط بكلام سابق عليه ، فمن ذلك قوله :(١)

سوى أن رأين الشيب أبيض واضحـا

كأن الذي بي لم ينل أحدا قبلي

ومثله قوله :(٢)

فقلت إمّا تريني قد تخونني

دهرٌ أشت بهذا الناس مقلـــوبُ

قد روّج الشيب في رأسي غريبته

فما له عن شواة الرأس تغريـــبُ

والبيت فيه حوار كما يبدو ، فكانت قالت له قولا فردّ عليها بهذا البيت .

وقد ربط ابن هرمة ، شأنه شأن غيره من الشعراء بين الشباب والحب واللذة ، فالشباب عنده هو المتعة والحياة.والشيب هو الحرمان والذبول والموت ، صرّح بهذا في قوله :(٣)

ابيضّ ما اسودّ من فودية وارتجعـت

جليّة الصبح ماقد أغفل السحرُ

وللفتى مهلةٌ في الحب واسعـــة

مالم يمت في نواحي رأسه الشعرُ

قالت : مشيب وعشـــق رحتَ بينهمـا

وذاك فـــي ذاك ذنب ليس يُغتفـــــرُ

---

(١) الديوان ١٨٩

(٢) الديوان ٥٩

(٣) الديوان ١١٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يكون الشيب عنده مصدرا من مصادر التوبة والرجوع عن الخطأ كما في قولـــــه :[١]

أقصرت عن جهلي الأدنى وحلمني

زرع من الشيب بالفودين منقودُ

والشيب ينبغي أن يزجر صاحبه عن فعل السوء في قوله :[٢]

في الشيب زجر له لو كان ينزجر وبالغ منه لولا أنه حجرُ

اذ لا عذر للشيخ إن أخطأ . وغالبا ماتُلتمس الأعذار للشباب حين يخطئـــون :[٣]

عجبت جارتي لشيب علاني عَمْرك الله هل رأيت بديّا

إنما يُعذر الوليد ولا يعـ ـذر من عاش في الزمان عتيّا

والشيب عنده ، سبب في ابتعاد المرأة عنه وزهدها فيه :[٤]

لئن أيامنا أمست طـــوالا لقد كنا نعيش بها قصارا

رأيت الغانيات نفرن لمّا رأين الشيب ألبسني عذارا

وماينكرن من قمر منـير بُعَيْد شبابه لقي السّرارا

أما الخمر فليس بين أيدينا من شعره المجموع مايدل على أنه نظم فيها قصائد تدل على ولعـــــه بها ، على الرغم من أنه كان منهوما بالشراب لايكاد يصبر عنه .

وقد تكون له قصائد إلا أنها ضاعت فيما ضاع من شعره ورجح الدكتور حسين عطوان أن يكون شعـــر الخمر ضعف في كميته وكيفيته ضعفا واضحا عند الشعراء من مخضرمي الدولتين في مدن الحجاز .[٥]

---

(١) الديوان ٩٨

(٢) الديوان ١١٨

(٣) الديوان ٢٤٦

(٤) الديوان ١١٠

(٥) الشعر من مخضرمي الدولتين ٣٩٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتحدثت في الفصل الاول من هذه الدراسة أن ابن هرمة حُدّ في الخمر غير مرة ، وهدّده الحسن بن زيد ليضاعفن له العقوبة إن أُتي به سكران ، وعاتبته زوجته على إدمانه الخمر .

ويبدو أن ابن هرمة كان شاربا للخمر لا واصفا لها ، وقد وقفت له على أربعة أبيات افتخر فيها بكرمه ، وقمة الكرم عنده أن يسقي ضيوفه الخمر ، وهو حريص على أن يحسن الضيافة لندمائه ، فيسقيهم من أول الكأس لا من فضلته : (١)

صلّ اسقني كأسا ودع عنك ما أبى
وروّ عظاما قصرهن إلى بلى
فإن ندمي غير شكّ مكرّم لديّ
وعندي من هواهُ الذي ارتضى
ولست له من فضلة الكأس قائلا
لأُصرعة سكرا تحسّ وقد أبى
ولكن أُحيّيه وأكرم وجهه
وأشرب مابقّى وأسقيه ما اشتهى

ولسنا نقف له فيما وصل إلينا من شعره الخمري ، على صور ومعان جديدة ، بل هو يعرض بعض المعاني والصور الجاهلية المتداوله كما ذهب الدكتور عطوان (٢) ، من ذلك قوله مشبها رائحة فم صاحبة بالخمر . (٣)

كأنّ فاها لمن تؤنّسه ... بعد غبوب الرقاد والعلل
كأسٌ فلسطيّةٌ معتّقةٌ ... شيبتْ بماءٍ من مزنة السبل

---

(١) قطب السرور في أوصاف الخمر ١٢٠

(٢) الشعراء من مخضرمي الدولتين ٢٩٨

(٣) الديوان ١٨٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بنية القصيـــــدة :

تكاد القصيدة الجاهلية تكون المقياس والنموذج الذى اتخذه الشعراء فيما بعد ، واتبعـــوه في نظم قصائدهم ·

وابن هرمة أحد الشعراء الذين تمسكوا بنموذج القصيدة الجاهلية ، وتمثلوه منهاجا وبنـــاء، ذلك أنه عاش شطرا كبيرا من حياته في العصر الأموى "إذ كان الشعر الجاهلي هو التراث الأوحد للشعـــراء في العصر الأموى ، منه يتعلمون وعليه يتخرجون" (١) ·

وتعترض الدارس لشعر ابن هرمة بعض الصعوبات من أهمها صعوبة الوقوف على قصائد كاملـة تمثل نمط القصيدة عنده من وقوف على الأطلال ، ومقدمات غزلية ووصف للرحلة والظعائن ثم الانتقال إلـــى الموضوع الرئيسي فيها ·

ثم إن الدارس لشعره سيجد أبيات القصيدة الواحدة موزعة في أماكن مختلفة في المصـــادر ، لا يكاد يربطها بالأبيات الأخرى إلا الوزن والقافية وحركة الروى ، ولم يقم الدكتور المُعيبد ، جامـــع ديوان ابن هرمة ، بلمّ شعث القصيدة الواحدة في نسق واحد ، وإنما ترك كل بيت أو مجموعة أبيات فـــي مقطوعات مستقلة · غير أننا نستطيع أن نقيم دراستنا الفنية لشعره على ما وصل إلينا من أشباه القصائد ·

وسأتناول في الدراسة الفنية للقصيدة عنده المقدمة وحسن التخلص وطول القصيدة والخاتمة·

أما مقدمات القصائد فقد تنوعت موضوعاتها ، فمنها ما كان في الوقوف على الأطلال ومنها ما كان في الغزل ، وآخر تناول الشيب والطيف·

---

(١) في الشعر الاسلامي والأموى ٣١٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولست أشك في أن ابن هرمة اتصل بالتراث الشعري الجاهلي ، وحفظ منه الكثير ثم تمثّله تمثّلا واضحا .

وأوّل دلالات هذا التمثل مقدمات قصائده ، إذ يغلب عليها المقدمات الطللية ، فقد بلغ عددها عشرين مقدمة تمثل عشرين قصيدة ، غير أن جزءاً كبيرا من هذه القصائد لم يصل إلينا ، ولم يبق منها إلا هذه المقدمات التي قد تبلغ بيتا أو أبياتا معدودات . وبعض هذه المقدمات جاء مرتبطا بموضوع القصيدة الرئيسي ، ولكن يبدو أن مقدمات قصائده سقطت منها أبيات كثيرة . كما سقط من موضوعات قصائده أبيات كثيرة أيضا .

ومن أمثلة المقدمات الطللية عنده وقوفه على الديار بعد تغيّر رسمها بفعل الرياح والأمطار وما بعثه هذا الوقوف في نفسه من الحرقة والألم ، قوله [١] :

حيّ الديار بمنشد فالمنتضى ... فالهضب هضب رواوتين إلى لأى [٢]

لعب الزمان بها فغيّر رسمها ... وخريقه يُغتال من قِبَل الصّبا

فكأنها بَلِيَتْ وجوه عراصها ... فبكيتُ من جزع لما كشف البلى

وذكر في مقدمة أخرى رحيل صاحبته إلى مكان آخر بعيد وأنهما عز عليهما اللقاء [٣] :

غدا بل راح واطّرح الخلاجا ... ولما يقضِ من أسماء حاجا

وكيف لقاؤنا بعفاريات ... وقد قطعت ظعائنها النباجا [٤]

يسوق بها الحداة مشرقات ... رواحاً بالتنوفة وادّلاجا

على أحداج مكرمة عواف ... تربعت اللقيطة أو سواجا [٥]

---

(٢) منشد : موضع بين رضوى وبين الساحل ، وهو جبل من حمراء المدينة والمنتصنى ورواوه : واديان بين الفرع والمدينة .
لأى : من نواحي المدينة .

(٣) الديوان ٧٥

(٤) العفاريات : واد بنواحي العقيق ، والنباح : ذكر ياقوت عدة مواضع بهذا الاسم في الجزيرة القريبة .

(٥) اللقيطة : قيل ماء لغني بينها وبين (مذعا) يومان الا قليلا . وسواج اسم لعدة جبال في الجزيرة العربية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووقف على بعضها وسألها عن أهلها فلم تطق جوابا[1] :

أفي طلل قفر تحمّل آهلُـــهْ وقفتُ وماء العين ينهلّ هاملُـــهْ

تسائلُ عن سلمى سفاها وقد نأت

بسلمى نوى شحط فكيف تسائلُـــهْ

وترجو ، ولم ينطق وليس بناطـــق

جوابا محيلٌ قد تحمّل آهلُـــــهْ[2]

ودعا لديار صاحبته بالسقيا في مثل قولـــــه[3] :

أدار سلمى بين يَيّنٍ فمشعـــــر أبيني فما استُخبرتِ إلّا لتُخبـــري[4]

أبيني حبتك البارقات بوبلـــا لنا منسما عن آل سلمى وشغفـــرِ[5]

---

(١) الديوان ١٧٤ وانظر أيضا ص ١٠١ ، ١٥٥ ، ٢٠٦

(٢) المحيل : الذى أتت عليه أحوال فغيّرته

(٣) الديوان ١٢١

(٤) يَيّن : ناحية من أعراض المدينة على بريد منها ، وهي منازل أسلم بن خزاعة ، ومشعر : مـــاء لجهينـــة.

(٥) البارقات : جمع بارقة وهي سحابة ذات برق ، والمنسم : العلامة أو الطريق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما مقدماته الغزلية فأتت في المرتبة الثانية ، إذ بلغ عددها في ديوانه عشر مقدمات فقط ، ومما ذكره فيها وصفه لصاحبته بالبخل في الوصال في قوله[١] :

إن سُليمى والله يكلؤها ... ضنّت بشيءٍ ما كان يرزؤها[٢]

وعوّدتني فيما تعوّدني ... أظماء وِرْد ما كنت أجزؤها[٣]

وبكى من أجلها في قوله[٤]

ألا إنّ سلمى اليوم جذّت قوى الحبلِ

وأرضت بنا الأعداء من غير ما ذحلِ[٥]

كأن لم تجاورنا بأكناف مشعرٍ

وأخزم أو خيْفِ الحُميراء ذى النخلِ[٦]

فان تبكها يوما تبكّ بعولة

على لُطُفٍ في جنب سلمى ولا بذْلِ

وتمنى عودة أيامها معه وأن يجمعه بها مكان واحد[٧] :

هل ما مضى منك يا أسماء مردودُ

أم هل تقضّت مع الوصل المواعيدُ

أم هل لياليك ذات البين عائدة

أيام يجمعنا خلص فبلدودْ[٨]

---

(١) الديوان ٤٨ وانظر أيضا ٢١٦

(٢) يكلؤها : يحرسها ، وضنّت : بخلت ، ويرزؤها : ينقصها

(٣) الأظماء : جمع ظمأ وأراد أنها تصله مرة وتقطعه أخرى ، وأجزؤها :أى اجتزى منها كما تجتزىء الظباء بأكل الرطب من الكلأ فلا تشرب الماء.

(٤) الديوان ١٨٨ وانظرا أيضا ١٤٣ ، ٢٠٩

(٥) الذحل : الثأر

(٦) خيْف الحميراء : في أرض الحجاز ، وأخزم : جبل قرب المدينة

(٧) الديوان ٩٧ ، وأنظر ايضا ١٤٣

(٨) خلص موضع بين مكة والمدينة فيه قرى ونخل ، وبلدود :موضع من نواحي المدينة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وله مقدمة واحدة في الشوق مدح بها السريّ بن عبد الله في اليمامة يقول فيها (١) :

إنّ الحمامة في نخل ابن هـــدّاجِ هاجت صبابة عاني القلب مهتـــاجِ

وله مقدمة أخرى في الشيب وهي قولـــه (٢) :

في الشيب زجر له لو كان ينزجـــر وبالغٌ منه لولا أنه حَجَـــــرُ

وثمة شئ آخر يتعلق بمقدمة القصيدة وهو الحديث عن مطلعها ، واعتبر النقاد المطلـــع مفتاحا للقصيدة (٣) ، واشترطوا فيه شروطا منها أن يكون بارعا حسنا بديعا فيه تنبيه وإيقاظ لنفـــس السامع ومدعاة إلى الإصغاء والاستماع إلى ما بعده (٤) . ومنها أن يكون المطلع ملائما لموضوع القصيـــدة ومما قاله حازم القرطاجني في هذا الصدد" ... وملاك الأمر في جميع ذلك أن يكون المفتتح مناسبـــا لمقصد المتكلم من جميع جهاته ، فإذا كان مقصده الفخر كان الوجه أن يعتمد من الألفـــاظ والمعاني والأسلوب ما يكون فيه بهاء وتفخيم واذا كان المقصد التشبيب كان الوجه أن يعتمد منها ما يكـــون فيه رقة وعذوبـــــة " (٥)

أما مطالع قصائد ابن هرمة فتمثلت فيها شروط النقاد القدامى إذ الحسن والبراعة صفـــة واضحة من صفات بعض مطالعه ، يشهد بذلك قصيدته التي اعتذر فيها إلى عبد الواحد بن سليمان حيـــن وليّ المدينة بعد أن كان عُزل عنها ، وعُيّن عليها غيره ، فمدحه ابن هرمة ، فما لبث أن عُزل الوالـــي الجديد وأعيد عبد الواحد . ومقدمة القصيدة تظهر هذه البراعة في الاعتذار بعد أن تقلّب في مواقفـــه من عبد الواحد ومال إلى الوالي الجديد ، فعبّر عن ذلك تعبيرا فنيا جميلا تمثّل في معاتبته صديقا لـــه قطع علاقته بصاحبته سلمى ليرتبط بفتاة أخرى اسمها هند طامعا منها بمزيد من الوصال ولكنه لم يحـــظ منها بشئ ، فندم على ذلك حين خسر وصال الاثنتين.

---

(١) الديوان ٧٦
(٢) الديوان ١١٨
(٣) انظر العمدة ١ : ٢١٧
(٤) كتاب الصناعتين ٤٣٥
(٥) منهاج البلغاء ٣١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال في ذلك[١] :

صَرَمْتَ حبائلا من حب سلمى ... لهندٍ ما عمدْتَ لمستراحِ
فإنك إن تُقِمْ لا تلق هندا ... وان ترحل فقلبك غير صاحِ
يظل نهاره يهذي بهندٍ ... ويأرق ليله حتى الصباح

وأما مطابقة المطلع لموضوع القصيدة من الجزالة والفخامة في موضوع الفخر والمدح فتمثله هذه المقدمة التي تميّزت بكثرة استعماله لحرف الطاء وهو الملائم للفخامة والقوة التي سيعبر عنها موضوع الفخر في القصيدة[٢].

طرقتْ عُلَيّةَ صحبتي وركابي ... أهلا بطيف عليه المنتابِ[٣]
طرقت وقد خفق العتوم رحالنا ... بتنوفة يهماء ذات خرابِ[٤]
هلاّ سألتِ إذا الكواكب أمحلت ... وعفت مطيّة طالب الأسبابِ

وتستمر هذه الجزالة لتلائم الموضوع الرئيسي للقصيدة ، حيث استعمل المزيد من الحروف القوية في مخارجها لتدل على قوة صاحبها. تمثّل هذا في استعماله لحروف الدال والطاء والصاد والضاد في قوله[٥].

وغدا الرعاة معطّلي أقدامهم ... لثعالب بشوونها وذئابِ
ومكاشح لولاك أصبح جانحا ... للسّلم يرقي حيّتي وضبابي[٦]
هل ذُمّ من أحدٍ أراد خليعتي ... أم هل تعدوا ساحتي وجنابي

---

(١) الديوان ٨٥
(٢) أخبار أبي القاسم الزجاجي ٤٣
(٣) المنتاب : الذي يأتي مرة بعد أخرى
(٤) اليهماء : الفلاة التي لا ماء فيها ولا يهتدى إلى طرقها
(٥) المصدر السابق ٤٣
(٦) المكاشح : العدو

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أمثلة الرقة والعذوبة في مطالعة قوله متغزلا ، وقد استعمل منه الحروف السهلة المخارج اللينة في النطق متمثلة بحرف النون المتكرر ست مرات في بيتين إضافة لحرف السين والهاء والشين [(١)] .

أفاطم إنّ النأي يُسْلي ذوى الهـــوى

ونأيك عني زاد قلبي بكم وجـــدا

أرى حرجا ما نلت من ودّ غيركـــم

ونافلة ما نلت من ودّكم رُشـــدا

ومن شروط المطلع أيضا أن يكون مصرّعا ، والتصريع " تصيير مقطع المصراع الأول من البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها [(٢)] ".

والتصريع عند النقاد دليل على قدرة الشاعر وسعة فصاحته واقتدار بلاغته [(٣)] ، ونوّه بـــوا بقيمته في مطلع القصيدة لأنه "يميّز بين الابتداء وغيره ، ويُفهم منه ، قبل تمام البيت رويّ القصيدة [(٤)] ".

والتزم ابن هرمة بالتصريع في كثير من مقدماته التزاما دقيقا ، ومن أمثلة مطالعه المصرعة قولـــه [(٥)] :

قضى وَطَرا من حاجة فتروّحـــا

على أنه لم يَنْسَ سلمى وَبَيْدحـــا

وقولـــه [(٦)] :

هل ما مضى منك يا أسماء مـــردودُ

أم هل تقضّت مع الوصل المواعيـــدُ

---

(١) الديوان ٩٥

(٢) نقد الشعر ٥١

(٣) انظر العمدة ١ : ١٧٤

(٤) بناء القصيدة ١٧٤

(٥) الديوان ٧٨

(٦) الديوان ٩٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأمثلة على ذلك في ديوانه كثيرة.

ولمّا كانت القصيدة العربية متعددة الاغراض في الغالب فقد اشترط النقاد على الشعراء حسن الخروج من جزء إلى جزء خروجا يُشعر بالتحام الأجزاء وتماسكها ، وهذا ما أطلقوا عليه "حسن التخلص" وعرّفه ابن حجة الحموي بأنه "استطراد الشاعر المتمكن من معنى لآخر يتعلق بممدوحه بتخلّص سهل يختلسه اختلاسا رشيقا ، دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الاول إلا وقد وقع في الثاني لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما (١).

ويستنتج من قول الحموي أن النقاد لم يحدّدوا الموضوعات التي يتخلص منها إلى غيرها ، وهذا ما قاله أيضا ابن رشيق "وأولى الشعر بأن يسمى تخلصا ما تخلّص فيه الشاعر من معنى إلى معنى (٢).

وطريقة القدماء في التخلص من موضوع الى آخر قولهم (دع ذا) أو (عدّ عن ذا) وقد يتخلصون بـ (إنّ) المشددة.

ويبدو أن ابن هرمة أخذ بطريقة الشعراء القدامى في التخلص ، فمن أمثلة تخلصه من المقدمة الطللية الى المدح بـ (دع ذا) قوله يمدح السري بن عبد الله (٣).

عوجا نحيي الطلول بالكثب .....

دع عنك سلمى وقل محبّرة ... لماجد الجد طيّب النسب

الواهب الخيل في أعنتها ... والوصفاء الحسان كالذهب

---

(١) خزانة الادب ١٤٩

(٢) العمدة ١ : ٢٣٧

(٣) الديوان ٦٨

(٤) حبّر الشعر : حسّنه وأجاده

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنه قوله يمدح عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر (١).

فإلاّ تواتِ اليوم سلمى فريمـــــا
شربنا بحوض اللهو غير المر نـّـــقِ
فدعها فقد أُعذرت في ذكر وصلهـا
وأجريت فيها شأو غربٍ ومشرقِ
ولكن لعبد الله فانطق بمدحـــــة
تجيرك من عسر الزمان المطبـّـــــقِ

وتخلّص من الغزل المدح بـ (إن) المشددة في قوله (٢)

أَرِقّتني تلومني أم بكـــــــــر ... بعد هدء واللوم قد يؤذينـــــي
قلت لمّا هبّت تحذّرني الدهـــر ... دعي اللوم عنك واستيقينـــــي
إن ذا الجود والمكارم إبراهيـــم ... يعينه كلّ ما يعنينـــــــــي

وإذا كان التخلص بغير تلك الأدوات سُمّي اقتضابا والاقتضاب "أن يقطع الشاعر كلامـــــه ، ويستأنف كلاما غيره من مدح أو هجاء ، ولا يكون للثاني علقة بالأول (٣).

---

(١) الديوان ١٥٩

وتخلص ابن هرمة من الغزل الى المدح بقوله (د ع)

في القطعة ٢٤٧ صفحة ٢٢٢ بيت ١٣

(٢) الديوان ٢٤٠

(٣) بناء القصيدة العربية ٢٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من ذلك قول ابن هرمة يمدح السرى بن عبد الله ، وقد بدأ القصيدة بمقدمة في الشوق ثم ذكر بعض الأماكن وما أصابها من مطر غيّر ملامحها فاكتست أرضها عشبا رائعا،ثم تذكّر ابنه (عبيا) وما هيّجه إليه من شوق في بُعْده عنه ثم ذكر رلو يته ابن زبنج وبكاءه في الليل وانتقل بعدها فجأة لمدح السرى (١) :

أألحمافة في نخل ابن هـدّاج	هاجت صبابة عاني القلب مهتاج
أم المخبّر أن الغيث قد وضعت	منه العشار تماما غير إخداج (٢)
شقّت سوائقها بالفرش من ملل	إلى الأعارف من حَزْن وأولاج (٣)
حتّى كأنّ وجوه الأرض ملبسة	طرائفا من سدى عصب وديباج
هاج العبي إلى شوق فهيّجني	نعجت من قلب ماضٍ غير منعاج
وابن الزينج مما قد يهيّجني	بخلق منتحب بالليل نشّاج
أما السّريّ فإني سوف أمدحه	ما المادح الذاكر الإحسان كالهاجي

ولم يكن اهتمام النقاد بخاتمة القصيدة أقلّ من اهتمامهم بمطلعها ، ولئن كان المطلع عندهم مفتاحا لها ، فقد اعتبروا خاتمتها قفلا :

واشترطوا في الخاتمة أن تكون مناسبة للغرض الرئيسي ، سارّاً في المديح والتهاني وحزينا في الرثاء والتعازى (٤) . وأن يكون أجود بيت في القصيدة (٥) وأن يشتمل على حكمة أو مثل سائر (٦) .

---

(١) الديوان ٧٧ وأنظر أمثلة ذلك ايضا ص ٨٥ ، ١٧٤ .

(٢) العشار من النوق : هي التي مضى لحملها عشرة أشهر أوْ ثمانية
وأخرجت الناقة : ألقت ولدها قبل أوانه لغير تمام الأيام وإن كان تام الخلق.

(٣) شقت : أنبتت ، والسوائف : أراض بين الرمل والجلد ، والفرش وملل : واديان بين مكة والمدينة والأولاج : ما غمض من الارض .

(٤) منهاج البلغاء : ٣٠٦

(٥) العمدة ١ : ٢٣٩

(٦) كتاب الصناعتين ٤٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو أن يكون تشبيها حسنا[1] .

وليس بين أيدينا من شعر ابن هرمة ما يمثل قصائد كاملة لها نهايات محددة فنحكم عليها ، فقد يكون آخر بيت في المجموعة لا يمثل النهاية الحقيقية للقصيدة ، ولذا فان من الصعوبة أن نحكم على نهايات قصائده حكما دقيقا ، غير أن له أبياتا يمكن أن تكون خاتمة لبعض القصائده ، يتمثّل فيها شئ من شروط النقاد القدامى من ذلك قوله[2] :

وكلّ نفس على سلامتها يميتها الله ثم يبرؤها

ومنها قوله في مدح السرى بن عبد الله[3]

كمْ من يدٍ لك في الأقوام قد سلفت عند امرئٍ ذي غنى أو عند محتاج

وأما طول القصيدة عنده فلست أستطيع الحكم عليه ، وقد ذكرت سبب ذلك غير مرة ، ولكنّ بعض ما وصل إلينا من قصائده يدل على أنها كانت متوسطه الطول ، حيث بلغت إحداها تسعة عشر بيتا . والنقص فيها واضح بيّن لأن أبياتها متناثرة في بطون المصادر . وقصيدته في عبد الواحد بن سليمان تنبئ أنها من المتوسطات في الطول ، فقد بلغت سبعة عشر بيتا في المجموع من أشعاره ، وأظن أنها كانت أكثر من ذلك غير أنها سقطت بعض أبياتها .

وله قصيدتان أخريان تدلان على طول فيهما ، إحداهما في مدح الحسن بن زيد[4] ، إذ بلغت سبعة وعشرين بيتا والأخرى في مدح محمد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكية[5] اذ بلغت ثلاثة وعشرين بيتا .

---

(١) كتاب الصناعتين ٤٤٤

(٢) الديوان ٥٢

(٣) الديوان ٧٨

(٤) انظر الديوان ٢٢٩

(٥) انظر الديوان ٢٣٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مع احتمال أن جزءا كبيرا من أبيات هاتين القصدتين قد ضاع . ويغلب على قصائد ابن هرمة أنها تناولت موضوعا واحدا رئيسيا غير المقدمة الطللية أو الغزلية ، وهذا الموضوع إما أن يكون مدحا أو فخرا أو هجاء أو رثاء ، إلا في قصيدة واحدة جمع فيها بين التعزية بموت الامام ابراهيم بن محمد ومدح أبي العباس السفاح منها قوله[1] :

أتاني وأهلي اللوى فوق مشعرٍ ... وقد زجر الليل النجوم فولّتِ

وفاة ابن عباس وصي محمد ... فأبت فراشي حسرة ما تجلّتِ

فإن تكُ أحداث المنايا اختر منه ... فقد أعظمت رزءا به وأجلّتِ

وقد كان إبراهيم مولى خلافة ... بها خضعت صعب الرقاب وذلّتِ

وأوصى لعبد الله بالعهد بعده ... خلافة حقٍ لا أمانيّ ضلّتِ

فشمّر عبد الله لما تجرّدت ... لواقح من حربٍ زحول فجلّتِ

---

(١) الديوان ٦٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأمثلة الجزالة في الألفاظ مع وضوح المعنى ، فأكثرُ ما اتضحت في أبيات المديح ، من ذلك مدحه لعبد الواحد بن سليمان : (١)

وناجية صادق وخدهـــــا ... رَكِبتُ بها حدّ إزعاجها (٢)

وكلّفتها طامسات الصـــوى ... بتجهيزها ثم إدلاجها (٣)

إلى مَلِكٍ لا إلى سوقـــــة ... كَسَتْهُ الملوك ذرى تاجها (٤)

تحل الوفود بأبوابـــــه ... فتلقى الغنى قبل إرتاجها (٥)

ولعل أوضح ما يمثل الجزالة مع وضوح المعنى أبياته في مدح عبد الله بن معاوية ومنها (٦)

أُحِبُّ مدحا أبا معاوية الما * ... جد لا تَلْقَهُ حصوراً عيّيا

بل كريما يرتاح للمجد بسّا * ... ما إذا هزّه السؤال حيّيا

إن لي عنده وإن رغم الأعـ * ... ـدا حظّا من نفسه وقفيّا (٧)

إن أمت تبقَ مدحتي وإخائي ... وثنائي من الحياة عَلِيّا

والجزالة مع الغموض تمثلها أبيات متفرقات استشهد بها أصحاب المعاجم وعلماء اللغة من ذلك قوله (٨) :

فاهدر مكانك مطوّيا على حنـــق

هَدّر المعنّى على أذواده السُّـــدُم (٩)

---

(١) الحماسة البصرية ١ : ١٨٩ وانظر أمثلة ذلك في الديوان

ص ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٦ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ .

(٢) الناجية : الناقة السريعة ، سُميت بذلك لأنها تنجي بسرعتها صاحبها

والوخدْ : ضرب من السير السريع .

(٣) طامسات الصوى : علامات الطريق المطموسة

والتهجير : سير الهاجرة أي الظهيرة .

(٤) ذرى التاج : أرفعه وأشرفه

(٥) الارتاج : الاغلاق

(٦) الديوان ٢٤٤

(٧) قنيا : إثرة

(٨) أساس البلاغه (نخس)

(٩) المعنّى : الفحل اللئيم الذى إذا هاج رُبط في الحظيرة . والسدم : الهائج ، الاذواد : جمع ذود وهو القطيع من الابل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله أيضا يصف سيـــلا (١)

ما حازت العفر من ثعالة فالرّ وْ * حاء منه مزعوبة المســـــل (٢)

وقوله يصف ناقـــــة (٣)

كأنها قادس يصرّفها النـــو * تي تحت الامواج عن حَشَفـــهْ (٤)

ويمكن تفسير هذه الظاهرة (٥) في شعر ابن هرمة إلى اختلاف الأسلوب في الموضوع الشعرى ، فشعـــر الغزل يحتاج إلى البساطة والرقة ، وشعر المديح يحتاج إلى الجزالة . وقد أشار بعض النقاد القدامى إلى أن لكل موضوع شعرى أسلوبا خاصا ، فشعر الشاعر لنفسه ومراده وأمور ذاته من فرح وغزل ومكاتبة ومجون وخمريّـــة وما أشبه ذلك غير شعره في قصائد الحفل التي يقوم بها بين السماطين (٦).

وأما تفسير ظاهرة الجزالة مع صعوبة المعنى فيرجع إلى أن تلك الأبيات لم تكن ترتبط بشيء من أمـــوره الخاصة ، ولم يكن له فيها مطمع مادى ، إذ يبدو أنها قيلت في وصف أشياء مادية لا يربطه بها رابط ، فوصـــف سفينة وذكر ناقة وتحدّث عن الأتاقي .

وأظن أن ابن هرمة كان يتعمد نظم تلك الابيات على هذا الوجه من صعوبة بعض المفردات ، لأن له منافسين من الشعراء والنقاد ممن كانوا يعيبون عليه قدرته الشعرية .

---

(١) شرح أشعار الهذليين ٣ : ١٤١ وتهذيب اللغة ٢ : ١٤٩

(٢) العفر : ناحية بالمدينة ، ومزعوبة : مملوءة

(٣) الفائق في غريب الحديث ١ : ٢٦٣ والعباب الزاخر (حرف الفاء) ٩٨

(٤) القادس : السفينة العظيمة ، والنوتي : ربانها . والحشفة : صخرة تنبت في البحر ، وقيل هي صخرة رخـــوة حولها سهل من الأرض .

(٥) ظاهرة وضوح المعنى وسهولة الألفاظ ، ووضوح المعنى وجزالة الالفاظ في بعض شعـــــره .

(٦) العمدة ١ : ١٩٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحديث عن اللفظة الشعرية وارتباطها بالمعنى يقودنا إلى الحديث عن الصنعة عنده ، اذ يعتبر ابن هرمة من الشعراء المحكّكين ، وأصحاب الصنعة المنقحين لأشعارهم . وقد اعترف هو - نفسه - بهذا في شعر له يقول :(١)

أغزو تلادا من الأشعار أُصلحهـــا
صلاح ذى الحزم للحاجات والرتـــــل (٢)

أحذو قصائد للراويين باقيـــــة
كأنها بينهم موشية الحلـــــل

إمّا نسيبا وإمّا مدح ذى فخـــر
يبقى وإمّا ادّخارا من ذوى خطـــل

ومن نماذج الصنعة التي تعمدها ابن هرمة في شعره قصيدتان الاولى : همزيته المشهورة ومطلعها :(٣)

إن سليمى والله يكلؤهـــا
ضنت بشيء ما كان يرزؤهـــا

نظمها حين قيل له " إن قريشا لا تهمز ، فقال : لأقولن قصيدة أهمزها كلها بلسان قريش "(٤)وبلغت القصيدة تسعة عشر بيتا .

وعلّق يوهان فك على هذا النوع من القصائد فقال " والأشعار على قافية الهمزة ، ما لم تكن همـــزة الممدود ، جد نادرة . والأمثلة القليلة على ذلك النوع تبدو فيها الصنعة كثيرا أو قليلا " (٥) .

---

(١) الديوان ١٨٤

(٢) التلاد والتليد : بمعنى القديم من المال ومن كل شيء ، وعكسه الطارف
والرتل : الطيب من كل شيء

(٣) شرح شواهد المغنى ٢ : ٨٢٦

(٤) المصدر نفسه ٢: ٨٢٦

(٥) العربية : دراسات في اللغة واللهجات والاساليب ١٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتحت عنوان (القصائد المهوزات) لم يذكر ابن النديم إلا قصيدتين إحداهما لابن هرمة والأخرى لحفص بن أبي النعمان الأموي منها قوله[٢] :

يا سَلْمُ كم قد لفأت عاذلة

لم أك لولا رضاك ألفأها

والثانية[٣] : ما ذكره أبو الفرج من أن لابن هرمة "قصيدة نحوا من أربعين بيتا ليس فيها حرف يعجم إلا ما اصطلح عليه الكتّاب من تصييرهم مكان الف باء، مثل (أعلى) فإنها باللفظ بالألف وتكتب بالياء"[٤]

والقصيدة في رواية الأصمعي ويعقوب ابن السكّيت اثنا عشر بيتا[٥] ومنها قوله[٦] :

أرسم سودة محل دارس الطلل معطّل ردّه الأحوال كالحلل[٧]

لمّا رأى أهلها سدّوا مطالعها رام الصدود وعاد الود كالعمل[٨]

---

(١) العربية : دراسات في اللغة واللهجات والاساليب ١٢٠

(٢) كتاب الافعال (للسرقطي) ٢ : ٤٣٤

(٣) مما تمثل الصنعة في شعره

(٤) الاغاني ٤ : ٣٧٨

(٥) المصدر نفسه : ٤ : ٣٧٨ وعنه نقل صاحب الوافي بالوفيات ٦ : ٥٩

(٦) الأغاني ٤ : ٣٧٨

(٧) المحل : القفر . والمعطل : المهجور المتغير

(٨) سدوا : أغلقوا ، والعمل : ما ذاب من الحديد ، ولعله يريد انه لما حيل بينه وبينها عانى من محبته لها ما يعانيه متجرع هذا الشراب (شعر ابن هرمة القرشي).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعاد ودّك داء لا دواء لـــه

ولو دعاك طوال الدهر للرحـــل

ومما يدخل في باب الصنعة استعماله للمحسنات اللفظية من جناس وطباق ، ومما تجدر ملاحظتـــه أن ابن هرمة لم يكثر من استعمال الجناس اذ لم تزد أبياته فيه على الأربعة .

فقد جانس بين قوله (بين) الظرفية) و (بين) اسم موضع في قوله (١) :

أدار سُليمَى (بين) (بين) فمنعـــر

أبيني مما استخبرت إلا لتخبـــرى

وجانس أيضا بين (دواديا) و (أداويا) في قوله (٢)

ودواديا وأداويا لم يعفهـــا

ما مرّ من مطر وعام مقحـــط

وجانس بين (المصطفون) و (المصفّون) فقال (٤) :

سليل ملوك سبعة قد تتابعـــوا

هم المصطفون والمصفون بالكـــرم

وأما الطباق عنده فكثير إذا ما قون بأبيات الجناس ، فقد جاوزت أبياته فيه ستة وثلاثيـــن بيتا (٥) . ومن أمثلتـــه :

---

(١) الديوان ١٢١

(٢) الديوان ١٣٨

(٣) الدوادى : جمع دوادة وهي أثر الأرجوحة
والأداوى : جمع أداه وهي قربة الماء

(٤) الديوان ٢٠٠

(٥) انظر الديوان مثلا بيت ٣ ص ٥٠ ، ٧ص٥٢ ، ٨ص٥٢ ، ١ص٥٥ ، ٣ص٥٦ ، ١٦ص٥٧ ، ٣ص٦٨ ، ٣ص ٧٥ ، ٢ص٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكن المنية حبل قـــــدر تعلّق بالعزيز والذليـــــــل (١)

وقولـــــه (٢) :

وبالمشاعر أعلاها وأسفلهـــا وبيت رب بأجيادين معمـــــــور

وقولـــــه أيضا (٣)

وموقد نار لم يجد مطفئا لهـا أتاك فأطفأت الذى كان أوقـــــدا

وعلى الرغم من هذه الصنعة الا أنه لم ينج من مآخذ سجلها عليه النقاد والعلماء ، منها تناقـــض المعنى في البيت ، قال المرزباني في بيت ابن هرمة :

تراه إذا ما أبصر الضيف كلبـــه

يكلمه من حبه وهو أعجـــــــم

من أن ابن هرمة "أدنى الكلب في قوله" إنه يكلمه "ثم أعدمه إياه عند قوله " إنه أعجم (٤) :

ومنها مآخذ نحوية كجزمه الفعل (تنبش) من غير أن يسبقه حرف جزم في قوله (٥) :

سألا عن الجود والمعروف أين همـــا

فقلت إنهما ما تامع الحكـــــــم

ماذا بمنبج لو تنبش مقابرهـــــــا

من التهدم بالمعروف والكـــــرم

---

(١) شرح أبيات سيبوية ١ : ١٨٩

(٢) الديوان ١٣٠

(٣) الديوان ٩٤

(٤) الموشح ٣٤٩ ونقد الشعر ٢٣٨ تحت عنوان (ومن المتناقض قول ابن هرمة).

(٥) الموشح ٣٥١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال ابن دريد "فسألت أبا حاتم عن قوله "لو تُنبشّ" لِمَ جزم فقال : قال قوم من النحويين : كراهة لكثرة الحركات ، ولو قال (نبشت مقابرها) استراح من تنبش وكان كلاما فصيحا[1]" .

ومن المآخذ على بعد التشبيه ما ذكره ابن طباطبا من أنه "ينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره وتنسيق أبياته ، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه ، فيلائم بينها لتنتظم له معانيها ، ويتصل كلامه فيها كقول ابن هرمة:

وإني وتركي ندى الأكرمين ... وقدحي بكفيّ زندا شحاحا
كتاركة بيضها بالعراء ... وملبسة بيض أخرى جناحا

وكقول الفرزدق :

وإنك اذ تهجو تميما وترتشي
سرابيل قيس أو سحوق العمائم
كمهريق ماء بالفلاة وغرّه
سراب أذاعته رياح السمائم

كان يجب أن يكون بيت لابن هرمة مع بيت للفرزدق وبيت للفرزدق مع بيت لابن هرمة ، فيقال

وإني وتركي ندى الأكرمين ... وقدحي بكفيّ زندا شحاحا
كمهريق ماء بالفلاة وغرّه ... سراب أذاعته رياح السمائم

ويقال:

فإنك إذ تهجو تميما وترتشي ... سرابيل قيس أو سحوق العمائم
كتاركة بيضها بالعراء ... وملبسة بيض أخرى جناحا

وحتى يصح التشبيه للشاعرين جميعا وإلا كان تشبيها بعيدا غير واقع موقعه[2] .

---

(١) الموشح ٣٥١

(٢) عيار الشعر ١٢٤ ، وانظر الموشح ٣٧١ ، وفي الاغاني ٩ : ٤٣ ، ٤٤
أن أبا نواس قال "شاعران قالا بيتين وضعا التشبيه فيهما في غير موضعه ، فلو أخذ البيت الثاني من شعر أحدهما فجعل مع بيت الآخر ، وأخذ بيت ذاك فجعل مع هذا لصار متفقا معنى وتشبيها" .
ثم ذكر الابيات ولكنه جعل البيتين لجرير لا للفرزدق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللغـــة :

اشترط النقاد القدامى في لغة الشعر شروطا لا ينبغي للشاعر أن يعدوها أو يستعمل غيرها في قصائده إلا أن يكون الخروج عليها ضرورة شعرية أو على سبيل الخطرة .(١)

ومن تلك الشروط أن يكون الكلام سهلا جزلا لايشوبه من كلام العامة شيء ولاتدخله الألفاظ الحوشية .

يقول ابن طباطبا في ذلك " وكذلك الشاعر إذا أسس شعره على أن يأتي فيه بالكلام البدوى الفصيح لم يخلط به الحضرى المولد ، وإذا أتى بلفظة غريبة أتبعها أخوانها . وكذلك إذا سهّل ألفاظه لم يخلط بها الالفاظ الوحشية النافرة الصعبة القيادة ".(٢)

وأحسب أن ابن طباطبا أراد بهذا الشرط تجانس الألفاظ في البيت الواحد وفي القصيدة كاملة .

وتجانس الالفاظ في البيت والقصيدة يدفعنا الى الحديث عن تناسب الالفاظ مع موضوعات القصيدة . فللغزل لغته الخاصة به وللفخر لغته ، وكذلك في سائر الأغراض وقد تنبه النقاد القدامى الى هذا . يقول قدامه ابن جعفر " لما كان المذهب في الغزل إنما هو الرقة واللطافة والشكل والدماثة كان مما يحتاج فيه أن تكون الالفاظ لطيفة مستعذبة مقبولة غير مستكرهة ، فإذا كانت جاسية كان ذلك عيبا ".(٣)

ويقول ابن رشيق في لغة قصيدة المدح " وسبيل الشاعر اذا مدح ملكا أن يسلك طريقة الإيضاح ، وأن يجعل معانيه جزلة وألفاظه نقية غير مبتذلة سوقية ".(٤)

---

(١) انظر العمدة ١ : ١٢٨

(٢) عيار الشعر ٦

(٣) نقد الشعر ٢٢٤

(٤) العمدة ٢ : ١٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعد القاضي الجرجاني من أكثر النقاد القدامى تنبها لهذا التناسب حين قال " ..... فلا يكون غزلك كافتخارك ، ولا مديحك ولاهجاؤك كاسبطائك ، ولا هزلك بمنزلة جدّك ولاتعريضك مثل تصريحك بل ترتب كلا مرتبته ، وتوفيه حقه فتلطف إذا تغزلت ، وتفخم إذا افتخرت ، وتصرّف للمديح تصرف مواقعه".(١)

أما لغة الشعر عند ابن هرمة فلم تخرج عما اشترطه النقاد فيها من شروط ، فلست ترى في ألفاظه مايخرج عليها ، ولست ترى في شعره كله لفظة عامية ولا قريبة من العامية ، بل قد ترتفع اللفظة عنده من السهولة والجزالة إلى غموض المعني ، غير أنك لاتجد فيه لفظا حوشيا واحدا .

ولشعر ابن هرمة ولغته قيمة عند علماء اللغة والنحو فلا تكاد تجد معجما في اللغة أو كتابا في النحو يخلو من شاهد له . وهذا بيان ببعض الكتب اللغوية والنحوية التي حوت أبياتا لابن هرمة وهي مرتبة ترتيبا زمنيا حسب وفاة مؤلفيها .

فقد استشهد له الخليل بن أحمد (ـ١٧٥ هـ) في كتاب العين(٢) بأربع مواد لغوية . وفي كتاب الفاخر(٣) لأبي طالب المفضل بن سلمة (ـ٢٩١هـ) ثلاث مواد ، وفي كتاب الجمهرة لابن دريد(٤) (ـ٣٢١هـ). والاضداد(٥) لأبي بكر الانباري (ـ٣٢٨هـ) وديوان الادب(٦) (وهو أول معجم عربي مرتب حسب الابنية) لأبي إبراهيم إسحق بن إبراهيم الفارابي (ـ٣٥٠هـ) ثلاث مواد لكل منهما .

---

(١) الوساطة ٢٤

(٢) العين ١ : (رقع) ، (زعب) ، ٣ : (حضر) . ٤ : (هيد)

(٣) الفاخر ١٣ ، ٧٦ ، ١٠٧

(٤) الجمهرة : ٢ (ذَلَهَ) ٣ : (غَلَوَ) ، (بَدَأَ)

(٥) الاضداد ٨٩، ١٠٧ ، ١١٥

(٦) ديوان الادب ٢ : ٢٣٩ . ٣٦٨ ، ٣ : ٣٣٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي تهذيب اللغة[١] للازهرى (-٣٧٠هـ) ثماني عشرة مادة ٠

وفي الخصائص[٢] لابن جني (-٣٩٢هـ) أربع مواد ٠

وفي الصحاح[٣] للجوهرى (-٣٩٣هـ) ست مواد ٠

وفي مقاييس اللغة[٤] لابن فارس (-٣٩٥هـ) ست مواد ايضا ٠

وفي تهذيب اصلاح المنطق[٥] للخطيب التبريزى (-٥٠٢هـ) مادتان ٠

وفي المثلث[٦] لابن السيد البطليوسي (-٥٢١هـ) مادة واحده ٠

وفي شمس العلوم[٧] لنشوان بن سعيد الحميرى (-٥٧٣ هـ) ثلاث مواد ٠

وفي الفائق في غريب الحديث[٨] للزمخشرى (-٥٨٧ هـ) خمس مواد ٠

---

(١) تهذيب اللغة ١: (قع) ، (ضلع)

٢: (عزر) ، (زعب)

٣ : (شح ، ٤: (قرح) ، ٥: (هلّ) ، (رهق)

٦ : (هماد) ، (كهى) ، (مهى)

٧: ((عرض) ، (قلس)

١٠ (كلا) ١١: (ماج)

١٣ : (سرى) ، (طفل)

١٤: (فتا)

(٢) الخصائص : ١: ٢٠٤٢: ٣٠٣١٦٠١١: ١٥٢/١٢١

(٣) الصحاح : ١(سبأ) ، (زعب) ، (شحح) ، (نزح) ٢: (نفذ) ، (هيد)

(٤) مقاييس اللغة ١: (بوأ) ٣: (سرو) ، (شح) ٤٠: (غلو) (عهق) ، (غرض)

(٥) تهذيب إصلاح المنطق ١٩١ ، ٢٧٣٠

(٦) المثلث ٤٦٠

(٧) شمس العلوم ١: ١٩٩ ، ٢: ٢٦٦ ، ٣١٦

(٨) الفائق في غريب الحديث : ١: ٢٦٣ ، ٤٩٠ ، ٢: ١٦٤ ، ٤٧٣ ، ٣: ١١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي التكملة[١] للحسن الصغاني (ـ٦٥٠هـ) اثنتاعشرة مادة ٠

وفي العباب الزاخر[٢] للمؤلف نفسه سبع وعشرون مادة ٠

اما لسان العرب[٣] لابن منظور ففيه سبعة وخمسون شاهدا من شعر ابن هرمة ٠

وكانت هذه الاستشهادات على نوعين ، أحدهما : ماكان البيت أو الابيات تدل على معنى أو لغة مشهورة في العربية اتفق عليها في الاستعمال ٠ أو مواقف نحوى أجمع عليه علماء النحو ٠ وأمثلة هذا النوع كثيرة ٠

فمن مطابقة معانيه لماعرف عند العرب قول ابن منظور في مادة (تور)[٤] " قال ابن سديدة : وعندى أن التور مقلوب من الوتر الذى هو الدم ، وان كان غير موازن به ، ويتر الرجل : اصيب التار منه وهكذا جاء على صنعة مالم يسم فاعله :

---

(١) التكملة ١: (دعب) ، (زغب) ، (غبب)

٢: (نزح) ، (رهق) ، (أجل) ، (أول) ، (ضلل) ، (طفل)

٦: (كتن) ، (بله) ، (عبا)

(٢) العباب الزاخر: (حرف الهمزة) : سبأ ٠ (حرف القين) : ولغ (حرف الفاء)

(أبط) ، (أقط) ، (بقط) ، (خمط) ، (رهط) ، (سبط) ، (سرط) ، (سقط) ، (شحط) (ضبط) ، (عرفط) ، (غطط) ، عوط) ، (فلط) ، (فلط) ، (قحط) ، (قطط) ، (لقط) (نبط) ، (ورط) ٠

(٣) لسان العرب ٠ (سبأ) ، (هدأ) ، (حقب) ، (دعب) ، (سهب) (شرب) ، (مرت) (معج) ، (سمح) ، (شحح) ، (قزح) ، (نزح) ، (نفد) ، (هيد) ، (تور) ، (طير) ، (نفر) (جهز) ، (ورس) ، (غرض) ، (فلط) ، (ربع) ، (ضوع) ، (نسع) ، (وشع) ، (ولغ) ، (تحف) ، (حلف) ، (نصف) ، (خلق) ، (رقق) ، (رهق) ، (طلق) ، (بقل) ، (خيل) ، (طفل) ، (ملل) ، (نحل) ، (ندل) ، (هذل) ، (هلل) ، (تخم) ، (خمم) ، (سلم) ، (نظم) ، (بين) ، (كتن) ، (بله) ، (ذرا) ، (سرى) ، (سنى) ، (عرا) ، (فتا) ، (قلا) ، (كها) ، (مها) ، (وهى) ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال ابن هرمة :

حبي تقي ساكن القول وادع

إذا لم يُعَرْشِمْ إذا تير مانعُ

ومثل ذلك ، أيضا ، في مادة (وشع) ، قال ابن منظـــــور :(١)

الوشيع : الثمام وغيره ، وقيل هو السعف تلقى على خشبات السقف . قال ابن هرمة :

بلوى سُوَيقة أو ببرقة أحزم

خِيَم على آلائهن وشـــيعُ

ومن أمثلة استشهاد علماء اللغة بأبيات ابن هرمة على موافقتها لقاعدة لغوية قول ابن منظـــــور في مادة (فلسط) فلسطين : اسم موضع فيما بين الاردن وديار مصر ، ونونها زائدة . قال أبو منصور : إذا نسبوا إلى فلسطين ، قالوا فلسطي . قال ابن هرمة :

كأسٌ فلسطيّة معتّقة شُجّت بماء من مزنة السَّبَلِ

ومن أمثلة استشهاد علماء النحو بشعر ابن هرمة على موقف نحوي مشهور أو جائز في الاستعمـــال ماذكره الطبري في تفسيره(٢) حين ذكر بيت ابن هرمة :

أرجا للمنون يكون قومي لريب الدهر أم درج السيول

قال : وقد استشهد بالبيت سيبويه على نصب (درج) على الظرف ، وعلى رفعه على أنه خبـــــر (هـــم)

ومثله ، أيضا ، ماذكره ابن منظور في مادة (بين)(٣) فقال : قال ابن برى : وهذا الذى قلناه يـــــدل على فساد قول من يقول إن (إذا) لاتكون إلا في جواب (بينما) بزيادة (ما) وهذه بعد (بينا) كما ترى ، ومما يدل على فساد هذا القول أنه قد جاء ب (بينما) وليس في جوابها (إذ) كقول ابن هرمـــة :

---

(١) اللسان : (وشع)

(٢) تفسير الطبري ٧ : ٢٦٠ ، والبيت في كتاب سيبوبة ١ : ٢٠٦

(٣) اللسان : (بين)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في باب النسيب :

بينما نحن بالبلاكث فالقـا ■ ع سراعا والعيس تهوى هويّا

خطرت خطرة على القلب منك ■ راك وهنا فما استطعت مضيا

وثانيهما : ما استشهد به علماء اللغة على معنى من المعاني ليس مشهورا عندهم ، ولكنه ورد في شعـــــر لابن هرمة أو في قاعدة لغوية لم تذكرها كتب اللغة واستعملها ابن هرمة .

فمن أمثلة النوع الأول ماذكره أبو هلال العسكري[1] في معنى (فلط) قال : الفلاط بلغة هذيل المفاجأة ، وقيل لقيته فلاطا أي مفاجأة ، وقال ابن دريد ، افتلط بالامر : إذا فوجيء به (لغة هذلية) .

وقال ابن هرمة على لغة هذيل :

أبوك غداة المرج أوّ رثك العلا

وخاض الوغى إذ سال بالموت راهطُه

وكان امرءا خواض كل كريهة

وفردى حروب يوم شر يفالطُـــــه

ومنه ، أيضا ، قول ابن جرير الطبري[2] في تفسير كلمة (الرجم) مستشهدا ببيت ابن هرمة السابق :

أرجما للمنون يكون قومـي ..... البيت

قال : ولم تذكر كتب اللغة (الرجم) بمعنى الشيء المنصوب الذى يرجم ويقذف ، ولكن بيت ابن هرمـــــة شاهد عليه وهو صحيح في قياس العربية .

---

(١) المسائل العسكريات في النحو ١٣٨

(٢) تفسير الطبرى ٧ : ٣٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أمثلة خروج ابن هرمة على المشهور من لغة العرب تأنيثه (حراء) وصرفه لها . قال أبو بكر الأنباري[١] في بيت ابن هرمة :

وخيلت حراءً من ربيع وميّـغٍ

نعامة رمل وافرا ومقرنصا

فأنّث (حراء) وأجراه لضرورة الشعر ، والصواب ألا يجريه إذا أنثه وأجاز الفراء أن يقال : " هذه حراء" جعلت بعض الشعراء والنقاد واللغويين والخلفاء يعجبون بشعره إعجابا شديدا . فمن إعجاب بعض الشعراء به ماذكره أبو الفرج الاصفهاني أن جريرا " قدم المدينة فأتاه ابن هرمة وابن أذينة فأنشداه فقال جرير القرشي أشعرهما والعربي أفصحهما ".[٢]

وعن حماد بن اسحق الموصلي عن أبيه قال قلت لمروان بن أبي حفصة من أشعر المحدثين من طبقتكم لا أعنيك . قال : الذي يقول:

لا أمتع العوذ بالفصال ولا أبتاع إلاّ قريبة الأجل[٣]

يعني ابن هرمة :

ومن ثناء بعض النقاد عليه ماذكره الخطيب البغدادي من أن ابن هرمة " شاعر مغلق فصيح مسهب مجيد حسن القول سائر الشعر ".[٤]

---

(١) المذكر والمؤنث ٤٧٩

(٢) الاغاني ٤ : ٣٩٣

(٣) المصدر نفسه ٥ : ٢٦٤

(٤) تاريخ بغداد ٦ : ١٧٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال عنه ابن شاكر الكتبي " كان ابن هرمة شيخ الشعراء في زمانـــــــه " .[١]

ومن رأى اللغويين فيه ماقاله الاصمعي عنه " مايؤخره عن الفحول إلاّ قرب عهـــــــده "[٢]

وأما إعجاب بعض الخلفاء بشعره فيمثله قول المنصور له بعد أن أنشده قصيدته المشهورة[٣] " لولا أني أكره تفضيل المسيء على المحسن لفضلتك على نظرائك ".[٤]

والدارس لشعر ابن هرمة يرى أن الجزالة صفة واضحة في شعره كله ، ولعل السبب في ذلك أنه ربـــــي في قبيلة تميم ، إضافة إلى ماذهبتْ إليه في فصل سابق من أنه اتصل بالشعر الجاهلي وحفظ منه الكثير .[٥]

وإذا أردنا ان نقسم ألفاظه حسب الجزالة والسهولة مع وضوح المعنى أو غموضه ، فيمكننا أن نجعلهـا في ثلاثة مستويات :

الأول : ماكانت فيه الألفاظ سهلة رقيقة وهي مع سهولتها ليس فيها لفظ سوقي أو مولد .

والثاني : ماكانت فيه الالفاظ جزلة مع قليل من غموض المعنى

والثالث : ماكانت فيه الالفاظ جزلة غامضة المعنى بحيث استعملها أصحاب اللغة والمعاجم شواهد لمعنـــى من المعاني .

والأمثلة على سهولة الألفاظ مع رقتها وعذوبتهـــــا كثيرة ، إلا أن أبيات الغزل خاصـــة تصلـــــح

---

(١) عيون التواريخ (مخطوط) ٣:٦١

(٢) الأغاني ٥:٢٦٤

(٣) وهي قوله : سرى ثوبه عنك الصبا المتخايل ....ـ البيت

(٤) الايناس بعلم الانساب ١٩٤

(٥) انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة ص ٣٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأن تكون أمثلة عليه ، من ذلك قوله :[١]

من ذا رسول ناصح فمبلّـــــغٌ ... عنّي عُلَيّة غير قيل الكـــــاذبِ

أني غرضت إلى تناصُف وجهها ... غرض المحب إلى الحبيب الغائبِ[٢]

وقوله أيضـــــا :[٣]

فكم بين الأقارع فالمنقـــــي ... إلى أُحُدٍ إلى أكنافِ ريـــــــم[٤]

إلى الجمّاء من خدّ أسيـــــلٍ ... نقيّ اللون ليس بذي كلـــــــومِ

ومن عينٍ مكحّلة الأماقـــــي ... بلا كُحْل ومن كشحٍ هضيـــــم[٥]

وقد تكون بعض أبياته الاعتذارية نماذج لهذه البساطة ، من ذلك قوله يعتذر لابراهيم بن عبد الله ابن الحسن بعد أن عرّض به وبأخويه :[٦]

يا ابن الفواطم خير الناس كلهـــم ... عند الفخار وأولاهم بتطهـــير

إني لحامل عذري ثم ناشـــره ... وليس ينفع عذر غير منشـــور

وحالفٌ بيمينٍ غير كاذبـــة ... بالله والبدن إذْ كُبّت لتنحيـــرِ

لقد أتاك العدا عنّي بفاحشـــة ... منهم فروها بأسياف وتكثيـــرِ

---

(١) الديوان ٥٩

(٢) غرض : اشتاق

وتناصف الوجه : محاسنه أي أنها كلها حسنه ينصف بعضها بعضا يريد أن أعضاءها متساوية الجمال الحسن ، فكأن بعضها أنصف بعضا ، فتناصف اللسان : (نصف) .

(٣) الديوان ٢٢٠

(٤) الاقارع : جبل بين مكة والمدينة ، والمنقى طريق " بين أُحد والمدينة " . وريم : واد لمزينة قرب المدينة.

(٥) الكشح الهضيم : الخصر الدقيق الرقيق .

(٦) الديوان ١٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصورة الفنيـــة :

عُرف عن ابن هرمة الكدّ في طلب الصورة والإلحاح عليها ، واشتُهر بأنه من أصحاب الصنعة والتنقيح لشعره ، وكان يفخر بهذه الصنعة واتقانه لها ، من ذلك قوله :(١)

وعميمةٍ قد سقتُ فيها عائـــرا
غُفْلا وفيها عائرٌ موسومُ (٢)

طبّقتُ مفصلها بغير حـــديدة
فرأى العدوّ غنايَ حيث أُقوّمُ

ومنه قوله يهجو المسوّر بن عبدالملك المخزومي ، وكان المسور يعيب شعر ابن هرمة :(٣)

إني امرؤ لا أصوغ الحلي تعمله
كفّاي لكن لساني صائغ الكلـــمِ

والحقيقة أن شعر ابن هرمة يقوم على أساسين ، أحدهما تقليدى اعتمد فيه على النموذج القديم موسيقى ولغة وصورة ، وآخر : تجديدي استمد لغته وصورته من واقع الحياة التي عاش فيها في مجتمع الحجاز الـــذى أصاب حظا وافرا من التطور الحضارى الذى انعكس على أذواق ومشاعر وأخيلة الشعراء فيه مما كان لـــــــه أكبر الأثر في تجدد الشعر بمكة والمدينة .

وإذا كانت بعض مدائحه وأغزاله وأهاجيه تمثل الجانب التقليدى أوضح التمثيل فان له قصائد أخرى في موضوعات مختلفة توضح التيار التجديدى في شعره ، حيث استخدم فيها كثيرا من الخيوط والألوان والظـلال الحضرية ، واخترع معاني طريفة وصورا نادرة .

---

(١) البيان والتبين ١ : ١١١

(٢) العميمة : الخطبة أو القصيدة الطويلة

والسهم العائر : هو السهم الذى لايدرى من رماه

والسهم الموسوم : هو السهم الذى يميّزه صاحبه بعلامة

(٣) الديوان ٢١٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الجانب التقليدى في شعره فأمثلته كثيرة ، ذلك أن ابن هرمة حفظ من التراث الشعرى الجاهلي الكثير ، وتمثله تمثلا ظهر في شعره حتى اتُّهم بالسرقة منه . من ذلك ماقاله أبو الفرج الأصفهاني[١] في بيت لابن هرمة مدح فيه عبد الواحد بن سليمان

" يطعن بالرمح أحيانا ويضربهم بالسيف ثم يدانيهم فيعتنق "

من أن ابن هرمة سرق هذا البيت من زهير ومن مهلهل جميعا فإنهما سبقا إليه قال مهلهل وهو أقدمهما :

أنبضوا معجس القسي وأبرق نا كما توعد الفحول الفحولا[٢]

وقال زهير :

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا اطعنوا

ضارب حتى إذا ماضاربوا اعتنقا

فما ترك في المعنى فضلا لغيره .

ومن أمثلة التقليد الواضحة في شعره قوله يصف امرأة بالعفة والحياء :[٣]

مأانس لا أنس يوم ذى بقر

إذ تتقينا بالكف منصرفة

وهو شبيه بقوله النابغة الذبياني في الغرض نفسه :[٤]

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه

فتناولته واتقتنا باليد

---

(١) الأغاني ٦ : ١٠٣

(٢) أنبضوا : يقال أنبض الرامي قوسه : إذا جذب وترها لتخرج صوتا .
والمعجس : مقبض القوس ، وأبرق الرجل : لمع بسيفه
ويعني بالبيت " أنهم لمّا أخذوا القسي ليرموهم من بعيد انتضوا سيوفهم ليخالطوهم ويكافحوهم بها .
الأغاني ٦ : ١٠٣

(٣) العباب الزاخر (حرف الغاء) ٦٠٥

(٤) ديوان النابغة الذبياني ص ٩٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أمثلة الصور التقليدية المأخوذة في معظمها من طبيعة الحياة البدوية بما فيها من حيوان ونبات وجبال وأودية وشمس وكواكب أخرى وحياة متميزة في علاقتها مع غيرها قوله يصف النجوم والكواكب وأبراج السماء بصور بدوية ، فالنطع والبطين يشبهان في سرعتهما كبشا مطاردا يحاولون الإمساك به لذبحه ، وهو لخوفه سريع الحركة طلبا للنجاة ، وصورة النجم المتأخر عن مجموعة النجوم الكثيرة كالفحل الذى يسير خلف مجموعة نياق يهدر غيرةً عليها ، وصورة نجوم السعود العشرة مجتمعة تشبه ركبا سائرا في طريق جبلي. ومنظر سهيل يظهر بعيدا عن المجرة كأنه راع يشرف على رعيته يتفقد أحوالهم :(١)

والنطع يلمع والبطين كأنه ... كبش يطرده لحتف تائر(٢)

وكأنّ مرزمها على آثارها ... فحل على آثار شول هادر(٣)

وتعرّضت هادى السعود كأنها ... ركب تأ ب بطن تبع مائر(٤)

وبدا سهيل كالشهاب مشبه ... راع على شرف العرينة سائر(٥)

ومن الصور التقليدية ، أيضا ، تشبيهة وجه ممدوحه بالبياض والسماحة بضوء الصبح أو اشراقة الشمس في قوله يمدح الإمام إبراهيم بن محمد :(٦)

أغرّ كضوء الصبح يستمطر الندى

ويهتاش مرتاحا إذا هو أنغدا

---

(١) الديوان ١١٥

(٢) النطع : نجم يُتشاء م به ، والبطين : نجم كذلك ، وقيل هما من منازل القمر ، والتائر : السريع الجرى

(٣) المرزم : نجم . والشول : جمع شائلة : وهي الناقة التي أتى على حملها أو وضعها سبعة أشهر فنقص لبنها .

(٤) السعود : كواكب عشرة تطلع في آخر الربيع

وتُبّع : اسم مكان

(٥) سهيل : نجم

(٦) الديوان ٩١

(٧) هششت للشيء واهتششت : اذا ارتحت له واشتهيته

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهي صورة كررها الشعراء الجاهليون . من ذلك قول الخنساء ترثي أخاها صخرا :(١)

أغرّ أبلج تأتم الهداة به
كأنه علم في رأسه نار(٢)

وعلى الرغم من هذه الصور التقليدية إلا أنه أبدع في بعضها إبداعا رائعا قلّ أن تجد له نظيرا عند غيره من الشعراء المعاصرين له ، حيث جمع في هذه الصور بين الجزالة والبيئة البدوية وبين روعة الصورة وحسن نسجها وذلك حين جعل المعروف يصدر من ممدوحه بكثرة فيرى أثره في الناس كشعاع الشمس يسقط على حد السيف فيصدر منه لمعان ينعكس على وجوه الناظرين وذلك في قوله :(٣)

أشمّ من الذين بهم قريش ... تداوي بينها غبن القبيل(٤)
كأن تلألؤ المعروف فيه ... شعاع الشمس في السيف الصقيل

وأما الجانب التجديدي في شعره فيظهر من خلال الصور والألوان والظلال الحضرية التي أصابت المجتمع الحجازي عامة ومكة والمدينة خاصة .

ولعل من مظاهر هذا التطور ما أغدق على أهل مكة والمدينة من الأموال والثراء والحربات فظهر هذا على سلوك أبنائهم وشبابهم ، من ذلك ماكانت تتزين به بعض النساء من حلي وجواهر فيتبرجن به أمام الناس .

---

(١) ديوان الخنساء ص ٤٩

(٢) البلج : بُعْد مابين الحاجبين

(٣) الديوان ١٩١

(٤) الأشمّ : السيد ذو الأنفة . والغبن : ضعف الرأي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن مظاهر هذا التطور في شعره قوله يشبه نجوما متفرقة في السماء بغير نظام بسلك من اللؤلؤ أو الجوهر تَقطّع فتناثر حبُّه :(١)

وبدت نجوم بين ذاك كأنها ... درّ تقطّع سلكه متناثرُ

وشبيه به ، أيضا ، يصف دموعه الغزيرة عشية ولّت حمول صاحبته فبكى بكاء شديدا بعقد اللؤلؤ تناثر حبّه :(٢)

كأنّ عينيّ إذ ولّت حمولهمُ ... عنّي جناحا حمام صادفا مطرا

أو لؤلؤ سلس في عقد جارية ... ورهاء نازعها الولدان فانتثرا (٣)

وكانت لابن هرمة ابتكارات رائعة في الصور الشعرية ، أشادبها بعض القدامى . من ذلك ماقاله أبو هلال العسكرى(٤) من أن أبرع بيت قيل في الصبح من شعر المحدثين قول ابن المعتز .

والصبح يتلو المشتري فكأنه ... عريان يمشي في الدجى بسراج

والناس يظنون أنه ابتدأه وابتكره ، وإنما أخذه من قول ابن هرمة في وصف السحاب :

تؤام الودق كالـ ... ـزا حف يزجى خلف أطلاح (٥)

صدوق البرق كالسكرا ... ن يمشي خلفه الماحي

كأن العازف الجني ... أو أصوات نوّاح

على أرجائه والبر ... ق يهديه بمصباح

---

(١) الديوان ١١٦

(٢) الديوان ١١٢

(٣) السلس : السهل المنظوم في سلكه نظما جيدا ، والورهاء : الحمقاء

(٤) ديوان المعاني ١ : ٣٥٨

(٥) التؤام : جمع توأم وهو المزدوج ، والودق : المطر

والزاحف : البعير الذى لحقه الكلال والإعياء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحق أن لابن هرمة صورا شعرية نادرة لطيفة ، أعجب بها بعض النقاد والشعراء والخلفاء ، من ذلك ماورواه حماد بن إسحق عن أبيه قال : غنّيت الواثق بهذين البيتين :(١)

عفا طرف القريّة فالكثيب ... إلى ملحاء ليس بها عريبُ(٢)

تأبّد رسمها وجرى عليها ... سفيّ الريح والترب الغريبُ(٣)

فقال لي : يا إسحق ، قد أحسن ابن هرمة في البيتين ، فأي شيء هو أحسن فيهما من جميعهما ؟

قال : قلت قوله . " الترب الغريب " يريد أن الريح جاءت إلى الأرض بتراب ليس منها فهو غريب جاءت به من موضع بعيد .

فقلت : صدقت وأحسنت وأمر لي بخمسين ألف درهم ..

وأعجب أبو الفرج الأصفهاني بقصيدة ابن هرمة الحائية في مدح عبد الواحد بن سليمان فقال " إنها من فاخر الشعر ونادر الكلام " وله ثناء أيضا بقصيدته التي منها :

إذا قيل من خير من يرتجى ... لمعترّ فهر ومحتاجها

فقال : " إنها من فاخر شعر ابن هرمة ".(٥)

---

(١) الأغاني ٥ : ٣٦٨

(٢) عفا : تغير واندثر . والقرية : موضع بنواحي المدينة

الكثيب : قرية لبني محارب بن عمرو بن عبدالقيس بالبحرين

وملحاء : واد من أعظم أودية اليمامة . وعريب : أحد

(٣) تأبّد رسمها : خلا من أهله وأقفر فصار مرتعا للوحوش ، سفيّ الريح : التراب حملته الريح وذرته على المنزل .

(٤) الأغاني ٦ : ١٠٦ ويقصد بها قوله : صرمت حبائلا من حب سلمى ... لهند ماعهدت لمستراح

(٥) المصدر نفسه ٦ : ١١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل السبب في إعجاب أبي الفرج بهاتين القصيدتين وثنائه عليهما راجع إلى مافيهما من روعة الخيال وجمال الصورة ، يشهد بذلك قوله في عبدالواحد بن سليمان ٠

وجدنا غالبا كانت جناحا وكان أبوك قادمة الجناح

وكان ابن هرمة أنشد هذه القصيدة في مجلس عبد الواحد ، وعنده عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي وبعد أن سمع عبدالله القصيدة قام مغضبا ، فقال لابن هرمة " لاجزاك الله خيرا ، تقول لابن مروان (وكان أبوك قادمة الجناح) بحضرتي وأنا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن علي بن أبي طالب "٠[١]

غير أن مايميّز الصور الشعرية عنده أربعة أمور :

أولهما : الاعتدال في المعاني والبعد عن التهويلات الزائفة والخيال المَمجوج ٠ والدارس لشعره لايكاد يقف على مبالغة زائدة أو خيال خارج عن المألوف إلا في بيت أو بيتين سنعرض لهما في حديثنا عن المآخذ التي سجلها النقاد على شعره ٠

ولعل السبب في هذا الاعتدال يرجع إلى اعتماد ابن هرمة على النموذج الشعرى الجاهلي والأخذ منه في بعض صوره ومعانيه مع إضافات محددة اقتضتها طبيعة العصر وثقافة الشاعر ٠

والدليل على هذه الظاهرة عنده ماذكره ابن عساكر من أنه " لمّا ولي المنصور الخلافة حضر على بابه ثلاثمئة شاعر ، فأعلمه الربيع[٢] بذلك ، فقال : اخرج اليهم فعرّفهم أن جائزتنا ألف وعقوبتنا ألف ، مَنْ مدحنا فاقتصد أجزناه ، ومن أفرط وتجاوز عاقبناه ٠ فخرج ، فعرّفهم ، فقال بعضهم لبعض : مامنا إلا من أفرط في

---

(١) انظر الخبر كاملا في الأغاني ٦ : ١٠٦

(٢) هو حاجب المنصور

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المدح . فانصرفوا إلا ابن هرمة فانه لم يبرح فلما دخل قال : عرفت شرْطنا ؟ قال : عرفت . قال : هات ، فأنشده شعرا طويلا ، فلما بلغ إلى قوله :

له لحظات في حفافيّ سريره ... إذا كرّها فيه عقاب ونائلُ

قال له : بارك الله عليك . وأجازه بألف "(١)

وثانيها : بحثه الدائب عن الصور الجديدة التي لم يطرقها أحد قبله من الشعراء ، وهو حريص على أن تكون هذه الصور من واقع الحياة ، فكانت تنقطع عليه الأبيات بحثا عن الصورة حتى يشاهدها في واقعه المحسوس ، فيكمل ما انقطع عنه ، من ذلك ماورواه المرزباني عن إسماعيل بن جعفر عن أبيه قال :(٢) " مررت بابن هرمة جالسا على دكان في بني زريق ، فقلت : ماأقعدك هاهنا يا أبا إسحق ، فقال ، قلت :

فإنّك واطّراحك وصل سعدى
لأُخرى في فؤدّتها نكوبُ (٣)

ثم قُطع بي ، فلم أستطع أن أجوزه ، فمرت بي وصيفة للحي قد ثقبت أذنيها ، وفيها خيدعهن ، وقد فاحتا ، فذرّت عليهما آسا . فقلت : مالك ويحك يافلانة ؟ فقالت : ألك شنوف . فقالت : لا ، ولكني استعرته ، فقلت :

كثاقبة لحلي مستعار ... بأذنيها فشانهما الثقوبُ
فردّت حلّيَ جارتها إليها ... وقد بقيت بأذنيها تُدوبُ (٤)

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٢ : ٢٤١

(٢) الموشح : ٣٥٠

(٣) الاطّراح : الإهمال والمقاطعة . والنكوب : الانحراف عن الشيء

(٤) التدوب : آثار الجروح

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما يمثل الجِدّة في الصورة مع تحريه الواقع قوله يهجو بخيلا :[١]

وإنك إذ أطمعتني منك بالرضا
وأيأستني من بعد ذلك بالغضبْ
كمكنة من ضرعها كف حالب
ودافقة من بعد ذلك ماحلبْ

وثالثها : الحركة الدائمة في هذه الصور سواء كانت هذه الحركة حسية ظاهرة للعيان أم حركة معنوية تجرى في النفس ، وما يختلج فيها من قلق وانتظار .

والأمثلة على الحركة الحسية في صوره كثيرة ، ولكنا نكتفي بهذا المثل وهو قوله يصف أظعان صاحبته سودة وهي تتحرك من مكان إلى مكان[٢] :

انظر لعلك أن ترى بسويقه ... أو بالقريّة دون مفضى عاقلِ [٣]
أظعان سودة كالإماء غواديا ... يسلكن بين أبارق وخمائلِ [٤]

وأما الحركة المعنوية التي تجرى في النفس فيدل عليها قوله في هجاء العباس بن الوليد بن عبدالملك .[٥]

إنك والمدح كالعذراء يعجبها ... مسّ الرجال ويثني قلبها الفَرقُ [٦]
تبدي بذاك سرورا وهي مشفقة ... كما يهابُ سَمِيَّ الحيّة الفَرِقُ [٧]

---

(١) الديوان ٥٥
(٢) الديوان ١٩٦
(٣) سويقة : موضع قرب المدينة . والقريّة : موضع قرب المدينة أيضا ، والمفضي : المتسع . وعاقل : رمل بين مكة والمدينة .
(٤) الأظعان : جمع ظعينة ، وهي المرأة في الهودج . والإماء : جمع أماءة وهي الصغير من النخل .
والأبارق : أرض غليظه مختلطة بحجارة ورمل .
والخمائل : جمع خميلة : وهي مَعْرَج بين هبطة وصلابة
(٥) الديوان ١٥٧
(٦) الفَرَقُ : الخوف
(٧) الفَرِق : الخائف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقلّ أن تجد في صوره ظاهرة الثبات ، إلا أن تكون طبيعة المعنى فرضت عليه ذلك ، ويظهر هـــذا في قوله يعرّض بمعاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب :(١)

فإني ومدحك غير المصيـــ ... ـب كالكلب ينبح ضوء القمرْ

مدحتك أرجو لديك الثـــواب ... فكنت كعامر جنب الحجـرْ

ورابعها : الزخرفة في الألفاظ والتأنق فيها ، ويظهر هذا في شعره عامة .

وقد تحدثت عن الصنعة الشعرية عنده واتقانـــه لها ، وفخـــره بها .

وكنت أشرت أيضا إلى نوع من الغزل عنده أسميته الغزل الفني ، وهو غزل لم يقصد به الحديـــث عن امرأة لذاتها وإنما أراد أن يُظهر فيه قدرته الفنية .

ولعل براعة ابن هرمة في اختيار الصور جعلت الجاحظ يثني عليه بقوله " لم يكن من المولدين أصوب بديعا من بشار وابن هرمة ".(٢)

ولم يكن يقصد بكلمة (البديع) في القرن الثاني الهجرى ما اصطلح البلاغيون عليه فيما بعد من جناس وطباق وسجع وتقسيم وغيرها ، وإنما كان يقصد به استخدام الشاعر للصور الشعرية من تشبيه واستعارة ومجاز(٣) وقد يدخل تحت كلمة (البديع) أيضا وجوه الميل بالمعاني القديمة إلى وجه جديد من الاستعمال مغاير لمـــا جرى عليه العرف في تناولها ".(٤)

---

(١) الديوان ١٠٩

(٢) البيان والتبيين ١ : ٥١

(٣) انظر تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجرى (نجيب البهبيتي) ٣٦٤

(٤) المرجع نفسه ٣٦٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأكاد أميل إلى هذا الرأي في تعريف البديع ، لأنه لو كان يُقصد به الجناس والطباق وغيرها من المحسنات لم نجد لابن هرمة جديدا فيه ، ولم تكن له كثرة تميزه عن غيره .

وأما أن يكون المقصود بالبديع التشبيه والاستعارة وغيرها فنجد شواهد ذلك كثيرة في شعره . وأخذ بهذا الرأي في تعريف البديع الدكتور أحمد مطلوب فقال " وكان المولدون من شعراء الدولة العباسية قد أكثروا في أشعارهم من الصور البيانية التي سماها الجاحظ البديع ".(١)

وعلى الرغم من إعجاب النقاد بشعر ابن هرمة وصورة إلا أنهم أخذوا على بعض شعره الإفراط في تحرى الصورة ، ومخالفة الواقع ، من ذلك أنه جعل الكلب يتكلم وهو أعجم(٢) ، وفضلوا عليه قول عنترة العبسي في وصف فرسه حين قال :

فازورّ من وقع القنا بلبانه

وشكا إليّ بعبرة وتحمحم

لو كان يدري ما المحاورة اشتكي

ولكان لو علم الكلام مكلّمي

قالوا " فلم يخرج الفرس من التحمحم إلى الكلام كما فعل ابن هرمة " .(٣)

والتشبيه أحد أركان الصورة الفنية عند النقاد ، وجعلوه من أسباب ذيوع القصيدة بين الناس ، وفي ذلك قال ابن قتيبة " ليس كل الشعر يختار ويحفظ على جودة اللفظ والمعنى ، ولكنه يختار

---

(١) البلاغة عند السكاكي ٣٢١

(٢) وذلك قوله :

تره إذا ما أبصر الضيف مقبلا يكلّمه من حبه وهو أعجمُ

(٣) الموشح ٢٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويُحفظ على أُسباب منها الإصابة في التشبيه ".[١]

وقد أكثر ابن هرمة من التشبيه كثرة لافتة للنظر. وكنت أشرت إلى أن صوره وتشبيهاته كانت مزيجا من البيئة البدوية ومظاهر التطور الحضارى الذى أصاب مجتمع الحجاز .

واستخدم ابن هرمة الاستعارة في شعره كثيرا ، إلا أنها أقل من التشبيه عددا وأهمية ، إذ لم نجد عنده فيها جديداً يميزه على غيره من الشعراء المعاصرين له .

فمن أمثلة استعاراته قوله :[١]

شبّت وشب العفاف يتبعها ... فلم يُعَبْ خدنها ومنشؤها[٢]

وقوله يمدح المنصور :

يسبق بالفعل ظن صاحبه ... ويقتل الريث عرفه العَجِلُ

ولعل هذا التردد في المحافظة على القديم في بعض شعره والتجديد في بعضه الآخر جعل الدكتور حسين عطوان يسلكه في " أصحاب المدرسة المتوسطة التي أقامت فنها على التواصل بين الأُصول الموروثة والمحدثة".[٤]

ولاصالة الجانب التقليدى في شعره سلكه القدماء إلا الجاحظ في طبقة الفحول ، فقد كان الأُصمعي وأبو عبيدة وابن الأعرابي يختمون الشعر به .

---

(١) الديوان ٤٩

(٢) الخدن : الصديق

(٣) الديوان ١٧٢

(٤) الشعراء من مخضرمي الدولتين ٤٦١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يكثر ابن هرمة من الكناية ، فلسنا نقف له إلا على بعض أبيات ، منها قوله يشير إلى كرمه :[١]

عندي لهذا الزمان آنية

أملؤها ثارة وأكفؤها

وقوله يشير إلى طول خبرته في الحياة :[٢]

حلبتُ هذي الدهور أشطرها

أبتر أخلافها وألبؤها[٣]

---

(١) الديوان ٥٠

(٢) الديوان ٥٢

(٣) حلبت الدهر أشطره : مستعار من حلب أشطر الناقه . والمعنى أنه اختبر شطرى خيره وشره ، فعرف ما فيه ، ويضرب للرجل المجرب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمـــــــه

تناولت في هذا البحث حياة شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، قدمه بعض النقـــاد القدامى على كثير من معاصريه وعدّه بعضهم شيخ الشعراء في زمانـــــه .

وأقـمت هذه الدراسة في خمسة فصول ، خصصت الفصل الاول لنسبه وأسرته ، فتبين لي أن هناك أخبارا وروايات شكّكت في نسبة قبيلته (الخلج) في قريش ، وشكّكت أيضا في نسبة الشاعر في قبيلته .

وبعد دراسة الروايات المختلفة وتتبّع مصدرها انكشف لي أن ابن قتيبة كان أول الاخباريين الذيـــن روّجوا لهذه التهمة حين استعمل صيغة التجهيل في نسبة الخلج إلى قريـــش .

وعنه أخذ أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني وأبو عُبيد البكرى في سمط اللآلي والقلقشندى في نهايـة الأرَب والبغدادى في خزانة الأدب .

وثبت لي أن ابن هرمة نفسه قد ساهم في هذا التشكيك فيما ذكر عن نفسه من أنه دعي في الخلـــج وأن الخلج أدعياء في قريش .

وتلقّف الناس عنه هذه التهمة فأشاعوها وصنعوا لها الأخبار لتأييدهـــا .

وبعد دراسة الروايات والأخبار اتضح لي أن نسبة الخلج في قريش صحيحة ، قال بهذا كثير مـــن أصحاب كتب الأنساب والتراجم واللغة منهم ابن الكلبي في جمهرة النسب ، والمصعب الزبيرى في نسـب قريش وابن دُرَيد في الجمهرة وابن منظور في اللسان والفيروز ابادى في القاموس المحيط .

وأما اتهام ابن هرمة لنفسه وقبيلته فيبدو أنه كان من باب الحقد والانتقام من قبيلته ، لأنهـــم حاولوا نفيه لسوء سلوكه وانحرافه وتجرّئه عليهم ، وأن تشكيكه في نسبه كان من باب العبث واللهـــو وإضحاك الناس عليـــه .

وفي الحديث عن أسرته استبان لي أنه تزوج مرتين الأولى من أم عياله ويبدو أنها لم تكن راضيـــة عن سلوكه ، وكثيرا ما عاتبته على إدمانه الخمـــر .

والثانية لا يُعرف من أمرها شيء سوى أنه مهرها نعليه حين قالت له : أعطني شيئا ، قال واللـــه ما معي إلا نعـــلاى .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصحّ عندى انه انجب ولدين هما (إسحٰق) و (عُبَـيّ) وله من البنات غير اثنتين ، وذكرت كتب الأدب والتراجم اسم واحدة منهن هي (عُبَيْـة) وذكرها في شعر لـه .

ويروى أن لابراهيم بن هرمة عَمّاً اسمه هرمة الأعور وكانت قبيلته نَفَتْه لسوء سلوكه فهجاها . ولـه ابن أخ اسمه محمد بن مالك بن علي بن هرمة وكان يكنى أبا مالك .

وعرضت في الفصل الثاني لحياته ونشأته ، فتحدثت عن مولده وصحّ عندى بعد دراسة التواريخ التي ذكرها المؤرخون أنه ولد سنة سبعين للهجره من غير تحديد لمكان ولادته ، وإن كنت أميل أنّ الـعَيالة هي موطنه الدائم ولعلها تكون مكان ولادته .

أما نشأته فرجح عندى أنه ربيَ في ديار تميم طفلا ، وأنه عاش حياته شابا في المدينة وما حولها من قرى الحجاز وأنه لم يكن راضيا عن الدنيا . وكان شاكّا في الناس فهجا بعضهم وهجوه ، وكان سيء السلوك مدمنا للخمر فحُدّ فيه غير مرة . وكان يرتاد أماكن اللهو والفجور حيث يهلك ماله ونفسه ، فاضطر الى أن يستدين مالا كثيرا ليلبي حاجته ، وبلغ به الأمر أن رهن رداءه ليشرب النبيذ .

وتحدثت عن ثقافته فبدا لي أنه كان واسع المعرفة في التاريخ والشعر واللغه والدين وعلم الفلك وعلم الحيوان ، وأن أشعاره التي وصلت إلينا تثبت هذه المعرفة .

وأما مذهبه الديني فيظهر أنه لم يكن شيعيا ، لأنه غير متمسك بمبادىء التشيع إذ رأيناه ينكسر أبياته في بني فاطمه والتزم الحياد من ثورة محمد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكية . ثم تخلى عن صاحب الثورة بعد فشلها ، بل وصل به الأمر إلى أن هجا بعض العلويين .

وناقشت تاريخ وفاته ومكانها ، ووازنت بين الروايات المختلفة فاستقام لي أنه توفي سنة ست وسبعين ومئة وذكر السيوطي ان (قُرَيّا) كانت مكان وفاته ودُفِنَ بالبقيع .

وعقدت الفصل الثالث لمواقفه السياسية مع الأمويين والعباسيين والعلويين ، فظهر لي أن نظرية الأمويين في الخلافة أخذت ثلاث مراحل : أولها زعمهم أنهم أحق الناس بالخلافة من غيرهم لأنهم ورثوها عن عثمان بن عفان الذى أخذها بالشورى ثم قُتل مظلوما فخرجت منهم فقاتلوا حتى استردوها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وثانيهما : تقربهم من الرسول بقربى العصبية ، فالأمويون والهاشميون أبناء عمومة ينتمون إلى عبد شمس وينحدرون جميعا من عبد مناف بن قصي .

وثالثهما : نظرية الجبر ، وهي النظرية التي تمسكوا بها فيما بعد لإثبات حقهم ، بعد أن تبين أن النظريتين الأوليين لا تشكّلان دليلا قويا لحقهم ، إذ أقصى ما سيحصلون عليه في الأولى المطالبة بقتلة عثمان ثم قتلتهم وفي الثانية بُعْد القرابة لأنهم يعلمون أن العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالناس بابن أخيه .

ونظرية الجبر تقوم على أساسين أحدهما : إسلامي ، يتمثل في صراحة أنسابهم وأصالتها ونبل أخلاقهم وعفتها .

وقد استجاب الشعراء الموالون لهم لهذه النظرية ، ومن بينهم ابن هرمة ، فقد وصل إلينا من شعره في مدح الوليد بن يزيد ما يمثّل الصفات الإسلامية وفي مدحه لعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ما يظهر صفات العروبة من شرف الأصل وعراقة الحسب وحسن الخلق .

وفي علاقاته مع العباسيين تبين لي أن العباسيين حاولوا إثبات حقهم في الخلافة عن طريق الوصية، وللوصية عندهم طريقان ، أحدهما : ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس من بعده.وثانيهما وصية أبي هاشم عبد الله بن محمد به الحنفية إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

ويبدو أن الأخذ بمبدأ الوصية من أبي هاشم إلى محمد بن علي كان أثناء الدعوة السرّية ، ولمّا نجحت ثورتهم واستقامت أمور دولتهم أخذوا بمبدأ الوصية من رسول الله إلى جدهم العباس بن عبد المطلب .

ولم يقف العباسيون عند مبدأ الوصية فقط بل أخذوا بنظرية الجبر أيضا ، وكان المنصور أول من نادى بها حين خطب الناس بمكة بعد انتصاره على النفس الزكية .

وكان ابن هرمة أحد الشعراء الذين استجابوا لنظريتهم ، فادعى أن الخلافة حق لهم من الله لا يجوز للناس أن يخوضوا فيه .

وفي علاقاته مع العلويين لاتكاد تجد له انتماء لفرقة من فرقهم فهو تارة يأخذ بمبادىء الإمامية كمذهب التقية وتمثّل هذا في إنكاره لأبيات قالها في بني فاطمة ،والتزامه الصمت من ثورة النفس الزكية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتارة يميل إلى الزيدية فيمدح زعماءها .

ومما يلاحظ على مدحه للعلويين أنه لم يتناول الجانب السياسي ، ولم يضمنه حقهم في الخلافة خوفا من العباسيين حين ذاك . ولذلك فانه اقتصر في مدحه لهم على صفات العروبة من شجاعة وكرم وحسن الخلق .

وجعلتُ الفصل الخامس لأغراضه الشعرية ، فتحدثت عن الغزل وقسمته إلى ثلاثة أقسام رئيسية، أولها : الغزل البدوى وهوالغزلالذى كان جزءا من قصيدة كالمقدمة الطللية والغزلية وقد تميز هذا النوع من الغزل بجزالة الألفاظ وغموض بعض المعاني .

وثانيهما : الغزل الحضرى ، وهو ما كان غزلا موجها لامرأة معينة ، فبث لهما هموم نفسه ولواعج قلبه وتعرض لمحاسنها الحسية والمعنوية ، وقد تميز هذا اللون بسهولة الألفاظ ورقتها ، وسهولة معانيها .

وثالثهما : الغزل الفني ، وهو ما كان قائما على إظهار قدرته اللغوية والشعرية ، وتمثل هذا النوع في قصيدته الهمزية ، حين قيل له إن قريشا لا تهمز ، فقال لأقولن قصيدة أهمزها كلها بلسان قريش .

وقصيدته المهملة من الحروف نموذج آخر لهذا النوع من الغزل وقد تميّز هذا اللون من الغزل بجزالة الألفاظ وصعوبة بعض المعاني مع ظهور واضح لفنون البديع من جناس وطباق .

وتناولت غرض المدح عنده ، وجعلته أيضا في ثلاثة أقسام أولها : مدحه للأمويين وثانيها مدحه للعباسيين وثالثها مدحه للعلويين .

وأشرت إلى الصفات والصور التقليدية التي كان الشعراء يذكرونها في ممدوحيهم من عراقة الحسب وشرف النسب والكرم والشجاعة . وما أضافه من جديد في معاني المدح كالمدح بالألقاب الدينية والألفاظ السياسية .

وفي غرض الرثاء تبين لي أن أبياته فيه لم تكن كثيرة على الرغم من اتصاله بشخصيات أموية وعلوية وعباسية كثيرة وكل ما وصل إلينا من رثاثة للأمويين بيتان اثنان قالهما حين بلغه خبر مقتل الوليد بن يزيد .

ولم تصل إلينا أبيات في رثائه للعلويين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما رثاؤه للشخصيات العباسية فكانت ثلاث قصائد ، كلها في رثاء الإمام إبراهيم بن محمـــــــد .

ومما لوحظ على مرثياته أنها تأثرت بالأوضاع السياسية ، إذ تناول فيها حق العباسيين في الخلافة .

ودرست غرض الوصف عنده فانكشف لي أن ابن هرمة كان متأثرا بموضوعات الوصف الجاهلية مـــن ذكر للقفار والفلوات والبرارى . ووصف بعضا من مظاهر الطبيعة من الغيث والسحاب وجريان الماء فـــي السيول .

ومن الموضوعات الجديدة في غرض الوصف عنده إفراده مقطوعة للنجوم والكواكب ووصف هيئاتهـــا وألوانهـــــا .

أما غرض الفخر فظهر لي أن ابن هرمة كان متأثرا بطريقة القدماء اذ عرض للمعاني المعروفة عندهم كالفخر بالكرم والإباء والصبر والحلم والحزم في الأمور والدخول على الملوك ، غير أنه أضاف إلى ذلك معاني جديدة منها فخره بموهبته الشعرية وقدراته الفنية . وفخره بلهوه ومجونه .

وفي غرض الهجاء استبان لي أنه لم يخرج على ذوق عصره في جعله غرض الهجاء في مقطوعات قصيـــرة ولم تصل حد القصائد الطوال .

ومما يسجل لابن هرمة فيه أنه كان هجاء شخصيا يعاب فيه الانسان بمخازيـــة الذاتية لا بمخـــازى قبيلته .

ومما يلاحظ على أبياته الهجائيه أنه لم يسف فيها ولم يفحش ، وهي ظاهرة تميز بها شعراء الحجاز عن غيرهم من شعراء الكوفة والبصـــــرة .

أما موضوعات الشيب والخمر والحكمة فلسنا نجد له إلا ابياتا متفرقات في كل غرض ، يصعب معها إقامة دراسة وافية تكشف عن خصائصها ومميزاتها وكل ما يمكن القول فيها أنه كرر كثيرا من المعاني والصـــور الجاهليـــــة .

وجّردتُ الفصل الخامس للدراسة الفنية ، وجعلتها في ثلاثة عناوين رئيسية هي بنية القصيدة واللغـة والصور الفنية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ففي بنية القصيدة ظهر تمسك ابن هرمة بنموذج القصيدة الجاهلية ، وتمثّلها تمثّلا واضحا ظهر في مقدمات قصائده ومطالعها وخواتيمها ٠

وفي جانب اللغة عنده أشرت إلى اهتمام علماء اللغة والنحو بلغته ومعانيه ، فلا نكاد نجد معجما لغويا أو كتابا نحويا يخلو من شاهد له ٠ وقد استعرضت أهم الكتب اللغوية والنحوية والبلاغية التي حوت أبياتا تمثل شواهد على ظواهر متعددة ٠

وفي الصور الفنية كشفت عن جانبيين هامين في شعره ، الجانب التقليدي ، والجانب التجديدي وضربت أمثلة على كل جانب ٠

ثم ختمت الفصل في خصائص شعره وجعلتها في أربع رئيسية هي الاعتدال في المعاني والبحث الدائب عن الصور الجديدة التي لم يطرقها أحد قبله ٠ والحركة الدائمة في الصور سواء كانت حسية أم معنوية، والزخرفة في الألفاظ والتأنق فيها ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجـــع

أولا: المصادر المطبوعـــة

(١) أخبار الدولة العباسية ، لمؤلف مجهول من القرن الثالث الهجرى
تحقيق الدكتور عبد العزيز الدورى والد كتور عبد الجبار المطلبي
دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧١م.

(٢) أخبار أبي القاسم الزجاجي (٣٣٧)هـ
تحقيق الدكتور عبد الحسين المبارك
دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٠م

(٣) الأخبار الموفقيات ، الزبير بن بكار (ـ ٢٥٦)هـ
تحقيق الدكتور سامي مكي العاني
مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٢م

(٤) الأزمنة والأمكنة ، أبو علي أحمد بن الحسن المرزوقي (ـ ٤٢١)هـ
مطبعة مجلس دائرة المعارف ، حيدر أياد الدكن ، ١٣٣٢هـ.

(٥) الاشتقاق ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ـ ٣٢١)هـ
تحقيق عبد السلام هارون
مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٥٨م

(٦) الأشربة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ـ ٢٧٦)هـ
تحقيق محمد كرد علي
مطبعة الترقي ، ١٣٦٦هـ.

(٧) الأغاني ، أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ـ ٣٥٦)هـ
دار الكتب المصرية ، القاهرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٨) أمالي القالي ، أبو علي إسماعيل بن القاسم (ـ ٣٥٦)هـ
مطبعة دار السعادة ، مصر ، ١٩٥٣م.

(٩) أمالي المرتضي (غرر الفوائد ودرر القلائد)
الشريف المرتضى علي بن الحسين (ـ ٤٣٦)هـ
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم
طبع عيسى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٥٤م

(١٠) الأمثال ، أبو عكرمة الضبي (ـ ٢٥٠) هـ
تحقيق رمضان عبد التواب
مطبعة دار الكتاب ، دمشق

(١١) أنساب الأشراف ، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ـ ٢٧٩)هـ
القسم الثالث ، تحقيق الدكتور عبد العزيز الدوري
المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٧٨م.

(١٢) الايناس بعلم الانساب ، أبو القاسم ، الحسين بن علي بن الحسين (ـ ٤١٨)هـ
تحقيق إبراهيم الإبياري
دار الكتب الاسلامية ، القاهرة وبيروت ، ١٩٨٠م.

(١٣) البداية والنهاية في التاريخ ، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير (ـ ٧٧٤)هـ
دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٨م.

(١٤) بغية الملتمس ، أحمد بن يحيى الضبي (ـ ٥٩٩)هـ
طبعة مجريط ، بمدريد ١٨٨٤م.

(١٥) البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ـ ٢٥٥)هـ
تحقيق عبد السلام هارون
دار الفكر ، بيروت

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١٦) تاج العروس، محمد مرتضى، الزبيدى (- ١٢٠٥)هـ
دار مكتبة الحياة، بيروت

(١٧) تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادى (- ٤٦٣)هـ
المكتبة السلفية، المدينة المنورة

(١٨) تاريخ الرسل والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (- ٣١٠)هـ
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم
دار المعارف، مصر

(١٩) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر (- ٥٧١)هـ
(قسم تراجم النساء)
تحقيق سكينة الشهابي
دمشق، ١٩٨٢م

(٢٠) التكملة، والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية
الحسن الصغاني (- ٦٥٠)هـ
تحقيق عبد العليم الطحاوى وراجعه عبد الحميد حسن
دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م

(٢١) تهذيب تاريخ دمشق، ابن عساكر (- ٥٧١)هـ
هذبه عبد القادر بدران
دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢٢) تهذيب اللغة ، أبو منصور الأزهري (- ٣٧٠)هـ

تحقيق عبد السلام هارون

الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٦م

(٢٣) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، أبو منصور الثعالبي (- ٤٢٩)هـ

المطبعة الظاهرية بالقاهرة ١٩٠٨م

(٢٤) جمهرة أنساب العرب ، ابن حزم الأندلسي (- ٤٥٦)هـ

تحقيق عبد السلام هارون

دار المعارف ، مصر ١٩٦٢م

(٢٥) جمهرة اللغة ، أبو بكر بن دريد (- ٣٢١)هـ

مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن (الهند) ١٣٤٥هـ .

(٢٦) جمهرة النسب ، هشام بن محمد بن السائب الكلبي (- ٢٠٤)هـ

رواية محمد بن حبيب

تحقيق محمود فردوس العظم

دار اليقظة العربية ، دمشق

(٢٧) جمهرة نسب قريش وأخبارها، الزبير بن بكار (- ٢٥٦)هـ

شرحه وحققه محمود محمد شاكر

مطبعة المدني بالقاهرة ، ١٣٨١هـ

(٢٨) الحماسة البصرية ، صدر الدين بن أبي الفرج بن الحسن البصري (- ٦٥٩)هـ

تحقيق مختار الدين احمد

طبعة الهند ١٩٦٤م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢٩) الحيوان، الجاحظ (ـ ٢٥٥)هـ

تحقيق عبد السلام هارون

طبع مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٩٣٨م

(٣٠) خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموى (ـ ٨٢٧)هـ، دار القاموس الحديث، لبنان،

(٣١) خزانة الأدب، عبد القادر البغدادى (١٠٩١)هـ

المطبعة السلفية، ١٣٤٧هـ.

(٣٢) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ـ ٣٩٢)هـ

تحقيق محمد النجار

دار الكتب، القاهرة ١٩٥٢م

(٣٣) ديوان إبراهيم بن هرمة جمع محمد جبّار المُعَيبد

مطبعة الآداب بالنجف، ١٩٦٩م

(٣٤) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات (ـ ٨٥)هـ

تحقيق وشرح الدكتور محمد يوسف نجم

دار صادر ودار بيروت ١٩٥٨م

(٣٥) زهر الآداب وثمر الألباب، أبو اسحق إبراهيم بن علي المصرى القيرواني (ـ ٤٥٣)هـ

تحقيق علي محمد البجاوى

طبع عيسى البابي الحلبي، مصر

(٣٦) سمط اللآلئ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى (ـ ٤٨٧)هـ

تحقيق عبد العزيز الميمني

طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٥م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣٧) سير أعلام النبلاء ، الذهبي (ـ ٧٤٨)هـ
تحقيق شعيب الأرناؤوط وحسين الأسد
مؤسسة الرسالة ١٩٨٢م

(٣٨) السيرة النبوية ، أبو محمد عبد الملك بن هشام (ـ ٢١٨)هـ
تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي
الطبعة الثانية ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٥م

(٣٩) شرح أبيات مغني اللبيب ، عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩١)هـ
تحقيق عبد العزيز رباح ، وأحمد يوسف دقاق
دار المأمون للتراث ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٩٧٨م

(٤٠) شرح أشعار الهذليين ، صنعة السكري (ـ ٢٧٥)هـ
تحقيق عبد الستار فراج ومحمود محمد شاكر
مكتبة دار العروبة ومطبعة المدني

(٤١) شرح شواهد المغني ، السيوطي (ـ ٩١١)هـ
تصحيح وتعليق الشيخ محمد محمود الشنقيطي
وتحقيق أحمد ظافر كوجان

(٤٢) شرح مقامات الحريري ، أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن الشريشي (ـ ٦٢٠)هـ
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
مطبعة المدني ، القاهرة

(٤٣) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد (ـ ٦٥٥)هـ
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
طبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٦٠م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٤٤) الشعر والشعراء ، ابن قتيبة (ـ ٢٧٦)ھ

تحقيق أحمد محمد شاكر

دار المعارف ، مصر ١٩٦٦

(٤٥) شعر ابن هرمة القرشي ، جمع الدكتور حسين عطوان ، ومحمد نفاع

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٩

(٤٦) الصحاح ، الجوهري (ـ ٣٩٣)ھ

تحقيق أحمد عبد الغفار عطار

مطابع دار الكتاب العربي ، مصر ، ١٩٥٧م

(٤٧) كتاب الصناعتين في الكتابة والشعر ، أبو هلال العسكري (ـ ٣٩٥)ھ

تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم

مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٥٢م

(٤٨) طبقات الشعراء ، عبد الله بن المعتز (ـ ٢٩٦)ھ

تحقيق عبد الستار أحمد فراج

دار المعارف ، مصر

(٤٩) العباب الزاخر واللباب الفاخر ، الحسن الصغاني (ـ ٦٥٠)ھ

تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين

نشر وزارة الثقافة والاعلام ، مطبعة دار الرشيد ، بغداد ١٩٨١م

(٥٠) العقد الفريد ، أحمد بن محمد بن عبد ربه (ـ ٣٢٨)ھ

طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٥١) عيار الشعر ، ابن طباطبا العلوي (ـ ٣٢٢)هـ
تحقيق الدكتور طه الحاجري ومحمد زغلول سلاّم
المكتبة التجارية ، القاهرة ١٩٥٦م

(٥٢) عيون الأخبار ، ابن قتيبة (ـ ٢٧٦)هـ
طبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٣٥م

(٥٣) الفائق في غريب الحديث ، جاد الله الزمخشري (ـ ٥٣٨)هـ
تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم
دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٤٥م

(٥٤) فحولة الشعراء ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (ـ ٢١٦)هـ
تحقيق س • توري ، تقديم صلاح الدين المنجد
دار الكتاب الجديد ١٩٧١م

(٥٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، أبو محمد علي بن سعيد بن حزم (ـ ٤٥٦)هـ
طبع أحمد ناجي الجمالي ، و حمد أمين الخانجي وأخيه ١٣٢١هـ

(٥٦) الفهرست ، ابن النديم (ـ ٣٨٥)هـ
طبعة الرحمانية ، ظهران ١٩٧١م

(٥٧) فوات الوفيات ، محمد بن شاكر الكتبي (ـ ٧٦٤)هـ
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد
مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة

(٥٨) الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف ، المبرد (ـ ٢٨٥)هـ
تحقيق أحمد محمد شاكر والدكتور زكي مبارك
مطبعة البابي الحلبي ، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٥٩) لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور (ـ ٧١١)هـ
طبعة المطبعة الأميرية ، بولاق ١٣٠١هـ

(٦٠) المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة ، ابن جني (٠ ٣٩٢)هـ
مكتبة القدسي والبدين ، دمشق ١٣٤٨هـ

(٦١) مجالس ثعلب ، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ـ ٢٩١)هـ
تحقيق عبد السلام هارون
دار المعارف ، مصر ١٩٤٨م

(٦٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، أبو الحسن بن الحسين المسعودي (ـ ٣٤٦)هـ
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد
مطبعة السعادة ، مصر ١٩٥٨م

(٦٣) المزهر في علوم اللغة وآدابها ، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ـ ٩١١)هـ
شرح محمد جاد المولى ورفاقه
طبع عيسى البابي الحلبي

(٦٤) المعارف ، ابن قتيبة (ـ ٢٧٦)هـ
صححه وعلق عليه محمد إسماعيل الصاوي
دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٧٠م

(٦٥) معجم البلدان ، ياقوت الحموي (ـ ٦٢٥)هـ
دار صادر بيروت ١٩٧٧م

(٦٦) معجم ما استعجم ، أبو عبد الله بن عبد العزيز البكري (ـ ٤٨٧)هـ
تحقيق مصطفى السقا
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥١م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٦٧) مقاتل الطالبيين ، أبو الفرج الأصفهاني (- ٣٥٦)
تحقيق أحمد صقر
دار المعرفة ، بيروت

(٦٨) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني (- ٦٤٨)
تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة
دار الكتب الشرقية ، تونس ١٩٦٦م

(٦٩) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (- ٣٨٤)
تحقيق علي محمد البجاوى
طبعة دار نهضة مصر ، ١٩٦٥م

(٧٠) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر (- ٣٣٧)
تحقيق كمال مصطفى
مكتبة الخانجي ، مصر ، ومكتبة المثنى ببغداد ١٩٦٣م

(٧١) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، أبو العباس القلقشندى (- ٨٢١)
تحقيق إبراهيم الإبيارى
الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٥٩م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا: المصادر المخطوطـــــــة

(١) تاريخ دمشق، لابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين (- ٥٧١)هـ
مصورة الجامعة الاردنية عن مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق.

(٢) عيون التواريخ، محمد بن شاكر الكتبي (- ٧٦٤)هـ
مصورة الجامعة الاردنية عن مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثا : المراجع الحديثه :

(١) إتجاهات الشعر في القرن الثاني ، الدكتور محمد مصطفى هداره ـ دار المعارف ـ مصر الطبعة الثانيه ، ١٩٧٠ .

(٢) اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجرى ، الدكتور يوسف بكار ـ دار المعارف ، مصر ، ١٩٧١.

(٣) الأمويون والخلافة ، الدكتور حسين عطوان
دار الجيل ، بيروت ١٩٨٦م.

(٤) بناء القصيدة العربية ، الدكتور يوسف بكار
دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٩م.

(٥) تاريخ الأدب العربي ، بروكلمان
ترجمة عبد الحليم النجار
دار المعارف ، مصر

(٦) تاريخ الشعر السياسي الى منتصف القرن الثاني الهجرى ، أحمد الشايب
مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الرابعه ، ١٩٦٥.

(٧) تاريخ الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ، الدكتور نجيب البهبيتي
دار الفكر ، القاهرة

(٨) الدعوة العباسية (تاريخ وتطور) ، الدكتور حسين عطوان
دار الجيل ، بيروت

(٩) الشعر والشعراء في العصر العباسي ، الدكتور مصطفى الشكعة
دار العلم للملايين ١٩٧٥م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١٠) الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، الدكتور حسين عطوان
دار الجيل ، بيروت ١٩٨١م.

(١١) في الشعر الاسلامي والأموي ، الدكتور عبد القادر القط
دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٩م

(١٢) قصيدة المدح حتى نهاية العصر الأموي ، الدكتور وهب رومية
وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ١٩٨١م.

(١٣) معجم ألقاب الشعراء ، الدكتور سامي مكي العاني
مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ١٩٧١م.

(١٤) الوليد بن يزيد (عرض ونقد) الدكتور حسين عطوان
دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨١م.

٧٨٨٣٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

The University of Jordan

Faculity of Arts

Department of Arabic

Ibraheem Bin Harma

His Life and Poetry

By

Shoukri D. Jaber

Supervisor

Prefessor Husein Atwan

" This thesis has been submitted in Partial fulfillment of the requirment for the degree of Master of Arts, in Arabic at Faculty of Arts, university of Jordan"

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit